مجلــة الاكــاديمية العــربية المفتــوحــة
في الــدنمــارك

دوريــة علميــة محكمة نصــف سنويــة
تصــدرها الاكــاديمية العربية المفتوحة في الدنمــارك

عنوان المراسلة
Address: BRØNSHØJHOLMS ALLE 45, 1. SAL
2700BRØNSHØJ - KØBENHAVN
DENMARK
Website : www.ao-academy.org
e-mail : ao-academy@yahoo.com

2007 العـدد الثاني

البحـــوث المنشـــورة تـــم تقـــويمها من قبـــل اســـاتذة
متخصصيـــن بحــــسب التخــصصات العلميـــة

الهيـــأة الاستشـــارية

» ثمن العدد : في الدول العربية **4** يورو € أو مايعادلها بالدولار الأمريكي $
وفي دول الاتحاد الاوربي **5** يورو €

الآشتراك السنوي	الآفراد		المؤسســـات	
الاشتراك بعملة €	البلدان العربية	البلدان الاسكندنافية	البلدان العربية	البلدان الاسكندنافية
لمده سنة	40	50	80	100
لمدة سنتين	70	80	150	160
لمدة ثلاث سنوات	100	110	230	240
لمدة خمس سنوات	150	160	350	420

مجلــة الاكــاديمية العــربية المفتــوحــة

في الــدنمــارك

في هذا العدد ....

هاملت شكسبير تحليل لشخصيته و تردده

أ.د.قاسم حسين صالح

الإعـــلام الجـــديد دراسة في تحولاته التكنولوجية

وخصائصه العامة

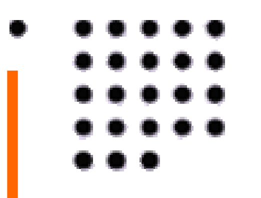
د. عباس مصطفى صادق

تشكّل الموقف النقدي في ظل الحداثة الشعرية

المضادة عند نزار قباني مراجعة لآليات الهدم

والتاسيس

د.حبيب بوهرور



إعـــادة التمـــويل الرهني و أثره على المنظومة المالية و المصرفية في الجزائـــردراسة حالة شركة إعادة التمويل الرهني SRH

عمــر طالــب *　　　　　　د.عبــد الحميــد غوفي*

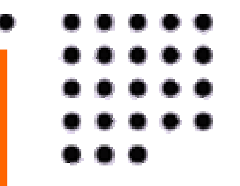
* باحث بمركز البحث العلمي و التقني حول المناطق الجافة – الجزائر

جامعة محمد خيضر – بسكرة – الجزائر)

*تدريسي في جامعة محمد خيضر – بسكرة – الجزائر

الخلاصة :-

على ضوء الأزمة التي عرفتها الجزائر في النصف الثاني من التسعينات خصوصاً في إيجاد التمويل العقاري طويل الأجل، و بناءً على المعطيات الجديدة التي ترتكز عليها سياسة الإصلاحات الاقتصادية الحالية تم إنشاء شركة إعادة التمويل الرهني وكذا إنشاء شركة ضمان القرض العقاري، مع تحويل الصندوق الوطني للتوفير و الاحتياط إلى بنك للسكن، من أجل تطوير التمويل الرهني العقاري في الجزائر. و موازاةً مع ذلك قامت السلطات العمومية باتخاذ جملة من الإجراءات الإصلاحية، على المستوى التشريعي، تمثلت في إصدار مراسيم، في إطار قانون المالية لسنة 2005، و إصدار قانون التوريق سنة 2006، قصد تطوير السوق الرهنية في الجزائر. لكن إلى غاية يومنا هذا، فإننا نلاحظ بأن الأثر المنتظر من هذه الإصلاحات، خاصة ذلك الأثر المرتقب من إدماج شركة إعادة التمويل الرهني على مستوى أداء الائتمان، لا يزال غير بارز مقارنة بالصورة التي هو عليها في الدول المتبنية لهذا النموذج. و يعود ذلك إلى حداثة النموذج المتبنى من جهة و لعدم الإقبال الواسع من قبل الوسطاء الماليون على عملية إعادة التمويل الرهني، من جهة أخرى.



Abstract:

At the end of the crisis that Algeria undergoes in the second middle of the nineties, particularly, to find out long term moveable refinancing and accordingly to the new details on which actual economic reforms policy focus, the mortgage refinancing was established, as well as land security loan did, within the changes of national fund of saving and precaution to the housing bank, so that, the mortgage refinancing will be developed in Algeria.

At the same time, the public authorities took vital steps towards reforms at legislative level, that were put into effect by addressing decrees within the frame work of the financing law of 2005, the releasing law in 2006 as well, in order to enhance the mortgage market in Algeria.

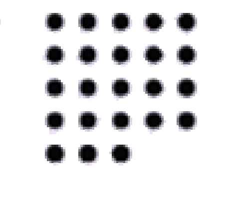
Nevertheless, till now, we notice the impact of these reforms particularly, the expected impact of the mortgage refinancing towards trust, is still not operational, in comparison with the aspect in the countries adopting this model.

Due to the fact that the model is new, in one hand, and the lack of the finance stakeholders of operating in the mortgage refinancing as well in the other hand.

تمهيد:

إن تحسين مستوى أداء الائتمان المصرفي و من خلاله تحسين كفاءة أسواق رؤوس الأموال يعد أمرا بالغ الأهمية و الاعتناء به يعد ضرورة ملحة لسلامة و صحة الأنظمة المصرفية و المالية، لذا فإننا نجده يشغل حيزا كبيرا من اهتمام المنظومة البنكية الدولية و الهيئات الوصية العالمية.

يعد إنشاء مؤسسات إعادة التمويل الرهني من بين الآليات و الأساليب الحديثة التي تم التوصل إليها في البلدان المتطورة كحل لمشكلة التمويل الطويل الأجل بصفة عامة و تمويل قطاع السكن بصفة خاصة، بحيث يعد هذا الأخير قطاع استراتيجي ذو أهمية قصوى في تنشيط و تفعيل حركة الاقتصاد الوطني، و كذا لعجز المصارف عن تلبية طلبات تمويل السكن المرتفعة نظراً لطبيعة الموارد المالية التي يغلب عليها الطابع قصير الأمد. إذاً فإن إعادة التمويل الرهني يهدف إلى تيسير شروط الإقراض السكني و معالجة قضية تعدها كل



الدول ذات أهمية قصوى سواءً أكان ذلك على المستوى الاجتماعي أو على المستوى الاقتصادي.

و لقد لعبت الولايات المتحدة الأمريكية في هذا المجال دور الرائد بإنشاء و تطوير أنظمة التمويل الرهني العقاري التي انعكست آثارها إيجاباً على تحسين أداء الائتمان و كفاءة الأسواق المالية و كذا نمو قطاع السكن و السوق العقارية ، الأمر الذي دفع بالعديد من الدول على امتداد القارات الخمس، مع نهاية الثمانينات، إلى اختيار النموذج الأمريكي الذي يرتكز على مستويين (سوق ابتدائية و سوق ثانوية) للتمويل الرهني العقاري، و تعد الجزائر من بين هاته الدول التي اختارت مبدئياً النظام الأمريكي للقروض العقارية، و ذلك بإنشائها في نهاية سنة 1997 شركة مالية متخصصة في إعادة تمويل القروض العقارية الممنوحة لفائدة الأسر، من طرف البنوك و المؤسسات المالية، بغرض شراء سكن جديد أو ترميم سكن قديم أو بناء سكن، إلا أن هذه الشركة تبنت في ممارستها في البداية الطريقة الأوروبية وهذا لأسباب احترازية.

بعد قرابة تسع سنوات من الممارسة يتعين علينا التساؤل: ما مدى أثر إدراج شركة إعادة التمويل الرهني « SRH » في المنظومة المالية الجزائرية خصوصاً على أداء الائتمان البنكي و بصفة أوسع أداء السوق المالية في الجزائر؟

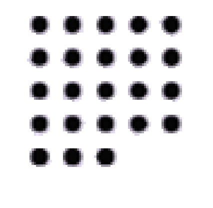
من هذا المنطلق، سنتناول من خلال هذا البحث دراسة المؤسسات المالية لإعادة التمويل الرهني ثم سوق الرهن و القروض المدعمة سندياً، كما سنتناول كذلك أهم آثار إعادة التمويل الرهني كخطوة أولى، و كخطوة ثانية أثر إدراج شركة إعادة التمويل الرهني « SRH » و آفاق عملية إعادة التمويل الرهني في الجزائر.

I. إعادة التمويل الرهني:

قبل البدء بدراسة ماهية إعادة التمويل الرهني يجدر بنا أولاً معرفة مختلف المفاهيم الاقتصادية التي تندرج تحته ثم التركيز على دراسة هذا المصطلح بمختلف مركباته.

1.1- مفهوم إعادة التمويل البنكي:

هو مصدر التمويل الثالث الذي يلجأ إليه البنك (بعد أمواله الخاصة و الودائع التي يحصل عليها من الجمهور) لإعادة تشكيل سيولته المتأثرة بالقروض التي منحها. وتتم



عملية إعادة تمويل البنوك بطريقتين: إعادة التمويل عن طريق إعادة الخصم و إعادة التمويل في السوق النقدية[1].

وهو نفس ما يذهب إليه "Ahmed Silem" و "J.M Albertini" في معجمهما الاقتصادي، حيث يقصد بإعادة التمويل البنكي إعادة تشكيل سيولة البنوك قصد استطاعتها منح قروض جديدة، سواءً من خلال إعادة خصم الأوراق المالية التي في حيازتها أو اللجوء إلى السوق النقدية[2].

2.1- مفهوم القرض الرهني « le Prêt hypothécaire »:

و هو القرض الذي يستند على ضمان حقيقي « sûreté réelle » (بناية، أرض)[3]، و حسب هذا المعنى فإنه كل قرض عقاري هو بالضرورة قرض رهني[*]، إلا أنه لا يمكن عدّ كل قرض رهني قرضا عقاريا، لأن القرض الرهني أشمل معنى[4]، و هذا عائد بطبيعة الحال لنوع الرهن.

و ينقسم القرض الرهني إلى عدة أنواع أهمها: القرض الرهني ذو سعر فائدة ثابت و متغير، القرض الرهني ذو نصاب مرتفع، القرض الرهني العادي، القرض الرهني المغلق و المفتوح، القرض الرهني القابل للدفع المسبق، القرض الرهني المجزأ، ... الخ.

3.1- مفهوم إعادة التمويل الرهني:

و يقصد به إعادة تمويل القروض الرهنية، حيث يسمح هذا الأخير بجمع مجمل القروض (قرض عقاري، قرض شخصي، قرض للاستهلاك) في قرض رهني واحد بمعدل فائدة لقرض عقاري و لفترة قد تمتد إلى غاية عشر سنوات[5]. أي أن عملية إعادة التمويل الرهني ترتكز على إعادة تمويل محافظ القروض الممنوحة مقابل ضمانات للشرائح الاجتماعية المحرومة من طرف الوسطاء المعتمدين (كالبنوك مثلاً) الملزمون بتقديم قائمة

اسمية بالديون المعاد تمويلها للشركات (المؤسسات المالية) المختصة في إعادة تمويل القروض الرهينة[6].

II. ظهور مؤسسات إعادة التمويل الرهني:

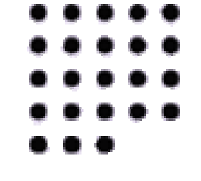
لقد تم البدء في إنشاء المؤسسات التي تقوم بعمليات إعادة التمويل الرهني بظهور نظام التسهيلات المالية (SMF) « Secondary Mortgage Facility » الذي يقوم على أساس توفير الأموال اللازمة من أجل و ضعها تحت تصرف السوق العقارية الابتدائية، و يتم ذلك عن طريق خلق مؤسسات مالية متخصصة تقوم بإصدار سندات في السوق المالية بحيث تستعمل مبالغها في إعادة تمويل الحافظات المالية المقدمة من طرف البنوك العقارية أو التجارية. و من هنا أتى التفريق بين الممول الرئيسي للقروض (البنك) و الممول الثانوي للحافظات المالية (المؤسسة المالية المتخصصة)[7].

1.2- ظهور مؤسسات إعادة التمويل الرهني في أوروبا:

بدأ ظهور عمليات إعادة التمويل الرهني في أوروبا أواخر القرن السابع عشر و بالتحديد في فرنسا، ألمانيا، إسبانيا، سويسرا و الدول الاسكندينافية، بعد إنشاء و تطوير نظام البنوك العقارية الذي كان يقوم على عدة بنوك متخصصة تعمل على منح و إدارة حافظة القروض العقارية لتلجأ فيما بعد إلى السوق المالية لإعادة تمويل هذه القروض عن طريق إصدار سندات أو أوراق مالية يتم شراؤها عادةً من قبل المؤسسات المالية مثل شركات التأمين التي تقوم بالاستثمار على المدى الطويل.

أما فيما يخص ظهور مؤسسات مالية متخصصة، كنموذج حديث يقوم بعمليات إعادة التمويل الرهني، فقد كان ذلك في فرنسا بعد التدهور الذي شهدته هذه الأخيرة في مجال السوق الرهنية العقارية وانهيار كبريات بنوكها العقارية، حيث قامت السلطات الفرنسية بإنشاء مؤسسة جديدة متخصصة برأس مال خاص (سنة 1985) سميت بـــ "صندوق إعادة التمويل الرهني" « Caisse de Refinancement

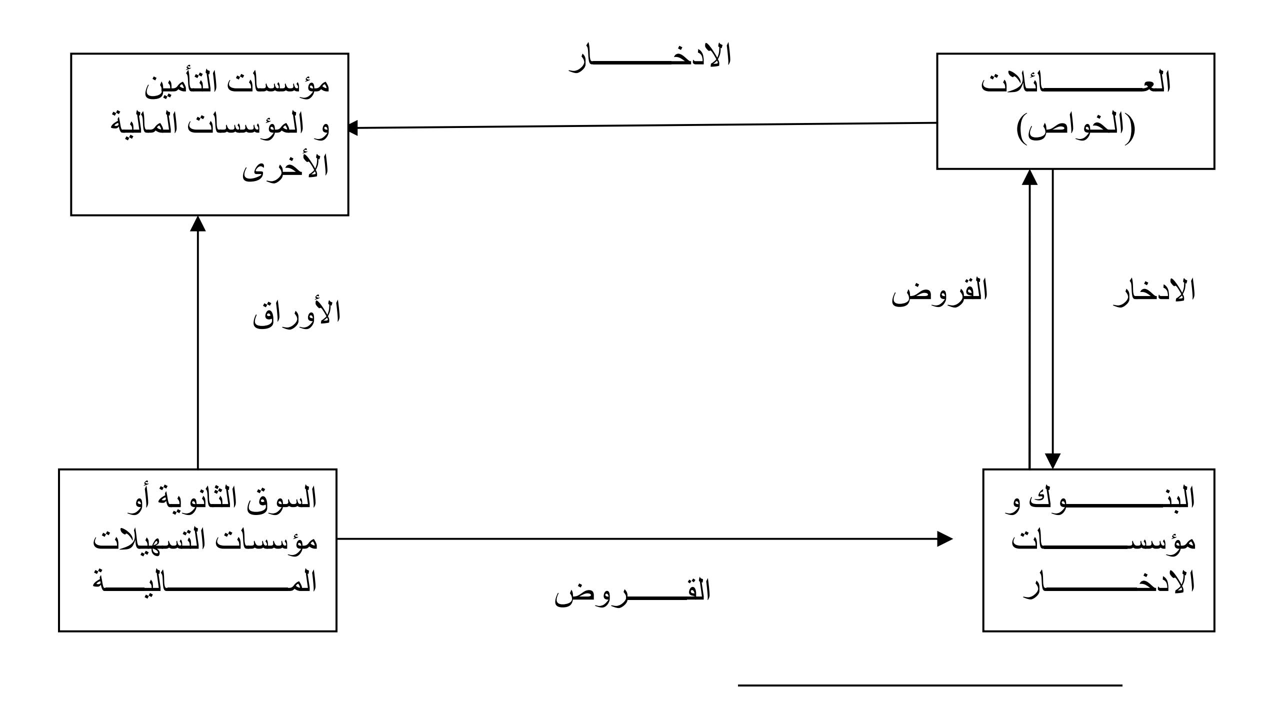
« Hypothécaire : CRH ليقوم بتمويل القروض العقارية و إصدار سندات و أوراق مالية عقارية في السوق المالية.



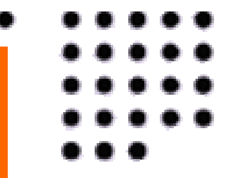
2.2- ظهور مؤسسات إعادة التمويل الرهني في أمريكا: في سنة 1930 تم إنشاء مؤسسة سميت بالبنك الفيدرالي لتمويل السكن « FHLB : federal home loan bank » يعمل على نظام التسهيلات المالية (Secondary Mortgage Facility :SMF)، لكن يعد أول ظهور للمؤسسات المالية المتخصصة في إعادة التمويل الرهني في الولايات المتحدة الأمريكية، كنموذج متطور لتمويل السكن، منتصف الثلاثينات و ذلك بعد خلق مؤسستين متخصصتين في مجال ضمان الرهن العقاري و إصدار القروض السكنية المضمونة برهونات عقارية من الدرجة الأولى، حيث تمثلت هذه المؤسسات في الجمعية الفيدرالية للسكن « Federal Home Association » و الجمعية الوطنية الفيدرالية للسكن "فاني مي" « Fannie Mae »، و لقد أدى إنشاء هاتين المؤسستين إلى تحريك نشاط السوق العقارية منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا[8].

الشكل رقم01: نظام التسهيلات المالية (SMF)

(ابتداءً من سنة 1930)



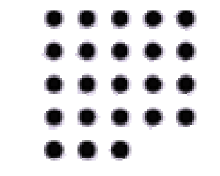
المصدر: عبد القادر بلطاس، مرجع سابق، ص 90.



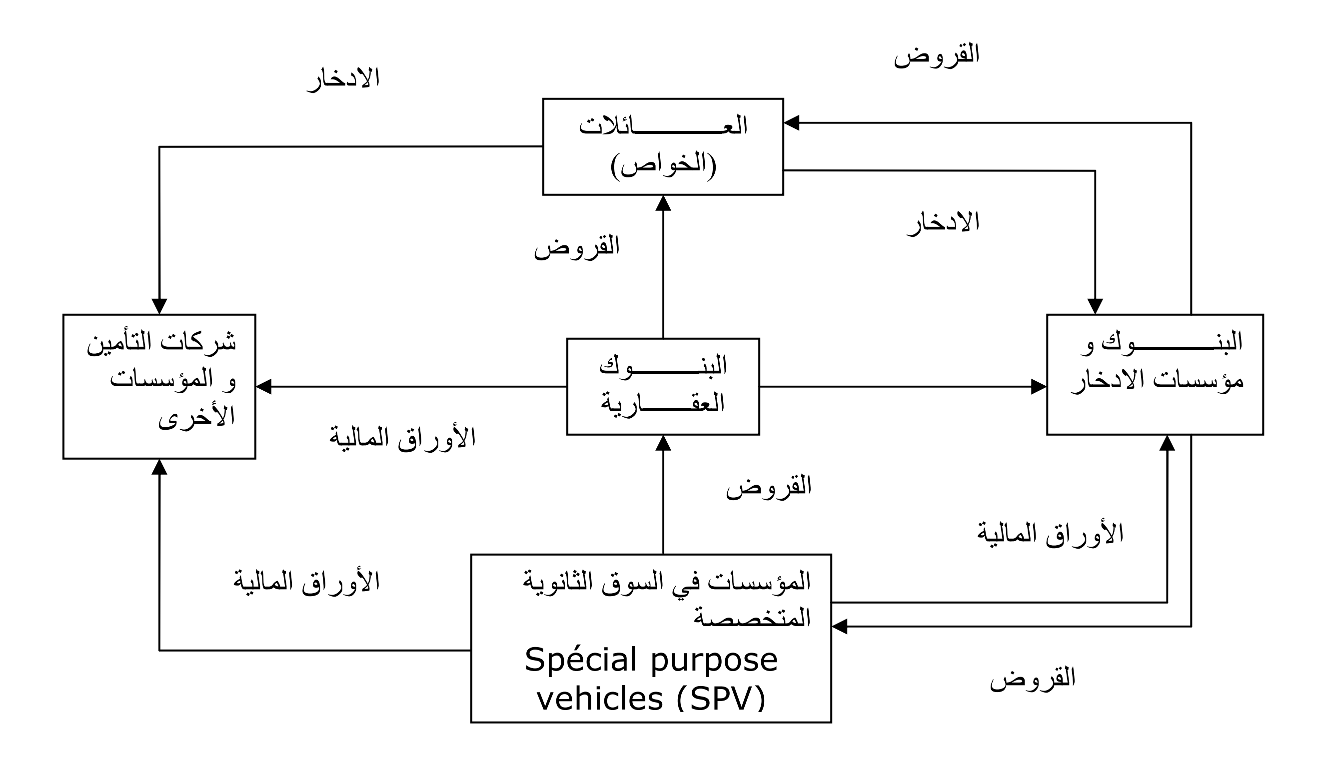
و خلال مرحلة الستينات، و بالتحديد في بداية سنة 1966، عرف نشاط السوق المالية العقارية في الولايات المتحدة الأمريكية بعض الخلل و الذي يرجع سببه إلى ارتفاع طلب الحكومة على القروض من أجل تمويل الحرب في فيتنام من جهة، و إلى ارتفاع الطلب على الأموال من طرف المؤسسات المالية نتيجة التوسع الاقتصادي الأمريكي من جهة أخرى، مما استوجب إعادة هيكلة السوق الثانوية. و بموجب هذا تم إدراج نظام جديد ألا و هو نظام السوق العقارية الثانوية الذي جاء ليعوض النظام السابق **(SMF)**.

و لقد تم كذلك خلق فكرة الائتمان المتعلق بالقروض العقارية (Mortgage Securitization) مع بداية السبعينات و إسناده إلى "فاني مي" لتصبح أول مؤسسة يسمح لها بإصدار أوراق مالية مؤمنة برهونات عقارية من الدرجة الأولى، حيث سميت هذه العملية آنذاك بـ (MBS) « Mortgage Backed Securities »[9]، و كان المقصود من ورائها جلب أموال جديدة و وضعها تحت تصرف البنوك العقارية عن طريق شراء محافظ عقارية ذات نوعية رفيعة، أي أقل خطورة.

و في سنة 1970 بالتحديد، أقدمت الحكومة الأمريكية على إنشاء مؤسسة جديدة أخرى تتعامل بالقروض العقارية في السوق الثانوية، سميت بـ "فريدي ماك" « Freddie Mac »، تشجيعاً منها للقطاع الخاص، حيث كان الهدف من وراء خلقها شراء القروض العقارية التي تصدرها مؤسسات الادخار في الولايات المتحدة الأمريكية. و في سنة 1971 بدأت "فريدي ماك" بإصدار (MBS)، و في سنة 1975 شرعت كذلك بإصدار السندات المؤمنة برهونات عقارية من الدرجة الأولى، ليتم خلق جو من المنافسة على مستوى السوق الثانوية لتداول المحافظ العقارية[10].



الشكل رقم 02: نظام السوق العقارية الثانوية (ابتداءً من سنة 1970)



و في خضم ذلك تمت إعادة هيكلة "فاني مي" و اقتراحها للخوصصة و كذا خلق مؤسسة جديدة، سنة 1986، ذات طابع حكومي فيدرالي سميت بـــ "جاني مي" « Ginie Mae »، و ذلك بغية تدعيم النشاط الذي كانت تقوم به "فاني مي" بالإضافة إلى القيام بتمويل بعض القطاعات الإستراتيجية الخاصة بالحكومة الفيدرالية.

3.2- ظهور مؤسسات إعادة التمويل الرهني في الدول النامية:

عرفت العديد من الدول النامية ظهور هذا النوع من المؤسسات المالية المتخصصة، على غرار ماليزيا، الشيلي و تايلاند، و لقد حققت هذه المؤسسات تقدماً كبيراً في مجال إعادة التمويل الرهني كنظام حديث ساهم بقوة في حل أزمة السكن لدى هذه الدول.

ولا يقتصر الأمر على هذه الدول فقط بل هناك دول نامية أخرى اعتمدت هذا النوع من المؤسسات، لكن لا يسعنا المجال لذكر كل هذه التجارب، و نكتفي فقط بالدول

التي أشرنا إليها آنفاً في سياق الحديث عن النجاح الذي حققته هذه المؤسسات، مع التطرق إلى ظهور أنظمة إعادة التمويل الرهني في دول منطقة الشرق الأوسط و شمال إفريقيا (les pays de la région MENA).

في إطار الإصلاحات التي وضعتها الحكومة الماليزية لإنجاح عملية تمويل السكن، تم إنشاء مؤسسة إعادة التمويل الرهني « Cagamas » سنة 1986 و التي كانت أهدافها ترمي إلى إعادة تمويل البنوك و المؤسسات المالية و إصدار سندات في السوق المالية، حيث حققت هذه المؤسسة تقدماً معتبراً، بتمويلها لأكثر من 25 % من احتياجات المؤسسات المالية من قروض سكنية[11].

أما فيما يخص الشيلي، فلقد اتخذت السلطات الشيلية بعض القرارات (سنة 1991) تدعم المؤسسات المالية المانحة للقروض السكنية و كذا خلق ضمانات خاصة بها، فضلا عن وضع نظام جديد يعرف بالقروض المدعمة سندياً « la titrisation » وفر لصناديق المعاشات و شركات التأمين فرصة لاستثمار أموالها بشكل مربح[12].

كما تعد تايلاند هي الأخرى من الدول التي أحرزت تقدماً في حل أزمة السكن باعتمادها على نظام محكم للتمويل الرهني يعتمد على منح قروض سكنية بأسعار فائدة متغيرة أو قابلة للتجديد و بأسعار ثابتة، إضافةً إلى إنشاء سوق ثانوية للرهن العقاري[13].

و يعد إدخال نظام إعادة التمويل الرهني في منطقة الشرق الأوسط و شمال إفريقيا حديث المنشأ، و لقد كانت الأردن و تونس من الدول الرائدة في هذا المجال، إذ عرفت أنظمة التمويل العقاري فيها أول ظهور لها مع بداية سنوات الثمانينات. و تم إتباع هذه التجربة من قبل المغرب، حيث تم إدخال الأنظمة الرهنية طويلة الأجل في منتصف سنوات الثمانينات. إلا أن هذه الأنظمة لا تزال في طورها الابتدائي بالنسبة لكل من الجزائر* و إيران و مصر و لم يتم تطويرها في اليمن.

في بلد واحد فقط من بلدان هذه المنطقة، ألا و هو الأردن، تم تطوير نظام تمويل السكن بصفة موسعة حيث تجاوز مبلغ التمويل 10 % من الناتج الداخلي الخام. مع ذلك فإن هذا الرقم لا يعد مرتفعاً نسبياً بالنسبة لاقتصاد بارز. في تونس و الأردن و كذا في لبنان و المغرب، فإن أنظمة التمويل العقاري تم تطويرها إلى ما بعد الطور الابتدائي، إلا أنها لا تزال بعد صغيرة نسبياً. في كل هذه الدول، بما في ذلك الأردن، فإن أنظمة التمويل العقاري تحفز المجموعات ذات الدخل المرتفع و الدخل المتوسط. بالمقابل، فإن المجموعات ذات الدخل الضعيف ليس لها منفذ للحصول على التمويل الرهني بسبب ضعف مساهمتها في النظام الشكلي للتمويل، و الطبيعة لا شكلية أو عدم انتظام تدفقات الدخول و نقص الضمانات[14].

III. الديون الرهنية المدعمة سندياً « la titrisation » (التوريق):

تعريف الديون المدعمة سندياً[*]: وهي تقنية من خلالها يتم التنازل عن مجموعة من الديون (هي في الأساس قروض) إلى معبريه مالية « véhicule financier »، حيث تُمَول هي الأخرى بإصدارها لأوراق مالية تطرح في السوق. تشكل هذه الأوراق المالية القيمة المقابلة للديون[15].

و تعرف كذلك بأنها تقنية لتحويل المخاطر، تساهم في الفعالية المتنامية للنظام المالي[16]. كما تسمى هذه العملية بالتوريق المصرفي، و هو أداة مالية مستحدثة تفيد قيام مؤسسة مالية بحشد مجموعة من الديون المتجانسة والمضمونة كأصول، ووضعها في صورة دين واحد معزز ائتمانيا ثم عرضه على الجمهور من خلال منشأة متخصصة للاكتتاب في شكل أوراق مالية، تقليلا للمخاطر، وضمانا للتدفق المستمر للسيولة النقدية للبنك. لذلك يتمثل مصطلح التوريق (أو التسنيد) في تحويل القروض إلى أوراق مالية قابلة للتداول "Marketable Securities" أي تحويل الديون من المقرض الأساس إلى مقرضين

.

آخرين. وعلى ذلك، تبدو القروض المصرفية وكأنها قروض مؤقتة أو معبريه "Bridging " أي تنتقل القروض عبرها من صيغة القرض المصرفي إلى صيغة الأوراق المالية، فبالاعتماد على الديون المصرفية القائمة، يمكن خلق أصول مالية جديدة، وتوفير تدفقات نقدية. وتقوم تكنولوجيا التوريق أساسا على الإبداعات المستمرة في هيكلة الموجودات، وتبويبها بما يساعد على تقييم أدائها من جهة، والتمويل اللاحق من جهة أخرى، بهدف تحقيق الدخل، واستبعاد مخاطر الإفلاس[17].

و يطلق البعض الآخر على عملية "**la titrisation**" مصطلح **الاستثمار الجماعي في الحقوق الآجلة**، بوصفها أداة للربط بين السوق المصرفية و بين سوق المال، من خلال عمليتين: يناط بالأولى إعادة تمويل مانح الائتمان عبر نقل أصوله غير السائلة و المتمثلة في محفظة حقوقه على مدينه، إلى المنشأة الوسيطة بطريق حوالة الحق. و تخص الثانية بتفتيت هذه الأصول إلى وحدات تطرحها المنشأة الوسيطة للاكتتاب في صورة صكوك مالية قابلة للتداول[18].

و لقد انتقدت تسمية التوريق كونه مصطلح غير جامع لأنه يبرز فقط إحدى مراحل عملية الاستثمار، و هي المرحلة الثانية التي يتم خلالها تحويل الحقوق إلى صكوك مالية، دون الأولى التي تتمثل في نقل محفظة الحقوق إلى المنشأة الوسيطة. كما أنه مصطلح غير مانع، إذ أن تجسيد الحق في صورة ورقية ليست قصراً على هذا النظام، بل تمتد إلى الورقة التجارية و فاتورة "ديلى" و فاتورة نقل الحق القابلة لعمل "بروستو" عن عدم دفعها و غيرها.

و بالنظر إلى التجارب الأجنبية، وبالتحديد في البلدان الناطقة باللغة الإنجليزية، فإن الديون الرهنية يبدو بأنها تشكل الدعامة الطبيعية للقروض الرهنية المدعمة سندياً[19].

ونظراً لحافز التأثير الإيجابي لنظام "la titrisation" الذي أبرزه التطبيق العملي، قام المشرعون في العديد من الدول إلى مد نطاق تطبيقه خارج القطاع المصرفي.

هذا فضلاً عن أنه يتيح أمام المستثمرين في أسواق المال أداة مالية جديدة هي صكوك الاستثمار الجماعي.

IV. آثار عملية إعادة التمويل الرهني على النظام المصرفي و المالي في الجزائر:

1.4- وضعية الإقراض الرهني في الجزائر:

في السابق، كان تمويل السكن مسيراً كلياً من طرف الصندوق الوطني للتوفير و الاحتياط (CNEP)، و منذ التحرير المالي أصبحت معدلات الفائدة حرة و تم تحويل الصندوق (CNEP) إلى بنك تجاري. يقوم الصندوق بجمع ادخار الأسر في شكل ودائع و يمنح قروض رهنية للمقاولين (promoteurs) و للأفراد الذين يرغبون في اقتناء سكنات.

إن حافظة قروض المتملكين طويلة الأجل لا تمثل سوى مبلغ متواضع يقدر بـــ 33 مليار د.ج (أين نجد الأجزاء الحديثة جداً فقط هي التي تتوافق مع الرهون). على الرغم من التحديات الإستراتيجية التي يتعين عليه مواجهتها، فإن الصندوق (CNEP) استمر في إنتاج كل سنة 11000 قرض رهني (4 إلى 5 مليار د.ج)، مبجلاً مدخريه الذين لهم تاريخ طويل.

تعدّ سوق القرض العقاري في حالة تنوع، حيث يتجلى ذلك في دخول مقرضين جدد إلى الساحة. إن دخول القرض الشعبي الجزائري (CPA) إلى سوق السكنات سنة 1999، بقروض رهنية للمتملكين و المقاولين، جلب العنصر الأول للمنافسة بالنسبة للصندوق الوطني للتوفير و الاحتياط، و شكل نموذجاً مرجعياً بالنسبة لباقي البنوك. و اتبع نموذجه بنك التنمية المحلية (BDL) سنة 2000، ثم بنكين آخرين كبيرين ينتميان إلى القطاع العمومي، هما: البنك الخارجي الجزائري (BEA) و البنك الوطني الجزائري (BNA) من خلال تقديمهما لمنتجات رهنية. بينما يستعد البنك الفلاحي للتنمية الريفية (BADR) للقيام بنفس الشيء.

هناك عدد قليل من البنوك الخاصة قاموا هم كذلك باختراق سوق التمويل الرهني، مع العلم أن البنوك الخاصة في الجزائر تعد حديثة النشأة، و هي موجهة نحو تمويل المؤسسات على المدى القصير، إلا أن هيكلها الأكثر مرونة يمكن أن يمنح لها حافزاً مقارن، و مساهمتها ستدعم التطبيقات المجددة التنافسية[20].

2.4- تفاقم أزمة التمويل الرهني العقاري في التسعينات:

لقد تزايد تدخل الدولة في التمويل الرهني العقاري خلال التسعينات، حيث وصل إلى 169,33 مليار د.ج مع نهاية سنة 1995، و تم سداد جزء من هذا المبلغ من طرف الخزينة العمومية (91,85 مليار دينار) أما الجزء الباقي فقد سدد من طرف الصندوق الوطني للتوفير و الاحتياط، أي من مدخرات المواطنين (77,48 مليار د.ج).

إن هذا الارتفاع الملاحظ على مستوى التمويل العقاري يمكن تفسيره بالعوامل الآتية:

- الإسراع في نمط إنجاز السكنات الاجتماعية؛
- الشروع في مشاريع سكنية جديدة؛
- الارتفاع المتزايد لأسعار مواد البناء و ظهور أزمة مواد البناء؛
- التخفيض في فترة الدفع بالنسبة لحالات الأشغال المقدمة إلى الصندوق.

3.4-ظهور شركة إعادة التمويل الرهني (S.R.H):

في ضوء الأزمة الحادة للسكن التي عرفتها الجزائر في النصف الثاني من التسعينات، و العجز الكبير في التمويل مع عدم مقدرة الصندوق الوطني للتوفير و الاحتياط على تلبية الطلب المتزايد لعدد الوحدات السكنية، إضافة إلى عدم قدرة العائلات من ذوي الدخل المحدود على امتلاك سكنات، كان من الضروري التفكير في حلول عملية

ناجعة من أجل الخروج من هذه المعضلة. وبعد بحث و دراسة لمجموعة من الحلول مع المؤسسات المالية الدولية تم التوصل إلى حل يقضي بخلق مؤسسات مالية متخصصة في القروض الرهنية طويلة الأجل، فجاء إنشاء شركة إعادة التمويل الرهني **(SRH : Société de Refinancement Hypothécaire)** و شركة ضمان القرض العقاري (SGCI : Société de Garantie du Crédit Immobilier) في سنة

1997، بهدف تيسير شروط الإقراض السكني و حل معضلة السكن التي تعتبر قضية ذات أهمية قصوى، سواءً على المستوى الاجتماعي أو على المستوى الاقتصادي.

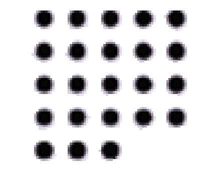
أ- عملية إعادة التمويل الرهني في الجزائر:

ترتكز عملية إعادة التمويل الرهني على مجموعة من المبادئ، حيث تعد هذه الأخيرة بمثابة شروط عامة ينبغي توفرها للقيام بهذه الوظيفة، حيث نوجزها فيما يلي[21]:

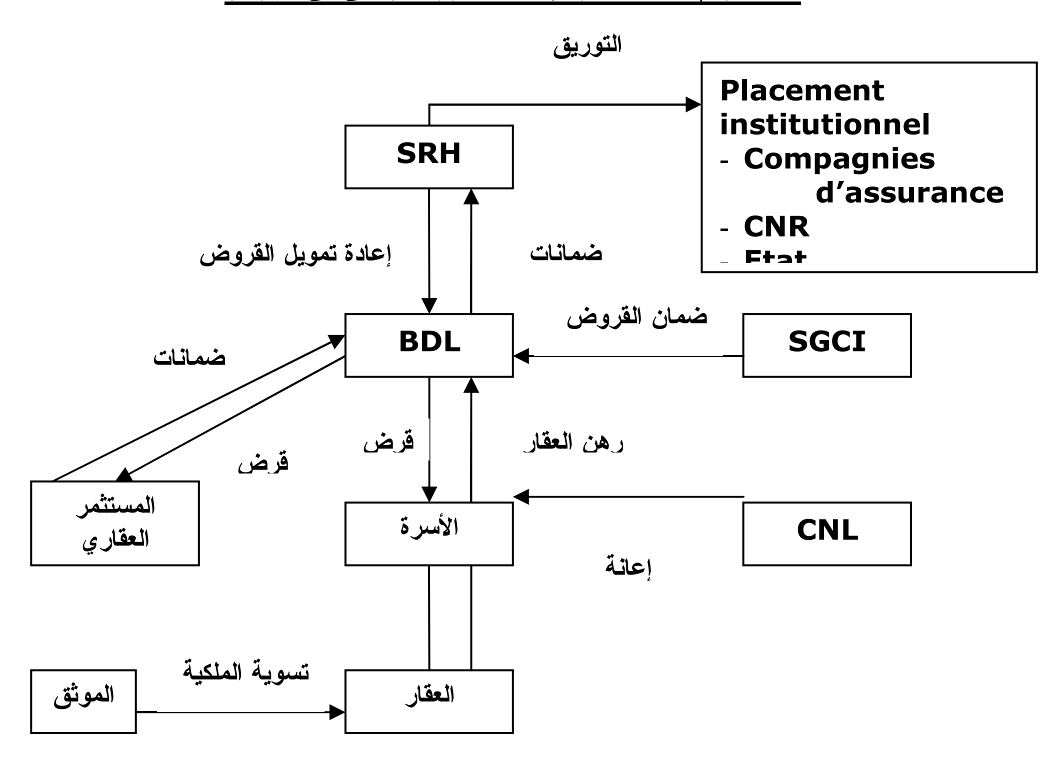
- إعادة تمويل محافظ القروض الممنوحة مقابل ضمانات للشرائح الاجتماعية المحرومة من طرف الوسطاء المعتمدين* الملزمين بتقديم قائمة اسمية بالديون المعاد تمويلها لشركة إ.ت.ر.
- تشكيل صندوق عقاري من الدرجة الأولى، ضماناً لعملية إعادة التمويل المنجزة من قبل ش.إ.ت.ر أثناء الاهتلاك أو التعويض المسبق للقروض الأصلية.
- الاحتفاظ بحق الملكية للديون الغير عقارية (الطريقة الأوروبية) التي هي في حوزة الحصيلة المالية للوسطاء المعتمدين، وكذا حق التحقق و المراقبة من وجودها المادي في عين المكان المحدد وذلك في أية فترة كانت.
- يلتزم الوسيط المعتمد المستفيد من عملية إعادة التمويل الرهني، بضمان الدفع المنتظم للفوائد و الأصول حتى في حالة توقف المقترض عن الدفع المؤقت، أي عكس الطريقة الأمريكية فإن الوسطاء المعتمدين هم الذين يتحملون المخاطر المرتبطة بمنح القروض الرهنية.
- إن التحويل لشركة إعادة التمويل الرهني لحق الملكية للديون العقارية يكون بواسطة عقد بيع ما بين الوسيط المعتمد و شركة إعادة التمويل الرهني (الطريقة الأمريكية).
- حسن مسؤولية تسيير القروض للوسيط المعتمد.
- تضمن القروض الممنوحة من طرف الوسطاء المعتمدين برهون من الدرجة الأولى، استناداً لعرض التنوع الجغرافي و اتخاذها لمقاييس وقائية من تقييم الأخطار.
- إن مدة الامتلاك القصوى للقروض العقارية لا تتعدى 25 سنة.

.

.



الشكل رقم 03: عملية إعادة التمويل الرهني في الجزائر



ب- طرق إعادة التمويل الرهني:

تتوافر ش.إ.ت.ر على طريقتين[22] أساسيتين لإعادة تمويل محافظ القروض الرهنية:

- **إعادة التمويل "مع حق الرجوع":**

تبعاً لهذه الطريقة، فإنه بإمكان الوسيط المعتمد الحصول عل المبالغ المطلوبة لإعادة تمويل القروض التي قدمها في إطار تمويل السكن في حدود 80 % من الضمانات المقدمة لذلك، إلا أن القروض تبقى ضمن موجودات الوسيط المعتمد. و يتحمل هذا الأخير جميع الأخطار المتعلقة بالقروض الممنوحة في إطار تمويل السكن، كما تبقى جميع الرهونات العقارية و التأمينات مسجلة باسم الوسيط المعتمد.

- **إعادة التمويل "بدون حق الرجوع":**

و تبعاً لهذه الطريقة، فإنه بإمكان الوسيط المعتمد الحصول على المبالغ المطلوبة في إطار إعادة التمويل للمحافظ العقارية التي تم تمويلها في إطار القروض السكنية، لكن بعد إتمام تحويل جميع الرهونات و الضمانات الأخرى باسم شركة إعادة التمويل الرهني، أي عكس ما هي عليه الطريقة الأولى. و تتحمل بمقتضى ذلك ش.إ.ت.ر جميع الأخطار المتعلقة بالديون التي تمت إعادة تمويلها بشرط أن:

- يتعهد الوسيط المعتمد بالاستمرار في إدارة القروض المتنازل عنها لفائدة شركة إعادة التمويل الرهني مقابل عمولة يتم الاتفاق عليها بين الطرفين.
- أن يوقع الوسيط المعتمد مع ش.إ.ت.ر عقداً يتضمن إدارة و استرداد المبالغ المستحقة من الزبائن.
- أن يوقع الوسيط المعتمد مع ش.إ.ت.ر عقداً يتضمن عملية التنازل على المحافظ العقارية.

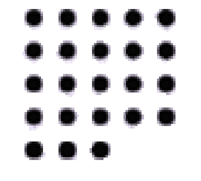
هذان العقدان يخضعان للتفاوض بين ش.إ.ت.ر و الوسيط المعتمد.

4.4-دور السلطات العمومية في تطوير سوق القروض الرهنية:

تبعاً للوضع الراهن، و ما نجم عنه من نقص فادح في الموارد المالية طويلة الأجل، أقدمت السلطات الجزائرية على القيام بجملة من الإجراءات الإصلاحية الرامية إلى تطوير السوق الرهنية في الجزائر، حيث تمثلت هذه الإجراءات في اتخاذ قرار بمتابعة عمل تحديث و تسهيل الحصول على القرض الرهني بالمصادقة، تحت تمويل للبنك الدولي، على مشروع مساعدة تقنية من أجل تطوير القرض الرهني في الجزائر، إضافة إلى سن قوانين فيما يتعلق بتطهير العقار و تحرير مهنة التوثيق في الجزائر، و كذا إصدار مراسيم في إطار قانون المالية لسنة 2005، تعمل على خلق جو ملائم يسمح بتطوير السوق الرهنية. كما تم في هذه السنة (2006) المصادقة من طرف البرلمان على مشروع قانون توريق القروض الرهنية الذي يعتبر بمثابة الآلية المنظمة للسوق الرهنية الثانوية و بمثابة الأداة التي تسمح بتوفير السيولة طويلة الأجل.

5.5-أثر ظهور ش.إ.ت.ر على التحكم في المخاطر:

كنا قد تطرقنا في ما سبق إلى أن عملية إعادة التمويل الرهني تتم بطريقتين: "إعادة التمويل مع حق الرجوع" و "إعادة التمويل بدون حق الرجوع"، إلا أن عمليات إعادة التمويل الرهني التي تمت منذ ظهور الشركة إلى يومنا هذا كانت على وفق الطريقة



الثانية، أي مع حق الرجوع، ومن ثمَّ فإن مخاطرة العجز عن السداد من قبل العملاء تتحملها البنوك المقرضة فقط. و تطلب ش.إ.ت.ر مقابل المبلغ المعاد تمويله ضمان من البنك في شكل أوراق مالية و ليس ضمانات حقيقة (رهون)، لأنه وفق هذه الطريقة تكون الرهون من الدرجة الأولى مسجلة باسم البنك المقرض. كما تجدر الإشارة إلى أن عمليات إعادة التمويل الرهني تتم حالياً مع بنك واحد فقط هو بنك التنمية المحلية، هذه الوضعية يمكن أن تفسر بالظروف الغالبة على مستوى البنوك و التي تتميز باليسر المالي المتنامي. هذه الأخيرة قامت باستعمال مواردها الخاصة عوض أن تلجأ إلى إعادة التمويل لدى ش.إ.ت.ر. فضلا عن ذلك، فإن صعوبات التوظيف و ضعف معدلات المردودية المقترحة على سندات الدولة بالمقارنة مع آجال الاستحقاق التي تحملها منعت من توظيف فائض الخزينة. أضف إلى ذلك غياب آلية قانونية تتماشى مع التحولات التي تعرفها السوق و الإصلاحات التي أدخلت على القطاع المالي، و هذه الآلية تتمثل في توريق القروض الرهنية.

سيتم تدعيم الطريقة المستعملة حالياً (حسب الرئيس المدير العام لــ ش.إ.ت.ر) بالطريقة الثانية المتمثلة في إعادة التمويل "من دون حق الرجوع" و ذلك في مرحلة مستقبلية عندما ستقرر الشركة شراء الديون، و في هذه الحالة فإن الرهون من الدرجة الأولى

ستسجل باسم ش.إ.ت.ر، و سيتم بموجب هذه الطريقة كذلك تخلص البنوك من تحمل مخاطر القروض التي ستقوم بمنحها.

تجدر الإشارة كذلك، إلى أنه في إطار عملية إعادة التمويل فإن كل القروض العقارية المؤشر عليها حالياً هي مضمونة من طرف شركة ضمان القرض العقاري (SGCI)، أي أنه بالرغم من استعمال الطريقة الأولى في عملية إعادة التمويل (مع حق الرجوع) إلا أن مخاطرة العجز عن السداد لا يتم تحملها من قبل البنك لوحده بل يتم اقتسامها في السوق من خلال وجود مؤسسات مالية متخصصة في ضمان القروض مثل (SGCI) [23]. كما تعمل سندات ش.إ.ت.ر على تدعيم المراكز المالية للبنوك المرخصة و تساهم في رفع نسبة كفاية رأس المال المطلوبة (Ratio Cooke - Ratio

McDonough) من البنك المركزي حيث أن الوزن الترجيحي لدرجة مخاطر سندات الشركة قد لا تتجاوز 20 %.[24]

6.5- أثر ظهور ش.إ.ت.ر على المردودية:

تجدر الإشارة إلى أن ش.إ.ت.ر استطاعت، منذ سنة 2000 إلى غاية 2004/12/31، إعادة تمويل بعض محافظ الديون الرهنية المقدمة من طرف بنك BDL من أجل مبلغ إجمالي يقدر بـــ 6.741.419.075 د.ج، حيث أن أكثر من 86 % من هذا المبلغ تم تحقيقه سنة 2003 و 2004.

رقم 01: عمليات إعادة التمويل المنجزة من طرف ش.إ.ت.ر منذ 1999 إلى 2004

السنة	مبلغ إعادة التمويل د.ج	معدل إعادة التمويل
1999	77.000.000	8 %
2000	91.130.371	7.5 %
2001	162.031.044	7 %
2002	658.473.390	5 إلى 6 %
2003	3.564.990.394	5 إلى 6 %
2004	1.862.265.658	5 إلى 5,5 %

المصدر: SRH - Bilan et perspectives 1997-2003, P19

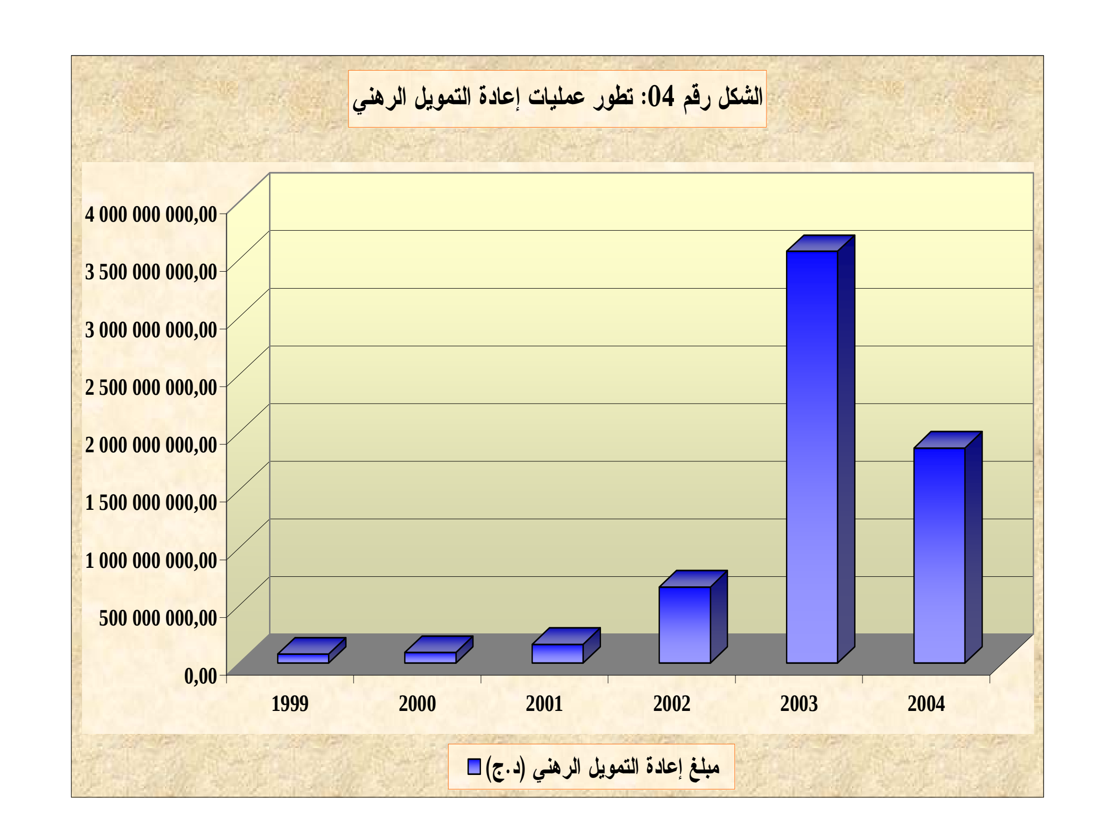
إن ظهور شركة إعادة التمويل الرهني، منذ بداية النشاط إلى يومنا هذا، كان له أثر نسبي على مردودية الائتمان، على الرغم من كون إصدار القرض السندي في السوق المالية سنة 2003 في إطار عملية تجريبية كان لها عظيم الأثر في السوق المالية من حيث أنها تعد أول عملية من نوعها في الجزائر لتمويل قطاع السكن عن طريق حشد أموال من السوق المالية بدلاً على الاعتماد المطلق على موارد الميزانية، و هذا راجع

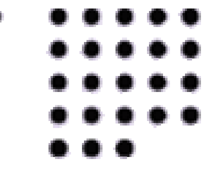
بطبيعة الحال إلى عزوف البنوك عن هذه العملية للأسباب التي عرفناها من جهة و إلى حداثة العملية من جهة أخرى.

7.5- أثر ظهور ش.إ.ت.ر على السيولة:

لقد سمحت عمليات إعادة تمويل محافظ القروض الرهنية بتوفير السيولة لبنك التنمية المحلية (BDL)، في كل مرة كان يحتاج إلى ذلك، حيث تمكنت ش.إ.ت.ر من تمويل قروض بمبلغ 7 مليار د.ج لفائدة هذا البنك في الفترة الممتدة ما بين 2001 و 2005، حيث تتم عملية إعادة التمويل على فترة 5 سنوات قابلة للتجديد إلى غاية الاهتلاك النهائي الذي يتوافق مع فترة القروض الممنوحة من قبل البنك للعملاء. و يوضح الرسم البياني المبين أسفله (الشكل رقم: 04) تطور عمليات إعادة تمويل محافظ القروض الرهنية المنجزة من طرف ش.إ.ت.ر، حيث أن عمليات إعادة التمويل هذه عرفت نهجا متصاعدا مرتبطا بمستوى تطوري لعمليات إعادة التمويل خصوصاً في سنة 2003.

أما عن سنة 2004، فقد عرفت عمليات إعادة التمويل تراجعاً مقارنة مع 2003، و هذا راجع على وجه الخصوص إلى تحقق فائض في السيولة على مستوى السوق النقدية.





المصدر:

SRH - Bilan et perspectives 1997-2003, P19

SRH – Rapport annuel 2004, P10

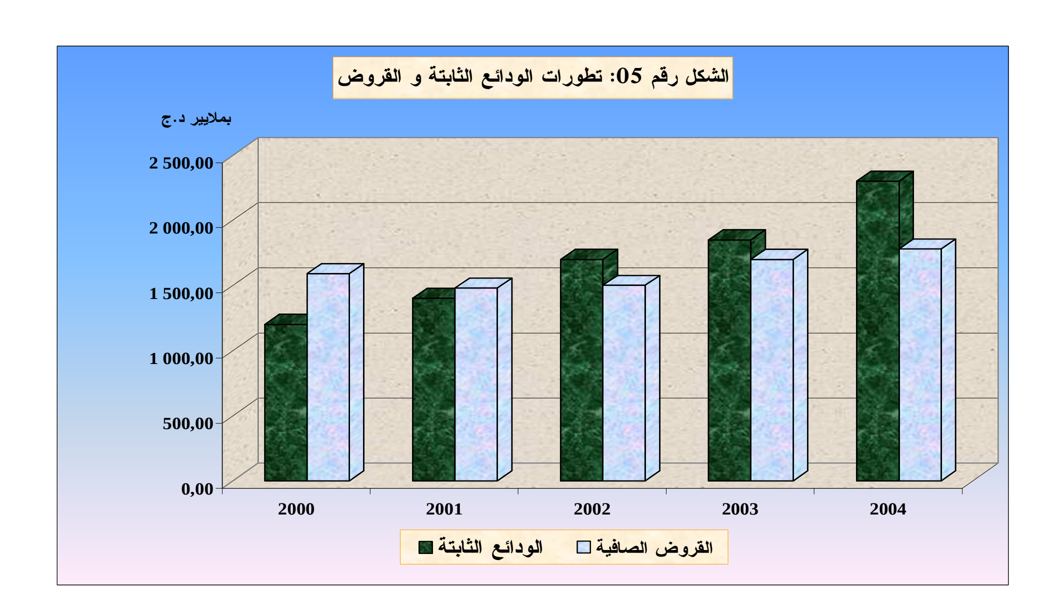
8.5- أثر ظهور ش.إ.ت.ر على حجم القروض:

إن عرض القرض السكني من طرف البنوك يشكل أحد أدوات تنمية القروض الرهنية الموجهة للأسر، في الأثناء التي تبرز فيها زيادة عرض السكنات كعنصر مهيمن من أجل تطوير السوق الرهنية، كما أن الجانب العقاري و الجوانب القانونية المرتبطة بسندات الملكية تظل هي الأخرى مهمة.

يقدر حجم القروض الموزعة من قبل المؤسسات المالية بـــ 7,2 مليار د.ج مع نهاية سنة 2004 مقابل 8,7 مليار د.ج في نهاية 2003. و يقدر نصيب شركة إعادة التمويل الرهني من حجم القروض الموزعة بـــ 1,8 مليار د.ج مع نهاية سنة 2004 مقابل 3,5 مليار د.ج في نهاية سنة 2003. و على الرغم من بقاء الظروف النقدية ملائمة و مواتية لتوزيع قروض سليمة، إلا أن ارتفاع وتيرة توزيع القروض الرهنية بقيت بطيئة جداً، و يرجع هذا بطبيعة الحال إلى المستوى الضعيف للجوء البنوك
إلى إعادة التمويل لدى ش.إ.ت.ر و هذا لسبب الظرفية الاقتصادية التي تتسم بيسر مالي أدى إلى فائض في وفرة السيولة، حيث يبقى التمويل الذاتي نمط التمويل المهيمن للسكنات، على الرغم من الآليات المالية التي تم وضعها ابتداءً من سنة 1997 (SGCI – SRH).

في الواقع إن حجم التمويل البنكي للسكن لا يتجاوز حالياً 1,65 % من الناتج الداخلي الخام، في حين نجد أن إعانات الدولة للسكن تقارب 3 % من الناتج الداخلي الخام، مما يوحي بأن حجم التمويل البنكي للسكن يبقى ضعيفاً جداً، لا سيما و أن الادخار المالي للأسر يشهد نمواً قوياً منذ سنة 2000 و أكثر، فهو ذو طبيعة جد مستقرة (أنظر الشكل رقم 05). في هذا الجانب، لا يوجد إذن مشكل التحويل المالي بالنسبة للبنوك، لذلك فإنه لمن الجلي إرساء تطوير الوساطة البنكية، جزئياً، على تطوير مدعوم للتمويل البنكي للسكن (القروض الرهنية). إن الهدف المنشود خلال السنوات 2005–2009

هو توجيه أهمية الادخار المالي للأسر، ذو الطبيعة المستقرة، نحو التمويل طويل الأجل للسكن. فضلاً عن ذلك، فإن التطور المنتظر من نظام التوريق سيترجم بالنسبة للبنوك، من خلال انخفاض تكاليف القروض، بخلق سلوكات جديدة لتعبئة الموارد و سهولة عظمى



فيما يخص احترام معايير نسبة القدرة على الوفاء (ratio Cooke) و نسبة التحويل[25].

المصدر:

Évolution économique et monétaire en Algérie, Banque d'Algérie, Rapport 2004, P104.

9.5-آفاق عملية إعادة التمويل الرهني في الجزائر:

إن عمليات إعادة التمويل الرهني تتم حالياً مع بنك واحد فقط هو بنك التنمية المحلية. هذه الوضعية يمكن أن تفسر بالظروف الغالبة على مستوى البنوك و التي تتميز باليسر المالي المتنامي. هذه الأخيرة لجأت إلى استعمال مواردها الخاصة عوض أن تلجأ إلى إعادة التمويل لدى ش.إ.ت.ر. فضلا عن ذلك، فإن صعوبات التوظيف و ضعف معدلات المردودية المقترحة على سندات الدولة بالمقارنة مع آجال الاستحقاق التي تحملها

منعت من توظيف فائض الخزينة. أضف إلى ذلك غياب آلية قانونية تتماشى مع التحولات التي تعرفها السوق و الإصلاحات التي أدخلت على القطاع المالي، و هذه الآلية تتمثل في توريق القروض الرهنية.

لكن و بعد المصادقة على قانون التوريق في 17 جانفي 2006 يتوقع أن تعرف السوق الرهنية الثانوية إنطلاقة جدية حيث أنه حسب تصريحات المسؤول الأول لــ « SRH » فإن العديد من البنوك أبدت استعداداً و اهتماماً للجوء إلى عملية إعادة التمويل الرهني، نذكر من بينها بنك البركة الجزائر و البنك الأجنبي « Société Générale » و بنوك أخرى.

خاتمة:

يكتسي مستوى تطور القطاع المالي و صحة النظام البنكي أهمية جوهرية لبروز السوق الرهنية، و لقد أثبتت التجربة الدولية أن الأنظمة المفتوحة القائمة على آليات السوق هي الأداة الأفضل لتعبئة الادخار طويل الأجل من أجل التمويل الرهني العقاري. إن تواجد سوق رهنية غالباً ما يكون مرتبط بتقنية توريق الديون الرهنية، حيث يمثل هذا التوجه الملفت خاصة على الصعيد المصرفي الدولي، لتحويل القروض إلى أوراق مالية قابلة للتداول، أهمية كبيرة كأداة مصرفية حديثة تؤمن السيولة ومنح الائتمان مع خفض حجم مخاطر التعثر أو الإفلاس، ويزداد هذا التوجه الجديد رسوخا في الممارسات المصرفية تزايدا مناظرا لتوافر العوامل الميسرة لمنح الائتمان.

إن المساهمة الحالية للنظام المصرفي الجزائري في التمويل العقاري (بالإعانة أو من دون الإعانة) لا تتجاوز 10 % من الاحتياجات المعبر عنها سنوياً. هذه المساهمة تبقى بعيدة لأن تكون مرضية بالنظر إلى القدرات الخفية في ظل النظام البنكي، حيث أن هذا النظام يحتوي على 120000 وكالة بنكية ممتدة على التراب الوطني و التي ينبغي من المفروض أن تساهم في التمويل العقاري بنسبة لا تقل عن 60 % من الاحتياجات الحالية، أي ما يتناسب مع تمويل سنوي يعادل 60000 سكن صادر عن القطاع البنكي.

بالطبع هناك كوابح قانونية، تقنية و مالية من أجل بلوغ هذا الهدف، لكن المشكل الحقيقي يبقى في مستوى الوظيفة البنكية أو المعرفة في مجال التمويل العقاري و ما له من أثر إيجابي على تحسين أداء الائتمان البنكي، خاصةً مع ظهور شركة إعادة التمويل

الرهني و ما يمكن أن تقدمه للبنوك و المؤسسات المالية الأخرى من حوافز، كتحويل المخاطر و ضمان السيولة طويلة الأجل و كذا توفير مصادر جديدة للدخل.

قائمـــــة المراجـــع:

أ- باللغة العربية:

1- التوريق العقاري كأحد آليات تفعيل قانون التمويل العقاري، بنك الإسكندرية، النشرة الاقتصادية، المجلد الخامس والثلاثون، 2003.

2- الطاهر لطرش، تقنيات البنوك، الطبعة الرابعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005.

3- عبد القادر بلطاس، الاقتصاد المالي و المصرفي "السياسات و التقنيات الحديثة في تمويل السكن"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون سنة طبع.

4- هشام فضلى، الاستثمار الجماعي في الحقوق الآجلة-التوريق، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية 2004.

ب- باللغة الفرنسية:

1- Ahmed Silem, Jean-Marie Albertini, Lexique d’économie, 6 ème édition, Ed DALLOZ, Paris, 1999.

2- Anne Benoit-Moury et al, Chronique de droit à l'usage du notariat, 1ère édition, Ed Larcier, Belgique, 1999.

3- Deep. A et D. Domanski: « Marchés immobiliers et croissance économique : enseignements de la vague de refinancements aux États-Unis », Rapport trimestriel BRI, septembre 2002.

4- Évolution économique et monétaire en Algérie, Banque d’Algérie, rapport 2004.

5- Guide pratique pour le refinancement des crédits au logement, SRH-SPA.

6- Kamel CHEHRIT, Techniques et pratiques bancaires - financières et boursières, Ed G.A.L, Alger, 2003.

7- La Banque Mondiale, La performance macroéconomique et sectorielle des politiques du logement dans des pays de la région MENA, étude comparative : Algérie, Egypte, Iran, Jordanie, Liban, Maroc, Tunisie et Yémen, Avril 2005.

8- Les condition de refinancement du crédit hypothécaire et modalité de suivi, guide pratique, SRH-DTI, Octobre 2003.

9- Michel Rouach et Gérard Naulleau, Le contrôle de gestion bancaire et financier, 4ème édition, Ed Revue Banque, Paris, 2002.

10- Nicolas JACHIET et al, Rapport d'enquête sur l'hypothèque et le crédit hypothécaire, Ministère de l'Économie, des finances et de l'industrie, France, 24 novembre 2004.

11- Projet d'assistance technique pour le développement du crédit hypothécaire en Algérie, Rapport de la banque mondiale N° 21446-Al, 5 juin 2002.

12- Robert FERRANDIER et Vincent KOEN, Marché de capitaux et techniques financières, 4e édition, Ed ECONOMICA, Paris, 1997.

13- SRH - Bilan et perspectives 1997-2003.

14- SRH – Rapport annuel 2004.

قـائمة الهوامـــــش

1. الطاهر لطرش، **تقنيات البنوك**، الطبعة الرابعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص ص 218-219.
2. Ahmed Silem, Jean-Marie Albertini, **Lexique d'économie**, 6 ème édition, Ed DALLOZ, Paris, P523.
3. Ahmed Silem, Jean-Marie Albertini, op.cit, P182. et Nicolas JACHIET et al, **Rapport d'enquête sur l'hypothèque et le crédit hypothécaire**, Ministère de l'Économie, des finances et de l'industrie, France, 24 novembre 2004, P5. et Kamel CHEHRIT, **Techniques et pratiques bancaires - financières et boursières**, Ed G.A.L, Alger, 2003, P152.

* في غالبية الدول يعتبر القرض العقاري قرض رهني، ماعدا في فرنسا فإنه قد لا يكون بالضرورة كذلك، فهناك قروض ذات مبالغ ضئيلة تمنح بدون ضمانات.

4. Nicolas JACHIET et al, op.cit, P5.
5. www.schl.ca
6. www.schl.ca
7. **Les conditions de refinancement du crédit hypothécaire et modalité de suivi**, Guide SRH-DTI, Alger, octobre 2003, P1.
8. عبد القادر بلطاس، **الاقتصاد المالي و المصرفي** "**السياسات و التقنيات الحديثة في تمويل السكن**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون سنة طبع، ص 89.
9. عبد القادر بلطاس، مرجع سابق، ص 128.
10. عبد القادر بلطاس، مرجع سابق، ص 129.
11. نفس المرجع، ص 130.
12. عبد القادر بلطاس، مرجع سابق، ص 30.
13. نفس المرجع، ص 29.
14. نفس المرجع، ص 31.

* تجدر الإشارة إلى أن نظام التمويل الرهني العقاري المتبع في الجزائر مقتبس من النظام الأمريكي على غرار باقي دول منطقةالشرق الأوسط و شمال إفريقيا.

15. La Banque Mondiale,F La performance macroéconomique et sectorielle des politiques du logement dans des pays de la région MENA, étude comparative : Algérie, Egypte, Iran, Jordanie, Liban, Maroc, Tunisie et Yémen, Avril 2005, PP21-22.

* هناك مصطلح آخر يطلق على هذه العملية خاصة في بلدان المشرق العربي حيث تعرف « **la titrisation** » بـــ "**التوريق**" أو "**التسنيد**".

16.[26] Anne Benoit-Moury et al, **Chronique de droit à l'usage du notariat**, 1ère édition, Ed Larcier, Belgique, 1999, P228.
17.[27] Robert FERRANDIER et Vincent KOEN, **Marché de capitaux et techniques financières**, 4e édition, Ed ECONOMICA, Paris 1997, P170.
18. [28] http://www.tashreaat.com, http://www.qanoun.net

19. [29] هشام فضلى، الاستثمار الجماعي في الحقوق الآجلة-التوريق، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية 2004، ص 6.
20. [30] Robert FERRANDIER et Vincent KOEN, op.cit, P164.
21. [31] Les condition de refinancement du crédit hypothécaire et modalité de suivi, guide pratique, SRH-DTI, Octobre 2003, P 6.
* يتمثل الوسطاء المعتمدون في البنوك و المؤسسات المالية المعتمدة قانونياً من قبل شركة إعادة التمويل الرهني.
22. [32] **Guide pratique pour le refinancement des crédits au logement**, SRH-SPA, PP7-8.
23. [33] **SRH - Bilan et perspectives 1997-2003**, PPP14-15-16.
24. [34] عبد القادر بلطاس، مرجع سابق، ص 72.
25. [35] **Évolution économique et monétaire en Algérie**, Banque d'Algérie, rapport 2004, PP80-104.

Sites Internet:

1- http: //www.schl.ca
2- http://www.economic-research.bnpparibas.com
3- http://www.us.moheet.com

4- http://www.banque-france.fr



5- http://www.lesechos.fr

6- http://www.qanoun.net

7- http://www.tashreaat.com

8- http://www.univ-orleans.fr

تصميم نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية في الوحدات الاقتصادية

علي فاضل جابر

طالب دراسات عليا في كلية الإدارة والاقتصاد قسم المحاسبة
الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك

المقدمة :-

نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية هو أحد النظم الفرعية ضمن نظم المعلومات المحاسبية يهتم بتوفير المعلومات التاريخية والحالية والمستقبلية الخاصة بالموارد البشرية كافة، وتقديمها إلى الجهات التي يهمها أمر تلك الموارد سواء كانت هذه الجهات داخلية أو خارجية لمعرفة قيمة الموارد البشرية التي تعد الأصول الأكثر قيمة في الوحدات الاقتصادية وبخاصة في المشروعات الصناعية والمشروعات الخدمية 0

إن تصميم نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية يساعد في قياس قيمة الموارد البشرية بصورة مالية والمساهمة في تخطيط تلك الموارد على مستوى الوحدة الاقتصادية

وكذلك على المستوى القومي من خلال المساهمة في رسم سياسات التوظف والعمالة وما يرتبط بهـــا مـــن سياســـات تنظـــيم الهجـــرة والأجـــور والترقيـــات والحـــوافز بـــشكل علمـــي.

يعد موضوع محاسبة الموارد البشرية من الموضوعات الحديثة نـــسبياً فـــي مجال المحاسبة ، حيث ظهرت بوادر الاهتمام به من قبل المحاسبين منذ أوائل السبعينات من القرن العشرين للتعرف إلى أهمية الموارد البشرية في الوحدات الاقتصادية ، نتيجـــة ظهور طلب متزايد على خدمات أفراد يتمتعون بقدرات علمية ومهنية عالية ، ومـــن ثـــم تركيز متزايد على رأس المال البشري أكثر منه على رأس المال المادي . وهذا يتطلـــب مجموعة من الاساليب العلمية التي يمكن أن تساهم وتساعد في تقييم تلك الموارد كأصول بصورة مالية شأنها بذلك شأن أية أصول أخرى يتم استثمارها في الوحدات الاقتصادية.

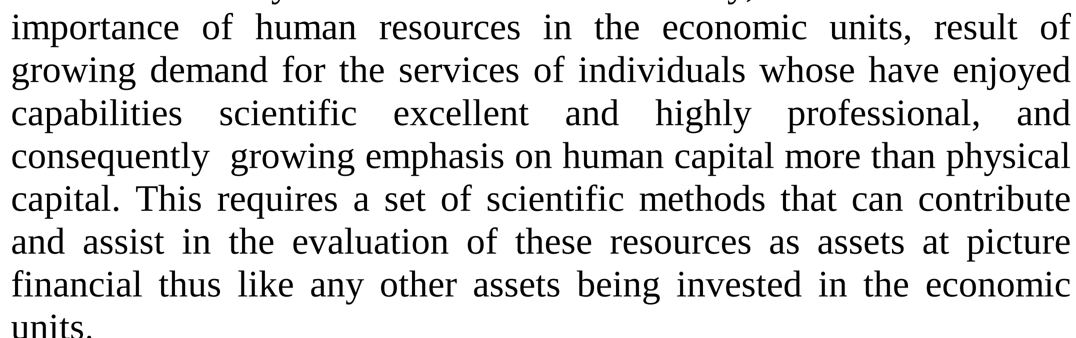
وتتجلى أهمية الموارد البشرية في المشروعات الصناعية والمشروعات الخدمية من خلال التأثير على القيمة السوقية لتلك الوحدات الاقتصادية في أسواق الأوراق المالية, من حيث مساهمتها في العمليات الاقتصادية التي تمارسها تلك الوحدات ومـــا يمكـــن أن تشكله تلك الموارد وما تحتله من قيمة ملموسة وغير ملموسة يمكن أن تـــؤثر بـــشكلٍ أو بآخر على استمرارية تلك الوحدات في أداء مهامها ، وهذا يعني أن الموارد البشرية يمكن أن تحتل مكاناً بارزاً وأهمية كبيرة عند اتخاذ القرارات المختلفة والمتعلقة بنشاط الوحدات الاقتصادية التي تعمل فيها ، ومن ثم يصبح من الضروري الاهتمام بكافة البيانات التـــي تتعلق بالموارد البشرية لكي يكون بالإمكان الاستفادة منها في كافة المجالات التي تحتـــاج إلى اتخاذ قرارات مباشرة بشأنها .

Introduction :-

Information system accounting of human resources is one sub-systems include the information systems accounting concerned with providing all the information historical and current and future human resources, and submitted to the stakeholders that resources, whether they are internal or external to know the value of human resources, Which is most the assets value in economic units , particularly in the industrial and service projects .

The design Information system accounting of human resources help to measure the value of human resources at picture financial, and contributors in planning of this resources on the level of economic unity, as well as on the national level from through contributing to policy-making, employment, employment and associated the policies regulating immigration, wages, promotions and incentives in a scientific.

Subject accounting of human resources of a relatively modern subjects in the area of accounting, signs have emerged of interest with it from



accountants since the early seventies of the 20th century, to be briefed on the importance of human resources in the economic units, result of growing demand for the services of individuals whose have enjoyed capabilities scientific excellent and highly professional, and consequently growing emphasis on human capital more than physical capital. This requires a set of scientific methods that can contribute and assist in the evaluation of these resources as assets at picture financial thus like any other assets being invested in the economic units.

Show clearly the importance of human resources in the industrial and the projects service from through the impact on the market value of those economic units in the securities markets, in from terms of their contribution to operations economic processes exercised by those units and what can pose those resources and what occupied by the value of tangible and intangible that may affect one way or another on the viability of such units in the performance of its functions, and this means that human resources can occupy a prominent and great importance when decisions-making the various activities in the units economic, and therefore it is necessary to pay attention to all data related to human resources to be able to benefit from all fields that need to make decisions on them directly .

Include the search follows :

The first theme : Information system Accounting of human resources.

The second theme: human resource development and its role in improving the competitiveness of the economic unit.

The third theme : the integration of Information system Accounting of human resources and information system of human resources management from the point view of information systems.

The fourth theme : accounting treatments of human resources

مشكلة البحث

معظم الوحدات الاقتصادية لاتعطي الأهمية الكافية للبيانات المحاسبية التي تخص الموارد البشرية التي تعمل فيها وهذا يؤدي إلى حدوث قصور في نظم المعلومات المحاسبية من حيث توفير المعلومات التي تتعلق بتلك الموارد من الناحية المحاسبية الدقيقة يمكن أن تساهم من خلالها في اتخاذ قرارات أكثر دقة وفائدة وبما يؤدي إلى خدمة الوحدة الاقتصادية بصورة أكثر فاعلية .

أهمية البحث

تأتي أهمية البحث من حيث تناوله موضوعاً محاسبياً معاصراً مهما , وهو محاولة للإجابــة عن الاسئلة والمواضيع المحاسبية العالقة ، فضلا عن كثرة توصيات الباحثين في مجال محاسبة الموارد البشرية بضرورة توفير وتصميم نظم معلومات محاسبة الموارد البشرية في الوحدات الاقتصادية بعد أن كانت غالبية البحوث تركز على الجانب النظري من حيث ادارة الموارد البشرية دون الاهتمام بجوانب الماليه التي يمكن ان توفرها نظم معلومــات محاســـبة المـــوارد البـــشرية ، وهـــو مـــا يحـــاول البحـــث تحقيقـــه .

هدف البحث

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على أهمية محاسبة المــوارد البــشرية كنظــام للمعلومات في الوحدات الاقتصادية يمكن أن يساعد في تنظيم بيانات تلك الموارد ويشغلها لكي يتم إنتاجها في صورة معلومات يمكن أن تفيد في اتخاذ قرارات أكثر فاعليــة بمــا يتعلق بالموارد البشرية خاصةً إذا ما تم تحقيق التكامل بينه وبين نظــام معلومــات إدارة الموارد البشرية في تلك الوحدات .

فرضية البحث

لتحقيق هـدف البحـث ، فقـد تـم الاعتمـاد علـى الفرضـية الآتيـة :
" تصميم نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية في الوحدات الاقتصادية يساعد في زيادة فاعليـــة القـــرارات الخاصـــة بـــالموارد البـــشرية التـــي تعمـــل فيهـــا " .

منهج البحث

إعتمد البحث على المنهج الوصفي وذلك من خلال الاستفادة من الرسائل العلمية والدوريات والكتب العربية التي تناولت موضوعات محاسبة المــوارد البــشرية ونظــم المعلومات المحاسبية والإدارية .

المبحث الاول:- نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية

مفهوم نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية:-

لقد اصبحت نظم المعلوماتية أداة لاغنى عنها في مجال الاعمال , مــع وجــود اجهزة الحاسوب وتقنيات الشبكات والاتصالات , واصبحت الوحدات الاقتــصادية التــي لاتتعامل مع هذا التطور عاجزة عن التفاعل مع العالم الاقتصادي الجديد . فالمحاسبة(1) نظام لتوفير المعلومات التي تحتاجها الاطــراف المختلفــة وعلــى وجــه الخــصوص المستثمرين والمقرضين والعاملين والمتعاملين مع الوحدة الاقتــصادية 0 أمــا المــوارد البشرية فهي من دون شك تشمل العاملين في الوحدة الاقتصادية وعلى اختلاف مستوياتهم الادارية 0

حيث عرفت (2) بأنها عملية تحديد قيمة الموارد البشرية ومعرفة كيفية معالجتها , ومن ثم التعرف على التغيرات التي تطرأ عليها لاظهــار القيمــة الحقيقيــة للاصــول الانسانية وامداد الاطراف المعنية بهذه المعلومات . كما تم تعريفها (3) بأنهــا عمليــة قياس واعداد التقارير عن الديناميكيات البشرية في المنظمة , وهي عمليــة تقيــيم حالــة الموارد البشرية في المنشأة وقياس التغير في هذه الحاله على مدار الــزمن , كمــا انهــا

عملية توفير معلومات عن الافراد والجماعات للمنشأه لمتخذي القرارات سواء داخل المنشأة أو خارجها .

كما ان مفهوم الموارد البشرية(4) يضع الانسان على نفس مستوى الموارد المجتمعية الاخرى الا انه مورد من أغلى الموارد , فهو القادر على تحويل الموارد الى طاقه منتجه ونافعة , ذلك أن الانسان هو صانع هذا التحول في الموارد الاخرى وهو الموظف لها , وهو بذاته مورد لاتنضب طاقاته وهو في نهاية الامر الغاية والهدف الذي من اجله يتم استثمار وتشغيل طاقات مختلف الموارد الاخرى . كما تم تعريف محاسبة الموارد البشرية(5) بأنها اسلوب لتحديد وقياس وتوصيل المعلومات الخاصة بالموارد البشرية للاطراف المعنية داخل أوخارج المشروع بهدف رفع كفاءة العاملين وادارة المشروع وتحسين نوعية القرارات الخاصة بالمشروع0

ويرى الباحث انه يمكن تعريفها بأنها نظام يتضمن عملية قياس وتحديد الموارد البشرية كأصول لتوفير المعلومات لاطراف داخلية أو خارجية وعلى وجه الخصوص المستثمرين والمقرضين 0

ان الفكرة الاساس لمحاسبة الموارد البشرية تدور حول القيمة الاقتصادية وهي تقديم بيانات عن قيمة الموارد البشرية الموجودة كأصول لها قيمتها السوقية التي تؤثر في قيمة الوحدة الاقتصادية في اسواق المال .وذلك من خلال تقديم المعلومات والبيانات اللازمة لمساعدة الاداره في اتخاذ القرارات اللازمة فيما يخص القوى العاملة , كزيادة المهارة والانتاجية بتطبيق برامج لتعليم وتدريب العاملين

ان محاسبة الموارد البشريه تحقق مزايا عدة للادارة (6) منها :

1.التخطيط السليم للقوى العامله لمواجهة الاعباء الحالية والمتوقعة .
2.تقدير الاستثمارات التي توجهها المنظمة في بناء تنظيمها الانساني .
3.تحديد أفضل مجالات الاستفاده من الاصول البشريه , وذلك عن طريق قياس :

- العائد من استخدام هذه الاصول
- تقدير التكاليف الحقيقية للاعمال مما يساعد على اتخاذ القرارات الماليه الملائمة والانتاجية الانسانية .

ان الموارد البشرية ليست مجرد عمل, انها مسؤولية صعبة تتطلب الكفاءة والاخلاص والتدريب وذلك يفرض ان ينظر إلى محاسبة الموارد البشرية كنظام للمعلومات يستلزم وجود مجموعة من العناصر البشرية والآلية اللازمة (مدخلات) لجمع وتشغيل البيانات(العمليات التشغيلية) لغرض تحويلها إلى معلومات (مخرجات) تساعد الإدارة على اتخاذ القرارات.

أهمية محاسبة الموارد البشريه :-

مع بداية القرن العشرين شاع الاستخدام الفعال لمدخل الموارد البشرية بما يكفل زيادة فعالية المنظمة واشباع حاجات العاملين في ذات الوقت بأعتبار ان كلاهما حاجات مشتركه ومتسقه مع بعضها البعض ويركز هذا المدخل الجديد على اهمية العاملين

كموارد وليس كعوامل انتاجيه , ومعنى ذلك هو اعتبار العنصر البشري كأستثمارات تحقق عوائد طويلة الاجل للمنظمة في شكل زياده في انتاجيتها وذلك اذا ماديرت بفعالية , حيث ان السبيل لتطوير الوحدة الاقتصادية هو الاستخدام الامثل للموارد البشرية

ويمكن ملاحظة تأثير الموارد البشرية حيث نجد ان العديد من الوحدات الاقتصادية الكبيرة والناجحة يرجع نجاحها بدرجة كبيرة الى قدرتها الفعالة لمواردها البشرية وقدرتها على الحصول والاحتفاظ بموظفين ومديرين على درجة عالية من المهارة والكفاءة وان أول من طبق محاسبة الموارد البشرية تطبيقاَ علمياَ هي "شركة باري " بولاية أوهايو الامريكيه , وذلك في سنة 1966 , وتقوم فلسفة هذه الشركة على ان القوة الحقيقية للتنافس والنجاح هي الموارد البشرية للشركة , ومالهذه الموارد من قدرات وطموحات , وهكذا أدخلت في نظامها المحاسبي , محاسبة الموارد البشريه عن طريق رسملة تكاليف الموارد البشريه وحساب أقساط أطفاءها (7).

وفيما يتعلق بالاهتمام بمحاسبة الموارد البشرية يمكن ان نؤشر العوامل التالية (8):-

1. العنصر الانساني هو اهم انواع الاصول في الوحدة الاقتصادية وله تأثير جوهري على الانتاجية , ففي شركة نستله مثلاَ اكثر من 650 خبير يعملون من اجل تحقيق افضل النتائج.

2. العنصر الانساني له قيمة سوقية, وماحدث في الولايات المتحدة الامريكية عام 1968 م, يؤكد هذا فعندما استقال ثمانية من كبار المديرين في شركة موتورلا والتحاقهم بالعمل لدى شركة منافسة وهي شركة فيرتشيلر, فقد انخفضت القيمة السوقية لاسهم الشركة الاولى بحوالي 41 مليون دولار وارتفعت القيمة السوقية لاسهم الشركة الثانية بمبلغ 14 مليون دولار خلال 24 ساعة من تاريخ اعلان خبر الاستقالة .

3. التطورات التكنولوجية والتقنية وانعكاساتها على الوحدات الاقتصادية

من المتغيرات التكنولوجية والسياسية والاقتصادية يتضح انه لها اثار خطيرة على الوحدات الاقتصادية , فلقد افرزت تلك المتغيرات قفزة واسعة لنظم الانتاج والادارة في شركات الدول المتقدمة مما خلق فجوة واسعة مقارنة مع شركاتنا .

وان مفهوم التكولوجيا الذي يعني اسلوب أداء ويتضمن هيكلا مزيجياَ مركباَ متفاعلا من تجهيزات اليه , عماله , طرق عمل تؤلف بين التجهيزات والعمالة في اجراءات اداء بأسلوب محدد لانتاج أو تقديم سلعه أو خدمه أو اكثر (9).

وأهم التغيرات التكنولوجيه في الوقت الحالي (10):

- تغيرات في الاداء الانتاجي :- حيث مست العديد من الانشطة التي أدت الى خفض التكلفة ووقت تحليل العمليات , وقد تطورت برامج التخطيط والصنع والتحكم التي شكلت الاساس لنظم المعلومات التي ستهدف لمد مديري العمليات بالمعلومات اللازمه لادارة العمليات بفاعليه اكبر .
- تغير في الاداء التسويقي :- حيث اشتركت الالات في الانشطة التسويقية مما سيزيد من خدمة العملاء .
- تغير في التنظيم :- حيث اثبتت تجارب الشركات الناتجة – وليس فقط نظريات الادارة الحديثة – أن النجاح الاداري كان وليداَ

لمجموعة متكاملة من التوجهات والتحولات التنظيمية الحديثة , فقد كان الانتقال من بيئة بطيئة التغيير ومن نموذج تنظيمي ميكانيكي جامد الى بيئة ديناميكية سريعة التغير تتزايد فيها عوامل عدم التأكد ودرجة المخاطرة وتتطلب نموذجا تنظيمياً عضويا مرنا, ويمكن استشراف اهم انعكاسات التطورات التكنولوجيه تنظميا في بعض العناصر الاساسية التالية :

أ. ستزداد العماله غير المباشره واخصائيو البحوث والتطوير والقائمين على الصيانة .

ب. ستظهر الحاجة الى تغيير الاداء بالوظائف الجديدة.

ت. ستظهر الحاجة الى تمكين العاملين في اداء الوظائف دون الرجوع الى الادارة .

ث. سيتغير هيكل الموارد البشرية بسبب الاتمتة .

ومن ثم فإن العوامل البيئية والتنظيمية والتقنية , تشكل بيئة عملية شديدة التنافسية ويمكن ان تتغير هذه العوامل بسرعة وبطريقة غير متوقعة , وبالتالي فإن الوحدات الاقتصادية بحاجة الى الاستجابة وبشكل متكرر وسريع للمشاكل وللفرص , وعليها أن تعمل تحت ضغوط متزايدة " ضغوطات الاعمال " بأجراءات مبتكرة تسمى ط بنشاطات الاستجابة الحاسمة " , وان مايدعم استجابة الوحدة الاقتصادية هي تقنية المعلومات (11).

4. ضغوط المؤثرات البيئية الخارجية , ويشمل ذلك (12):

أ . المؤثرات القانونية :

تتمثل في القوانين والتشريعات التي تصدرها الدوله بهدف حماية وتأمين العاملين والخاصه بالاجور وساعات العمل والخدمات وظروف العمل وغيرها .

ب. تاثير النقابات العمالية :

من حيث تحديد حقوق العاملين من اجور وميزات اضافية واجازات وخدمات وغيرها , وكذلك ظروف العمل مثل ساعات العمل وفترات الراحة وغيرها . ومن ثم اصبح للنقابة العمالية دور هام في صياغة وتنفيذ سياسات وبرامج ادارة الموارد البشرية .

ج. تأثير سوق العمل :

تتاثر ظروف هذه السوق بظروف العرض والطلب على عنصر العمل , وهي ظروف متغيرة بطبيعتها , حيث يصعب التحكم والتأثير من قبل المنظمة وحدها .

اهداف نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية

أن الهدف من محاسبة الموارد البشرية يتمثل في جمع كافة النفقات التي تم أو يتوقع إنفاقها في المستقبل على الموارد البشرية بدءاً من لحظة الإعلان عن الوظائف أو تكاليف استئجارها من الوحدات الاقتصادية الأخرى مروراً بكافة ما ينفق عليها في سبيل تنميتها وتطويرها من خلال برامج التدريب والدورات التي تساهم فيها حتى لحظة الاستغناء عنها (سواءً بإحالتها على التقاعد أو إنهاء خدمتها لأي سبب آخر)، الأمر الذي يتطلب تقديم بيانات عن قيمة الموارد البشريه الموجوده كأصول لها قيمتها السوقيه التي تؤثر في قيمة الوحده الاقتصاديه في اسواق المال .

إن نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية سوف تزداد أهميتـه فـي الوحـدة الاقتـصادية مـن خـلال مـساهمته فـي تحقيـق أهـدافها عـن طريـق الآتـي :

1. قياس قيمة الموارد البشرية بصورة مالية .

يتم قياس قيمة الموارد البشرية عن طريق استخدام كافة البيانات المتعلقة بتلك الموارد في سبيل تقييمها مالياً .

ان تقييم الموارد البشرية مالياً يعني تحديد قيمة الخدمات التي ينتظر أن تقدمها الموارد البشرية في المستقبل، ويتم ذلك من خلال استخدام إحدى طرق التقييم التي تراها الوحـدة الاقتصادية مناسبة لها ، لكي يكون بالإمكان حصر قيمتها الأساسية والانـدثارات التـي تترتب عليها ، الأمر الذي يجب إظهاره في القوائم المالية للوحدة الاقتصادية وبما يساعد على إعطاء صورة توضيحية أكبر وأدق عن نشاط الوحدة ومدى تحقيقها لأهدافها وخاصةً ما يتعلق بناتج النشاط ومدى مساهمة الموارد البشرية في تحقيقه .

واهم طرق التقييم يمكن ايجازها بالاتي(13) :

- طريقة التكلفة التاريجية

تهدف هذه الطريقة لمعرفة قيمة الاصل عن طريق اثبات كل ما تتحمله الوحدة الاقتصادية في سبيل الحصول على الاصل .

- طريقة تكلفة الاحلال

يتم تقييم الاصل البشري بقيمة العنصر البشري الذي يمكن ان يحل محله والذي يكون بمستوى خدمات يساوي خدمات الموارد الحالية .

- طريقة تكلفة الفرصة البديلة

أي التكلفة التي تتحملها الوحدة الاقتصادية لتغيير الاستخدام الحالي للموارد البشرية الى استخدام اخر بديل .

- تقييم الموارد البشرية في الفقه الاسلامي

يعد الفرد شريكاَ في الوحدة الاقتصادية يقدم عمله كحصة في رأس المال , وليس بوصفه اجيراَ يعمل بها , وفي هذه الحالة فأنه يحصل على نسبة من الارباح ولايتقاضى اجراَ .

2. المـساعدة فـي تخطـيط المـوارد البـشرية فـي الوحـدة الاقتـصادية .

ان نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية يساعد في تخطيط الموارد البـشرية في الوحدة الاقتصادية من خلال البيانات والمعلومات التي يمكن أن يقدمها في المجـالات الآتية(14):

آ. توفير بيانات عن تكاليف طلب الموظفين واختيارهم وتعيينهم ، فضلا عن توفير بيانات تكاليف معيارية للعمليات السابقة يمكن استخدامها في إعداد الموازنة لتخطيط أنشطة القوى العاملة ولأغراض الرقابة وتقدير كلفة إحلال الأفراد في المواقع المختلفة .

ب. توفير بيانات يمكن من خلالها المفاضلة بين تكلفة تدريب العاملين بالوحدة الاقتصادية إلى المستوى المرغوب الوصول إليه وبين تكلفة تدريب على نفس المستوى من الخارج .

جـ. المساعدة على الاستفادة المثلى من العاملين المستخدمين في أعمال لا تتناسب مع مهاراتهم (إمكانياتهم) عن طريق إظهار قيمة الخسارة الناجمة عن ذلك .

د. توفير بيانات عن قيمة العاملين ومدى كفاءة استخدامهم والتغيرات التي تحدث على تلك القيمة بمرور الوقت ،الأمر الذي يساعد على تحسين نوعية التخطيط واتخاذ القرارات بالوحدة الاقتصادية .

3. المساعدة في تخطيط الموارد البشرية على المستوى القومي .
إن توفير البيانات والمعلومات عن طريق نظام محاسبة الموارد البشرية يمكن أن يساهم في خدمة الدولة من خلال مساعدة الأجهزة المختصة فيها في رسم سياسات التوظيف والعمالة وما يرتبط بها من سياسات الأجور والهجرة والترقيات والحوافز بشكل عملي ، ولقد دلت جميع الدراسات الاكاديمية(15) التي عنيت بهجرة العقول الوطنية، ان هجرة العقول تكبد مجتمعاتها خسائر مزدوجة متمثلة بخسائر العقل اولاً وهي خسارة لاتقدر بثمن او بمعنى اخر ليس لها قيمة مادية محددة بوصف الانسان اصل اجتماعي ليس له تكلفة مالية محددة كالاصول الاقتصادية وهو يوصف بانه ثروة الامم اذا كان منتجاً للفكر والوعي والقيم المادية النوعية. فضلا عمّا تقدم فان هجرة العقل من موطنه سوف يلحق خسائر مالية حقيقية فادحة متمثلة بتكاليف اعداد وتهيئة العقل حتى يصبح جاهزاً للعطاء والتطوير.
فعندما تشير تلك البيانات والمعلومات إلى أن معدل ترك الأفراد لوظائفهم في الدولة كان كبيراً، وإن كثيراً من العاملين يهاجرون خارج الدولة ، الأمر الذي قد يتسبب في حدوث ندرة كبيرة في بعض المهن ، فإن ذلك قد يدفع الحكومة إلى تعديل تشريعات الأجور والترقيات ونظم العمل بشكلٍ يغري المواطنين على البقاء في وطنهم وعدم الهجرة.

المبحث الثاني :- تنمية الموارد البشرية ودورها في تحسين القدره التنافسيه للوحدة الاقتصادية

يشهد العالم تحولات سريعة نتيجة العولمة , مما شكل بيئة جديدة ملائمة اكثر لانتشار الشركات المتعددة الجنسية في مختلف دول العالم , والاستفادة من المزايا المتاحة حيثما وجدت سواء على مستوى التمويل أو الانتاج أو التوزيع من اجل زيادة قدرتها التنافسية ومواجهة منافسات الاخرين , وفي ظل الواقع الحالي والمتخلف لوحداتنا الاقتصادية فأن التحول لمواجهة ذلك التطور لابد من ان يكون بموارد بشرية تمتلك المعرفة والكفاءة العلمية والخبرة اللازمة .
وهكذا تبرز اهمية الموارد البشرية في مجال التنمية , انطلاقاً من كون ان العنصر البشري هو الوسيلة والغاية في نفس الوقت في عملية التنمية , وعليه فأنه لايمكن الحديث عن التنمية دون الحديث عن تنمية الموارد البشرية , فتنمية الموارد البشرية تعد شرطا سابقا واساسيا لتحقيق التنمية.

أولا :- تنمية الموارد البشريه
تعرف بأنها اعداد العنصر البشري اعداد صحيحاً بما يتفق واحتياجات المجتمع , على اساس انه بزيادة معرفة وقدرة الانسان يزداد ويتطور استغلاله للموارد الطبيعية , فضلا عن زيادة طاقاته وجهوده (16).وقد اشار تقرير التنمية البشرية الصادر عن الامم

المتحدة سنة 1990 أن التنمية البشرية تعني بتوسيع نطاق الاختيار أمام الافراد وذلك بزيادة فرصهم في التعليم والرعاية الصحية والدخل والعمالة (17). وقد تطور مفهوم تنمية الموارد البشرية (18) ولم يعد يقتصر فقط على التعليم والتدريب , بل اصبح يركز على تطوير أنماط التفكير والسلوك , ونوعية التعليم والتدريب , ونوعية مشاركة الجمهور في اتخاذ القرارات والعلاقات الاجتماعية والعادات والتقاليد , وثقافة الشعوب , وطرق وأساليب العمل والانتاج أي تعبئة الناس بهدف زيادة قدراتهم على التحكم في مهاراتهم وقدراتهم .

ان تنمية الموارد البشريه(19) = الاعداد (اعداد الموارد البشرية) + المتابعة (تقييم الاداء) + المقابل (الاجور والرواتب والمكافات والحوافز) + المحافظة (الرعاية الاجتماعية والنفسية والاقتصادية) + الضبط (الاشراف والتوجيه) + التنمية (التدريب ورفع الكفاءة) .

ان معنى ذلك ان كل مايدفع من مبالغ ستؤدي الى تنمية الموارد البشرية أي زيادة قيمتها ومن ثمَّ فإن الباحث يؤيد هذا التوجه لانه يحدد القيمة المالية التي يتم انفاقها من اجل الوصول الى قيمة الموارد البشرية التي يجب اثباتها في السجلات والقوائم .

وتشير تقارير الامم المتحدة (20) الى ان تنمية الموارد البشرية تركز على :-

أ. أن يعيش الانسان حياة مديدة وصحية .

ب. ان يكتسبوا المعارف العلمية .

ت. أن يحصلوا على الموارد اللازمة لمستوى معيشة لائق

ثانياً:- الموارد البشرية في عصر العولمه :

ان العالم يتعامل اليوم في اقتصاد مفتوح ضمن قرية صغيرة تدعى العالم نتيجة تطور التكنولوجيا فأصبح ينظر الى الموارد البشرية كرأس مال متحرك , والعولمة من منظور اداري هي عولمة النشاط المالي والتسويقي والانتاجي والتكنولوجي والمعلوماتي , أي عولمة اسواق المال والسلع والخدمات والتكنولوجيا والعمالة .

ان التحول من المؤسسة التقليدية (21) بكل اشكالها (تنظيم هرمي , مركزية , الاعتماد على التجربة ,....الخ) الى المؤسسة المعاصرة (تنظيم مفلطح وشبكي , تكامل فريق العمل , اللامركزية , الاستراتيجية , المعلومات ,....الخ) يقوم اساساَ على نوعية وخصائص الموارد البشرية , فإذا توافرت القدرة مع الرغبة في اطار منسجم ومتفاعل تصبح الموارد البشرية هي المدخل الاستراتيجي لادارة اهم اصول المؤسسة بهدف تحقيق ميزة تنافسية .

ولغرض تطوير الموارد البشرية في عصر تكنولوجيا المعلومات فأن ذلك يتطلب مجموعة من الاليات :

1. تخطيط القوى العاملة :

تحتاج أي وحدة اقتصادية إلى موارد بشرية تؤدي من خلالها النشاط الذي تقوم به، وعليه يجب أن تقوم بتحديد احتياجاتها من أعداد ونوعيات مختلفة من الموارد البشرية. وحسن تحديد النوعيات والأعداد المناسبة من العمالة تكفل القيام بالأنشطة على خير وجه، وبأقل تكلفة. أما سوء هذا التحديد فيعني وجود عمالة غير مناسبة في الأعمال والوظائف، ووجود أعداد غير مناسبة منها أيضًا، مما يؤدي في النهاية إلى اضطراب

العمل، وزيادة تكلفة العمالة عما يجب أن تكون. ويعتمد تخطيط الاحتياجات من الموارد البشرية على مقارنة بسيطة بين ما هو مطلوب من العمالة وبين ما هو معروض منها داخل الوحده الاقتصاديه. فإذا كانت نتيجة المقارنة هو وجود فائض في عمالة المنظمة وجب التخلص منهم, أما إذا كانت النتيجة هي وجود عجز، فإنه يجب توفيره.
تخطيط الموارد البشرية هو محاولة لتحديد احتياجات الوحدة الاقتصادية من العاملين خلال فترة زمنية معينة، وهي الفترة التي يغطيها التخطيط، وهي سنة في العادة .وباختصار فإن تخطيط الموارد البشرية يعني أساسًا تحديد أعداد ونوعيات العمالة المطلوبة خلال مدة الخطة.

2. تدريب الموارد البشريه

هو اعداد الفرد وتدريبه على عمل معين لتزويده بالمهارات والخبرات التي تجعله جديرا بهذا العمل وكذلك اكسابه المعارف والمعلومات التي تنقصه من اجل رفع مستوى كفاءته الانتاجية وزيادة انتاجيته في المؤسسة (22).

ويهدف التدريب الى (23):

أ. زيادة الانتاج عن طريق تحسين المهارات والمعارف الفنية لاداء الاعمال .

ب. سرعة تنفيذ الاعمال بصورة صحيحة .

ت. ضمان سلامة العامل لانه كلما زاد التدريب على استخدام الاله اصبح في استطاعته تجنب الضرر وتفادي الاخطار .

3.. أعادة هندسة العمليات

يرتبط تحسين الانتاج بعملية اعادة هندسة العمليات والتي يقصد بها اجراء تغييرات جذرية للعمليات تؤدي الى حصول تغييرات جوهرية في المنتج , وان اعادة هندسة العمليات لن تنجح بدون مشاركة ادارة الموارد البشريه وتنميتها من خلال (24):-

- الحصول على الدعم والتأييد لجهود اعادة هندسة العمليات
- تشكيل فرق العمل
- تغيير طبيعة العمل
- التحول من الوظائف المراقبة الى الوظائف الممكنة
- التحول من التدريب الى التعليم

4. تقييم الاداء :-

هي العملية التي تصمم لتقدير ما انجزه الفرد , وتعد عملية تقييم الاداء مهمة بالنسبة لمحاسبة الموارد البشرية لانه من خلالها يمكن الاستفادة من ايجاد الطاقة الانتاجية للموارد البشرية والتي عادة مايصعب قياسها , حيث ان العوامل التي تساعد للوصول الى هذا التقييم مثلا: كمية العمل المنجز , جودة العمل , مدى الاعتماد على المورد البشري , وحكمه وتقديره .

ان تقييم الاداء يخدم العديد من الاغراض منها (25):

أ. يوضح العامل الذي يجب تدريبه ومن الذي ينبغي نقله أو الاستغناء عنه .
ب. يبين الفرد الذي يستحق العلاوة أو الترقية .
ت. يساعد في مقارنة العمل المنجز مع العمل المتوقع , وتحديد الاجراءات التصحيحية الواجب اتخاذها .

ثالثاً :- دور الموارد البشرية في تحسين القدرة التنافسية

ان من اثار ظاهرة العولمة هو ظهور الشركات المتعددة الجنسيات نتيجة ازدياد التعامل التجاري مابين الشرق والغرب والشمال والجنوب ضمن هذا العالم ادى الى الانتشار الواسع للاستثمار الاجنبي والانتقال من الحضارة الصناعية ذات المحتوى المادي الى الحضارة المعلوماتية ذات المحتوى الفكري (26) , وهذا ادى الى اتساع المنافسة وشراستها بين مختلف الشركات والمنتجات .

وان من اهم مقومات الميزه التنافسية ان لم تكن اهمها هي الموارد البشرية , لان كيفية تحكم الشركة بمواردها المختلفة (مادية , تنظيمية , معلومات , بشرية) هي تكون تحت سيطرة القدرة العقلية التي تمتلكها هذه الموارد البشرية .

المبحث الثالث :- التكامل بين نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية ونظام معلومات إدارة الموارد البشرية

أن العلاقة بين تكامل نظم المعلومات وتأثيرها على تحسين عمليات المنظمات مرتبطة بزيادة مستوى هذا التكامل، فتكامل نظم المعلومات أصبح ذا أهمية عظمى لعدم تكرار الأنشطة، ومنع الأخطاء، وتقليل دورة الوقت المستنفذة في تطوير المنتج، وزيادة ثقة المستهلك في المنتج والخدمات. .

وهو بهذه الصورة يهدف إلى إثراء عمليات المنظمات وتحسينها من خلال تقديم مزيج مركب من المعلومات يدعمها بصورة متواصلة، ومن ثم يمكننا أيضاً من مقابلة التحديات والمتغيرات في الأسواق وتنمية دخلها بمرونة عالية .

وعلى الرغم من تقدم نظم المعلومات وتأصيل مفاهيمها خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضي، فإنه ما زالت بعض المنظمات تنظر إليها على أنها نفق مظلم مجهولة عواقبه تخشى الخوض فيه. .

وينظر إليها بعضهم الآخر نظرة افتراضية على أنها وجدت كي تشارك في الأهداف الاستراتيجية للمنظمة، إلا أن هذه النظرة سرعان ما تتحول إلى مشاركة مادية أكثر منها مشاركة في بؤرة ومفتاح أهدافها الاستراتيجية، وهذا يرجع غالباً إلى عدم التخطيط الكافي لاستراتيجية عمل المنظمة، وفهم واضح لاحتياجاتها من المعلومات التي تدعم هذه الاستراتيجية، ومن ثم عدم وضوح الهدف الذي من أجله ستستخدم نظم المعلومات، وبمعنى آخر عدم استخدامها الاستخدام الاستراتيجي .

أن الدول في أواخر القرن الماضي اتجهت إلى الدخول في تكتلات اقتصادية تحت مظلة منظماتها الإقليمية أو القومية، وذلك بهدف تحقيق أقصى نمو اقتصادي، ومواجهة التنافس العالمي .وكانت من أهم الأدوات التي اقترحت لتحقيق استراتيجية هذه التكتلات هي نظم المعلومات وشبكات الاتصالات، فقد تبنت هذه المنظمات برامج وآليات للتعاون في مجال المعلومات تهدف إلى إنشاء شبكات معلومات تربط نظم المعلومات لأعضاء هذه المنظمات من الدول المختلفة، مؤكدة أن الاتحاد الأوروبي أبرز هذه التكتلات، والذي

اعتمد برنامج عمل يهدف إلى تحقيق التعاون بين الدول الأعضاء في مجال المعلومات، اشتمل على عدة إجراءات أهمها: إنشاء شبكة معلومات تربط بين نظم معلومات دول الاتحاد الأوروبي، تشجيع وتطوير نماذج معيارية لتمثيل البيانات الإنتاجية، ومن ثم سهولة تبادل المعلومات بين مختلف نظم معلومات الاتحاد، وتشجيع التعاون بين مختلف نظم المعلومات لدول الاتحاد .

.Article I

تعريف نظام المعلومات في الوحدات الاقتصادية

عرفت جمعية نظم المعلومات الأمريكية نظام المعلومات ــ بصورة عامةــ بأنه: نظــام آلي يقوم بجمع وتنظيم وإيصال وعرض المعلومات لاستعمالها مــن قبــل الأفــراد فــي مجالات التخطيط والرقابة للأنشطة التي تمارسها الوحدة الاقتــصادية (27) . كمــا تــم تعريفه أيضاً بأنه : ذلك النظام الذي يقــوم بتزويــد الوحــدة الاقتــصادية بالمعلومــات الضرورية اللازمة لصناعة واتخاذ القرارات وذلك في الوقت المناسب وعنــد المــستوى الإداري الملائم ، ومثل هذا النظام يقوم باستقبال البيانات ونقلهــا وتخزينهــا ومعالجتهــا واسترجاعها ثم توصيلها بذاتها بعد تــشغيلها إلــى مــستخدميها فــي الوقــت والمكــان المناسبين (28) .

وهنا لا بد من ملاحظة أن هناك خلطاً يحدث لدى البعض بين مصطلحي "النظام" و " نظام المعلومات " ، بحيث يجعل أحدهما مرادفاً للآخر ، في حين أن هنــاك اختلافــاً ــ مــن الناحية العلمية ــ بين المصطلحين يمكن توضيحه من خلال هدف كل منهما ، فأي نظام له عناصر محددة تشمل بالدرجة الأساس كل من : المــدخلات ، العمليــات التــشغيلية ، المخرجات ، التغذية العكسية ، وهو ما يعني أن الهدف النهائي لأي نظام يتحقق عند إنتاج المخرجات وتقديمها إلى مستخدميها ، في حين إن هدف نظام المعلومــات لا يتحقــق إلاّ عندما يتم فعلاً استخدام المخرجات من قبل مستخدميها وتحقيق الفائدة المرجوة منها فــي اتخاذ القرارات المختلفة ، ويمكن تحديد تلك الفائدة لدى متخذ القرار مــن خــلال قــدرة المخرجات على تحقيق الشرطين الآتيين ، أو أحدهما على الأقل(29) :ــ

أ. إن استخدام المخرجات يمكن أن يساهم في تقليل حالات عدم التأكد (البدائل) لدى متخذ القرار .

ب. أن تساهم تلك المخرجات في زيادة درجة المعرفة لدى متخذ القرار – لكي يمكن الاستفادة منها فيما بعد عند اتخاذه القرارات المختلفة .

أما إذا لم يتحقق الشرطان أعلاه أو أحدهما على الأقل ، فعندئذٍ تكون مخرجــات النظــام مجرد بيانات مرتبة يمكن استخدامها كمدخلات ثانيةً في عمل نظام المعلومات

1. **نظام المعلومات المحاسبية**

نظام المعلومات المحاسبية هو "أحد النظم الفرعية في الوحدة الاقتصادية ، يتكون من عدة نظم فرعية تعمل مع بعضها البعض بصورة مترابطة ومتناسقة ومتبادلة بهــدف تــوفير المعلومات التاريخية والحالية والمستقبلية ، المالية وغير المالية ، لجميع الجهــات التــي يهمها أمر الوحدة الاقتصادية وبما يخدم تحقيق أهدافها"(30)، وفي سياق ذلك فإنه يمكــن النظر إلى نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية على أنها أحد النظم الفرعيــة ضــمن

نظام المعلومات المحاسبية يهتم بتوفير كافة المعلومات التاريخية والحالية والمستقبلية ، المالية وغير المالية ، الخاصة بالموارد البشرية وتقديمها إلى كافة الجهات التي يهمها أمر تلك الموارد وبما يؤدي إلى تحقيق الهدف المطلوب .

يهدف نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية الى :-

1ـ جمع البيانات الخاصة بالموارد البشرية ، مثل بيانات الأفراد العاملين في الوحدة الاقتصادية ومؤهلاتهم ودرجاتهم المالية والمسؤوليات الملقاة على عاتقهم والأجور المدفوعة لهم وتكاليف عمليات التدريب والبعثات والإجازات الدراسية .

2ـ تبويب البيانات المتعلقة بالموارد البشرية التي تعمل بالوحدة ، مثل تبويب تكاليف القوى البشرية بالوحدة إلى : أجور ، تكاليف تدريب ، تكاليف اختبار ... الخ.

3ـ توصيل المعلومات المتعلقة بالموارد البشرية للجهات الداخلية والخارجية التي تهمها هذه المعلومات في الوقت الملائم وبالدقة المطلوبة .

4. استخدام المخرجات من قبل مستخدميها وتحقيق الفائدة المرجوة منها في اتخاذ القرارات المختلفة .

2. نظام المعلومات الإدارية

يعرف نظام المعلومات الإدارية على أنه " مجموعة الأجزاء المترابطة التي تعمل مع بعضها البعض بصورة متفاعلة لتحويل البيانات إلى معلومات يمكن استخدامها لمساندة الوظائف الإدارية (التخطيط ، الرقابة ، إتخاذ القرارات ، التنسيق) والأنشطة التشغيلية في الوحدة الاقتصادية " (31) . ويعد نظام معلومات ادارة الموارد البشرية أحد هذه النظم الفرعية الذي يمكن تحديد وظيفته في الوحدة الاقتصادية بالآتي:ـ

1. استقبال المعلومات المتعلقة بالأفراد العاملين في الوحدة الاقتصادية والتي تشمل:

آ. البيانات الخاصة بتخطيط وتهيئة وتشغيل القوى العاملة .

ب. البيانات الخاصة بتدريب القوى العاملة .

جـ. البيانات الخاصة بمكافأة القوى العاملة .

د. البيانات الخاصة بصيانة القوى العاملة .

2ـ تحليل البيانات السابقة ومعالجتها بواسطة العمليات التشغيلية التي تجري عليها من تبويب وتصنيف وتخزين في ملفات خاصة أو في ذاكرة الحاسوب .

3ـ توفير المعلومات التي تمثل مخرجات النظام لغرض الاستفادة منها في إدارة شؤون

الأفراد بوصفها معلومات يمكن الاستعانة بها في اتخاذ القرارات الأفرادية السليمة ، وتشمل هذه المعلومات :ـ

آ. معلومات دقيقة لتخطيط القوى العاملة واتخاذ قرارات سليمة بصددها .

ب. معلومات دقيقة عن تحليل وتوصيف الأعمال .

جـ. وضع أسس دقيقة للاختيار والتعيين .

د. معلومات دقيقة عن تدريب القوى العاملة وتحديد الاحتياجات التدريبية ونوعية البرامج.

هـ. معلومات دقيقة عن تقويم الوظائف وتقويم أداء العاملين والترقية والترفيع والنقل وانضباط العاملين .

و. معلومات دقيقة لاندماج القوى العاملة .

ز. معلومات دقيقة لصيانة القوى العاملة وسلامتها .

3. نظام المعلومات المتكامل

يعرف نظام المعلومات المتكامل على أنه : النظام الذي تكمل نظمه الفرعية بعضها البعض من خلال عملها بصورة متناسقة ومتبادلة بحيث يستبعد تكرار توليد المعلومات من أكثر من نظام فرعي وبما يؤدي إلى خفض تكاليف إنتاج المعلومات اللازمة للجهات المختلفة ، فضلاً عن تقليل الوقت والجهد اللازمين لها (32) .
وعليه ، فإن تكامل نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية ونظام معلومات ادارة الموارد البشرية سوف يشير إلى : النظام الذي يعمل من خلال تكامل كل من نظام المعلومات المحاسبية ونظام المعلومات الإدارية ، من خلال التنسيق بين عمليهما وتبادل البيانات والمعلومات التي تنشأ عن كل منهما، على وفق قاعدة بيانات موحدة وبما يؤدي إلى خفض تكاليف إنتاج المعلومات المستهدفة ، وكذلك تقليل الوقت والجهد اللازمين لها .
أما أهمية الحاجة إلى النظام المتكامل للمعلومات المحاسبية والإدارية في أية وحدة اقتصادية فتأتي من خلال إمكانية إيجاد علاقات التنسيق والتبادل والترابط بين كل من نظام المعلومات المحاسبية ونظام المعلومات الإدارية .
ونظراً لتشابك العلاقات وتعددها بين كل من نظام المعلومات المحاسبية ونظام المعلومات الإدارية , فهناك من يرى من الكتاب والباحثين أن نظام المعلومات المحاسبية هو جزء من نظام المعلومات الأدارية ، على أساس أن نظام المعلومات المحاسبية يهتم بقياس المعلومات المحاسبية التاريخية بغرض إعداد القوائم للجهات الخارجية بينما يهتم نظام المعلومات الأدارية بكل المعلومات اللازمة للأدارة بغرض تحقيق الأستخدام الأمثل للموارد المتاحة للوحدة الاقتصادية ، وعليه فإن ذلك يمكن أن يوسع مفهوم نظام المعلومات الإدارية ليشمل كل نظم المعلومات بالوحدة الأقتصادية بما فيها نظام المعلومات المحاسبية (33) .

وهناك من يرى أن نظام المعلومات المحاسبية هو أقـدم نظـام عرفتـه المـشروعات التجاريـة والصناعية وغيرها(34) ، وأنه يمثـل الركيـزة الأساسـية والمهمـة بالنـسبة لـنظم المعلومـات الأخرى في الوحدة الأقتصادية.

وهناك رأي آخر تبنته رابطة المحاسبة الأمريكية ، حـين عـدّت أن نظـام المعلومـات المحاسبية ونظام المعلومات الإدارية نظامين مستقلين لكل منهما وظائفه ولكن يوجد تداخل بين النظامين يتمثل بـ " محاسبة العمليات " لأن المحاسب يحتاج إلى بيانات عديدة مـن نظم المعلومات الأخرى في الوحدة الأقتصادية (متمثلة بنظام المعلومـات الأداريـة)(35).

لذلك هناك ضرورة للتكامل بين نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية (بوصفه نظامـاً فرعياً من نظام المعلومات المحاسبية في الوحدة الاقتـصادية) ونظـام معلومـات إدارة الموارد البشرية (بوصفه نظاماً فرعياً ضمن نظام المعلومـات الإداريـة فـي الوحـدة الاقتصادية) ، وإنه يمكن تحقيق هذا التكامل إذا ما تم التعرف على وظـائف كـل مـن النظامين وبالتالي حصر النقاط التي يمكن من خلالها تحقيق ذلـك التكامـل . حيـث إن النظرة الحديثة لدراسة نظم المعلومات التي يمكن أن تتواجد في الوحدة الاقتصادية تركز على عدم تفضيل أي نظام على آخر بصورة جزئية ، وإنما الأخذ بالحسبان الرؤية الكلية التي تنظر إلى ضرورة التكامل والتنسيق والترابط بين كل نظم المعلومات التي يمكن أن توجد ضمن إطار الوحدة الاقتصادية وصولاً إلى تحقيق أهدافها العامة.

ويلاحظ من خلال ما تقدم ، أن نظام معلومات إدارة الموارد البشرية يمكن أن يكون نظاماً فاعلاً بصورة أكبر إذا ما تم التكامل بينه وبين نظام معلومات محاسبة الموارد البـشرية وبما يؤدي إلى تحقيق الهدف الشامل للوحدة الاقتصادية بما يتعلق بالموارد البشرية وذلك من خلال الآتي :-

1ـ إن نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية يمكنه التعبير بصورة مالية وكمية عـن كافة البيانات والمعلومات التي يمكن أن يوفرها نظام معلومات الموارد البـشرية بحيـث تكون لها قدرة تفسيرية أكبر عندما يتم استخدامها من قبل متخذي القرارات سـواءً فـي داخل الوحدة الاقتصادية أو خارجها .

2ـ إن إنتاج كثير من المعلومات الخاصة بالموارد البشرية عن طريق نظام معلومـات المحاسبة عن الموارد البشرية مباشرةً سوف يساهم في تقليل الجهد الذي يمكن أن يبذل في إعداد البيانات والمعلومات اللازمة ، إضافة إلى تقليل التكاليف التي يمكن أن تنفـق فـي تجميع البيانات وتحليلها ومن ثمّ إنتاج المعلومات منها ، مع إمكانية توفيرها فـي الوقـت المناسب من دون انتظار الحصول عليها من قبل نظام معلومات الموارد البـشرية أولاً ، الأمر الذي يؤدي إلى تقليل الازدواجية في عمل النظامين أيضاً .

ثانياً ـ استخدام التقنيات الحديثة في عمل النظام .

تعد الوسائل التقنية ركيزة أساسية لنظم المعلومات المعاصرة ، لأنها تساعد فـي تجميـع المدخلات ، وتدفع عناصر البيانات ، وتربطها معاً ، وتشكلها في نمـاذج محـددة كمـا تجزئها ، وتنتج وتبث المخرجات النابعة وتوصلها إلى المستخدمين وتساعد في الرقابـة على النظام وصيانته ، كما تسهم في تسيير وتشغيل كل الركائز الأخرى بـسرعة ودقـة وكفاءة عالية، وهي تشتمل على ثلاثة إتجاهات رئيسية تتمثل في كل من (36):ـ

1. الفنيون : الأفراد الذين يفهمون الوسائل التقنية ويشغلونها ، مثـــل : مـــشغلو الحواســـيب ، المبرمجون ، المحللون والمصممون ، مهندسو الصيانة والاتــصالات ، مـــديرو النظم ...وغيرها.

2. البرامجيات : تمثل حزم البرامج المطـــورة أو الجـــاهزة التـــي تجعـــل أجهـــزة الكومبيوتر تعمل وتأمرها بأداء وظائفها وإنتاج مخرجاتها .

3. الأجهزة : تشتمل على تنوع كبير من الوسائل التي تقـــدم المـــساندة لركـــائز أو مكونات النظام المختلفة .

وبما أن وجود النظام المتكامل للمعلومات المحاسبية والإدارية غالبـــاً مـــا يكـــون فـــي الوحدات الاقتصادية كبيرة الحجم (من حيث تعدد نشاطاتها أو زيادة حجم البيانات التـــي يتم التعامل معها نتيجة الأحداث الأقتصادية المتعددة) ، وبما يعني أن هناك أعداداً كبيرةً من البيانات سوف يتم التعامل معها والخاصة بالنظم الفرعية المتعددة التي يمكن أن توجد في الوحدة الاقتصادية المعنية ، ما يتطلب استخدام التقنيات الحديثة في معالجة البيانـــات وإنتاج المعلومات من خلال ما يطلق عليه " تقنيات المعلومات " ، حيث " ساهمت تقنيـــة المعلومات في زيادة قدرة النظم المحاسبية على التكيف والتأقلم السريع مع بيئة العمل في الوحدة الاقتصادية وذلك من خلال توفير وسائل إقتصادية فعالة لخزن واسترجاع ومعالجة البيانات وتقديمها إلى متخذي القرار في الوقت المناسب وقد انعكس ذلك بوضـــوح علـــى كفاءة نظم المعلومات المحاسبية وأتاح لها مرونة كبيرة في التعامل مع التغيرات السريعة والأستجابـــــة لها "(37) ، إضافة إلى أن إستخدام الحواسيب (بوصفها أحـــد وســـائل تقنيات المعلومات) يمكن أن يساهم في معالجة البيانات التي يتم التعامل معها مـــن قبـــل النظام المتكامل للمعلومات المحاسبية والأدارية .

وهكذا ، فإنه بفضل التقنيات الحديثة أمكن إحداث تغييـــرات جذريـــة لزيـــادة كفـــاءة برامجيات الحاسوب وفاعليتها وذلك من خلال جعل الحاسوب يتسم بصفة الذكاء ومحاولة محاكاة سلوك الخبير البشري عندما يواجه بموقف يحتاج إلى إتخاذ قرار ما وهو مايسمى بـــ " الذكاء الصناعي " والتي تعد النظم الخبيرة أحد أهم تطبيقاته ، ومن هنا يمكن القول أن الثورة التقنية الحديثة قد أتاحت فرصة كبيرة أمام الإدارة والمحاسبين للاســـتفادة مـــن مزايا وإمكانات تقنية المعلومات في مجال الخبرة الإلكترونية ، وللأستفادة من هذه الـــنظم يجب على أي نظام للمعلومات في الوحدة الأقتـــصادية ـــ وخاصـــة النظـــام المتكامـــل للمعلومات المحاسبية والإدارية ـــ أن يكون قادراً على التكيف والتأقلم السريع مـــع هـــذه التقنية ومجاراتها ، حيث أن إنتشار التقنيات الحديثة للمعلومات والأتصالات بشكل واســـع في النظم الاقتصادية والإدارية والاجتماعية سيؤثر بشكل متزايد في أي نظام للمعلومـــات في الوحدة الاقتصادية بحيث أن التباطؤ في إدخال البرامجيات الحديثة في تطوير نظـــام المعلومات سيؤدي إلى تباطؤ عملية الاستفادة من هذا النظام (38)

ثالثاً ـــ الأفراد المؤهلين . إن نجاح عمل النظام المتكامل للمعلومات المحاسبية والأدارية وتحقيق فاعليته يعتمد بدرجة أساسية على ضرورة أن يكون الأفراد القائمين على العمـــل على درجة من المعرفة العلمية والعملية تتناسب مع متطلبات عمل النظام وإمكانية تحقيق

أهدافه ، الأمر الذي يستلزم ضرورة تطوير مهارات الأفراد العاملين بصورة مستمرة في المجـــالات الآتية :

1. تطوير المهارات المحاسبية للعاملين في النظام .

حيث يتطلب من الأفراد المتخصصين في مجال المحاسبة ضـــرورة تطـــوير مهـــاراتهم المحاسبية التي تشتمل على كافة فروع المعرفة المحاسبية ، والعمل على دراســـة كافـــة المستجدات في كل منها ، فضلا عن ضرورة توافر الكفـــاءة اللازمـــة لدراســـة وفهـــم العلاقات المتشابكة مع فروع العلوم الأخرى التي لها علاقة بالتأثير في بيئـــة الأعمـــال الحديثة ، وبما يمكنهم من إجراء عمليات التحليل للبيانات المختلفة التي يمكن أن يقومـــوا بتشغيلها وتجهيزها إلى المستخدمين المتوقعين سواء من داخـــل الوحـــدة الأقتـــصادية أو خارجها ، إضافة إلى ضرورة تطوير قدراتهم في إمكانية عـــرض محتويـــات التقـــارير والقوائم المالية بالسرعة الممكنة ووفق الشكل الذي يمكن أن يؤثر في زيادة الفائدة لـــدى المستخدمين .

2. تطوير المهارات الأدارية للعاملين في النظام .

نظراً للحاجة الكبيرة من قبل إدارة الوحدة الاقتصادية إلى ما يمكـــن أن يقدمـــه النظـــام المتكامل للمعلومات المحاسبية والأدارية من بيانات ومعلومـــات تـــساعدها فـــي إتخـــاذ القرارات المختلفة والمتعددة بالسرعة والدقة اللازمة في ضـــوء التغيـــرات والتطـــورات العديدة التي تحدث بصورة مستمرة في بيئة الأعمال الحديثة ، فإن الأمـــر يتطلـــب مـــن الأفراد العاملين فيه ضرورة تطوير مهاراتهم الأدارية من خلال الأطـــلاع علـــى كافـــة المستجدات التي تحدث في مجال إدارة الأعمال ونظم المعلومات الأدارية ، إضافة إلـــى ضرورة تفهم عملية إتخاذ القرارات المختلفة التي يمكن أن تتخذ في الوحدة الأقتـــصادية والتعايش المستمر مع متخذي القرارات ــ خاصة من داخل الوحدة الأقتـــصادية نظـــراً لتعددها وتنوعها ــ في سبيل تسهيل إمكانية مقابلة الاحتياجات المختلفة من خلال تزويـــد البيانات والمعلومات اللازمة بالسرعة الممكنة والوقت المناسب .

3. تطوير المهارات الحاسوبية للعاملين في النظام .

مما لاشك فيه أن استخدام الحواسيب أخذ يمتد إلى العديد من مجالات الحياة ومنها مجـــال نظم المعلومات في الوحدات الاقتصادية ، الأمر الذي يجعل البعض يعتقد أن وجـــود أي نظام للمعلومات يكون مرتبطاً باستخدام الحواسيب فيه .
كما أن استخدام الحواسيب في عمل نظم المعلومات في الوحدات الاقتـــصادية يمكـــن أن يكون ضرورياً كلما كان حجم البيانات التي يتم التعامل معها كبيراً وأن معالجتها وتقـــديم المعلومات الناتجة عنها يكون مطلوباً ضمن وقت محدد .
وبما أن النظام المتكامل للمعلومات المحاسبية والأدارية غالباً ما يتعامل مع عدد كبير من البيانات (الخاصة بكافة النظم الفرعية التي يضمها) ، يصبح من الضروري أن يكـــون الأفراد القائمين على العمل فيه على معرفة مناسبة بالحواسيب من حيث كيفيـــة تـــشغيلها وبرمجتها وكذلك كيفية إستخدام التقنيات الحديثة المرتبطة بها .

المبحث الرابع :- المعالجات المحاسبية للموارد البشرية

تصميم نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية يقدم المعلومات المفيدة التي تساعد في اتخاذ القرارات الخاصة بالموارد البشرية في الوحدة الأقتصادية والمساهمة في تحقيق أهدافها العامة .

ان تصميم نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية في الوحدات الأقتصادية يكون كالاتي :

أولاً :ــ مدخلات النظام .

تمثل مدخلات نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية الآتي :
1ــ مخرجات نظام معلومات إدارة الموارد البشرية ، والتي تشمل كلاً من: معلومات لتخطيط القوى العاملة ، معلومات لتحليل وتوصيف الوظائف ، معلومات لتقويم الأداء ، معلومات الترقية والنقل وانتهاء الخدمة.

2. مجموعة البيانات التي يتم الحصول عليها من المستندات المؤيدة للأحداث المالية المتعلقة بكافة ما ينفق على الموارد البشرية والتي يمكن أن تشمل كلاً من:
آ. قوائم الرواتب المعدة.

ب. قوائم الحوافز والمكافآت.

جـ. مستندات صرف نفقات الدورات التدريبية.
ويمكن الاستفادة نظم الحاسوب المستخدمة في الوحدة الاقتصادية في تسهيل عملية الحصول على مدخلات نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية من حيث التكامل الذي يمكن تحقيقه مع النظم الأخرى التي تعمل ببرامج الحاسوب ومنها: نظام الأفراد، نظام الرواتب، نظام الإنتاج إضافة إلى كافة النظم الأخرى التي يمكن الاستفادة منها في عمل نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية.

ثانياً:- العمليات التشغيلية للنظام
وهي مجموعة العمليات التي تجري على مدخلات النظام بهدف تحويلها إلى مخرجات يستهدف الحصول عليها.
وتشمل العمليات التشغيلية كافة عمليات التسجيل والتجميع والتبويب والتلخيص للبيانات التي يمكن تفريغها من المستندات التي تخص الأحداث المالية المتعلقة بالموارد البشرية وكما يلي:

آ. يتم تسجيل كافة العمليات التي تتعلق بالموارد البشرية، وذلك بتحميل كافة النفقات في حساب خاص بالموارد البشرية يمكن ان يطلق عليه "حساب الموارد البشرية" ، بحيث يضم كافة بنود الإنفاق على الموارد البشرية من لحظة الإعلان عن الوظائف حتى تسريح تلك الموارد من العمل .

ويجب ان يتحمل كل مورد بشري بحصته من تلك المصاريف . حيث يتم تحميل قيمة

مصاريف الاعلان والتعيين على الموارد البشرية (الموظفين) الذين تم تعيينهم لانه من الـضروري تحديد قيمة كل مورد على حدة [بصورة منفردة] , وذلك بعد جمعها في حساب مصاريف التعيين , وكذلك بالنسبه لمصاريف التدريب والدورات .
ويمكن استخدام القيود التاليه :-

1.. اثبات مصاريف الاعلان
×× من حـــ/ مصاريف التعيين
×× الى حـــ/ النقديه

قيد اثبات مصاريف الإعلان عن الوظائف

2. اثبات مصاريف لجنة المقابله
×× من حـــ/ مصاريف التعيين

×× الى حـــ/ النقدية

قيد اثبات مصاريف لجنة المقابله للمتقدمين للتعيين

3. اثبات مصاريف التدريب والدورات
×× من حـــ/ مصاريف التدريب والدورات
×× الى حـــ/ النقدية
قيد اثبات مصاريف مصاريف التدريب

ثم يتم تحميل حساب الموارد البشرية – حسب اسم المورد بحصته من مصاريف الإعلان والتعيين أو مصاريف التدريب والدورات
××× من حـــ/ الموارد البشرية – حسب اسم المورد
××× الى حـــ/ مصاريف التعيين
قيد تحميل حساب الموارد البشرية – حسب اسم المورد بحصته من مصاريف التعيين.

وكذلك بالنسبة لمصاريف التدريب والدورات .
××× من حـــ/ الموارد البشرية – حسب اسم المورد
××× الى حـــ/ مصاريف التدريب والدورات
قيد تحميل حساب الموارد البشرية – حسب اسم المورد بحصته من مصاريف التدريب والدورات.

ب. يتم تحميل السنة المالية بقيمتها من الموارد البشرية بعد ان يتم تحديد طريقة الاطفاء حيث يرى الدكتور وليد الحيالي (39) أن تكلفة الاصل البشري هي كافــة المــصاريف الضرورية واللازمة للحصول على العنصر البشري حتى يصبح جــاهزاً للانتــاج , وأن العمر الانتاجي للاصل البشري يتمثل في مدة العقد المبرم مع الوحدة الاقتصادية . ولذلك فإن قسط إطفاء العنصر البشري سوف يكون قيمة المورد البشري مقسوماً علــى العمــر

الانتاجي) . ويرى الباحث ان هذه الطريقة في اهلاك الموارد البشرية تتناسب مع طريقة احتساب قسط الاندثار للاصول طويلة الاجل .
ويمكن ان تسجل هذه القيمة بجعل حساب قسط أطفاء الموارد البشرية مديناً وحساب الموارد البشرية دائناً وكما يلي:

×× من حـــ/ قسط أطفاء الموارد البشريه
×× الى حـــ / الموارد البشرية – حسب اسم المورد

جـــ. يتم اقفال قسط إطفاء الموارد البشرية في قائمة الدخل وكمايلي :-
×× من حـــ/ قائمة الدخل
×× الى حـــ / قسط إطفاء الموارد البشرية

د. قياس الطاقة الانتاجية :-
ان جوهر أي أصل هو القدرة على الانتاج , والمورد البشري يعد أبرز عناصر الانتاج (40).ولان مشكلة قياس الطاقة الانتاجية تعد ابرز مشكلات قياس الموارد البشرية لذلك فأن الباحث يرى بأنه يمكن قياس الطاقة الانتاجية بطريقة التكلفة التاريخية(لاظهار قيمة الموارد البشرية في الميزانية) من خلال معرفة قيمة الحصول على المورد البشري مضافاً اليه المصاريف اللاحقة عليه ليكون صالح للاستخدام من دورات واعلانات ......الخ , ويمكن ان تظهر هذه الطريقة بوضوح في حالة الحصول على اللاعبين بموجب عقود , حيث تعد قيمة العقد مقياسا للطاقة الانتاجية التي توزع على مدة العقد مضافاً اليها المصاريف اللاحقة . وكذلك تظهر هذه الطريقة في حالة الحصول على الخبراء والعلماء .
ولتوضيح ماتقدم يمكن ان نأخذ المثال التالي :
بتاريخ 2006/01/01 حصل نادي قطر القطري على اللاعب رزاق فرحان بموجب عقد عمل لمدة سنتين بمبلغ ($600000),المطلوب : اثبات قيد الحصول على اللاعب واثر ذلك على الميزانية في 2006/12/31.

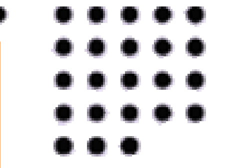
الحل:

الاول :- قيد اثبات قيمة المورد البشري في 2006/01/01

600000 من حـــ/ الموارد البشرية – اللاعب رزاق فرحان
600000 الى حـــ/ النقدية

الثاني :- قيد إطفاء القسط الاول في 2006/12/31
قيمة قسط الاطفاء = قيمة العقد / العمر الانتاجي للعقد
= 2 /600000
= 300000
300000 من حـــ/ قسط إطفاء الموارد البشرية
300000 الى حـــ/ الموارد البشرية– اللاعب رزاق فرحان

الثالث :- قيد أقفال قسط أطفاء الموارد البشرية في 2006/12/31



300000 من حـــ/ الارباح والخسائر

300000 الى حـــ/ / قسط أطفاء الموارد البشرية

الرابع:- حساب الموارد البشرية - اللاعب رزاق فرحان

600000	النقد يه	قسط أطفاء الموارد البشريه	300000
		رصيد في 2006/12/31.	300000
600000			600000

الخامس:- حساب قسط أطفاء الموارد البشرية

300000	الموارد البشرية- اللاعب رزاق فرحان		
		حـــ/ قائمة الدخل	300000
300000			300000

السادس :- قائمة الدخل

300000	قسط إطفاء الموارد البشرية

السابع :- قائمة المركز المالي

300000	الموارد البشرية(صافي في 2006/12/31)

وهكذا بالنسبة للفترة المتبقية . وفي حالة ادخال الاعب في دورات أو أي اضافة على المورد البشري تضاف لقيمة المورد المتبقية ويتم تعديل قسط الاطفاء حسب المدة المتبقية من العقد .

تتميز هذه الطريقة بالموضوعية ومسايرتها للعرف المحاسبي , حيث تعد مصاريف اختبار وتوظيف وتدريب العاملين مصاريف رأسمالية يجري رسملتها على فترات استخدامها , ومن ثم يتعين اهلاكها على العمر الانتاجي للاصول البشرية , لتحديد نصيب كل مدة منها . وفي حالة تصفية الاصل أو الاستغناء عن العاملين قبل انهاء حياتهم الانتاجية المقدرة يعد الرصيد المتبقي خساره , وممكن ان يكون الرصيد المتبقي ربحاً في حالة انتقاله بمقابل مادي يفوق الرصيد المتبقي .

كما يمكن استخدام الطرق الاخرى والتي ورد ذكرها لقياس قيمة الموارد البشريه لاغراض رقابيه في مايتعلق بمحاسبة التكاليف أو المحاسبه الاداريه .

ثالثاً:- مخرجات النظام

من واقع البيانات التي يمكن تجميعها عن الموارد البشرية يمكن القول ان مخرجات نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية يمكن توفيرها طبقاً للحاجة إلى نوعية المعلومات المطلوبة من الجهات التي يمكن أن تستفيد منها ، فهي يمكن أن تأخذ أشكالاً متعددة اعتماداً على الهدف المراد تحقيقه منها، إضافة إلى إمكانية إعدادها في فترات زمنية مختلفة وسواء كانت بصورة دورية أو غير دورية .

وعليه فان مخرجات نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية يمكن ان تكون كلاً (أو بعضاً). من المخرجات الآتية:

1 . الموازنة التخطيطية لتكاليف الحصول على الموارد البشرية
2. مقارنة التكاليف الفعلية مع التكاليف المخططة للحصول على الموارد البشرية ودراسة أسباب الانحرافات التي يمكن ان تحدث.

3. الموازنة التخطيطية لتكاليف التدريب.

4. مقارنة التكاليف الفعلية مع التكاليف المخططة للتدريب ودراسة أسباب الانحرافات التي يمكن أن تحدث.

5. المساهمة المتوقعة والفعلية من كل فرد يعمل في المنشأة ، من خلال ربط الأجر بالإنتاجية.

6. حصر كافة النفقات المتعلقة بالرواتب المخططة والفعلية (بكافة تفصيلاتها ومفرداتها) ودراسة أسباب الانحرافات التي يمكن أن تحدث ومن ثم رسم سياسات بديلة للأجور في ضوء ذلك.

7. بيان قيمة الموارد البشرية ضمن القوائم والتقارير المالية على وفق الطرق الآتية:
آ. الإشارة إلى الموارد البشرية في التقارير المرفوعة لمجلس الإدارة فقط.
ب. الإشارة إلى الموارد البشرية بقائمة الأصول غير الملموسة والتي تشمل الشهرة وبراءة الاختراع والموارد البشرية وغيرها.

جـ. الإشارة إلى الموارد البشرية بقوائم إضافية مرفقة مع القوائم المالية.
د. إدخال الموارد البشرية ضمن القوائم المالية المعروفة لدينا من حيث رسملة الموارد البشرية ثم إهلاكها على مدى الحياة المتوقعة لها

8ـ معلومات عن ربط الحوافز بإنتاجية كل عامل ودراستها من النواحي الاقتصادية والسلوكية وتأثير ذلك فيها لكي يكون بالإمكان اتخاذ القرارات الخاصة بتوزيع العاملين حسب قدراتهم الذاتية (الفنية والعلمية) وبما يمكن ان يؤدي إلى زيادة الإنتاجية لكل عامل.

وفي الصفحات التالية بعض نماذج المخرجات المذكورة أعلاه ، مع الأخذ بنظر الاعتبار إمكانية تطويرها أو استخدام إحداها دون الأخرى طبقاً لمدى الحاجة إلى كل منها وكذلك مدى توافر إمكانية إعدادها من حيث توفير مدخلاتها وعملياتها التشغيلية ومن ثم توافر الكادر المحاسبي الجيد الغادر على إعدادها.

رابعاً:- التغذية العكسية في النظام

تتم التغذية العكسية من خلال رقابة التنفيذ على العناصر السابقة بهدف تقييمها وتوجيهها التوجيه الصحيح وصولاً إلى تحقيق الأهداف المتوخاة منها.

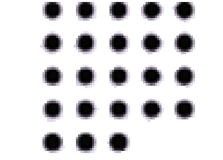
نماذج مخرجات نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية المقترح

أولاً : الموازنة التخطيطية لتكاليف الحصول على الموارد البشرية موزعة حسب نوع المهن

عناصر التكاليف	نوع المهنة				
	الاختصاصات الإدارية	الاختصاصات الفنية	العمال الماهرون	العمال غير الماهرين	المجموع
تكاليف الإعلان عن الوظائف					
تكاليف التعيين					
تكاليف الاختبار					
تكاليف الاستئجار					
أخرى					
المجموع					

تدريب أساسي داخل المنشاة					
تدريب أساسي خارج المنشاة					
تدريب غير أساس داخل المنشاة	نوع المهنة				
عناصر التكاليف	الاختصاصات الإدارية	الاختصاصات الفنية	العمال الماهرون	العمال غير الماهرين	المجموع
تدريب غير أساس					

					خارج المنشاة
					المجموع



ثانياً : الموازنة التخطيطية لتكاليف التدريب والتطوير موزعة حسب نوع المهن

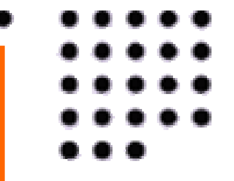
ثالثاً:- قائمة الدخل

قائمة الدخل عن السنة المنتهية في 31/12/ 2006

صافي المبيعات
يطرح: تكلفة البضاعة المباعة
مجمل الربح
يطرح : مصروفات بيع وتسويق
يطرح : مصروفات عمومية وإدارية
صافي الربح التشغيلي
يطرح : صافي المصاريف الأخرى
صافي الربح قبل الموارد البشرية
يضاف : مكاسب الاستغناء عن الموارد البشرية *1
يطرح : مصاريف الموارد البشرية المخصصة للعمليات المستقبلية
مصاريف الاعلان
مصاريف التعيين
مصاريف الاختبار
مصاريف التدريب
أخرى
يطرح : خسائر الموارد البشرية *2
يطرح : قسط إطفاء الموارد البشرية
صافي الربح

*1 مكاسب الاستغناء = مبلغ الانتقال أو البيع – القيمه الدفترية للأصل
القيمه الدفترية للأصل= تكلفة الحصول على الاصل – مجوع اقساط الاطفاء السنوي

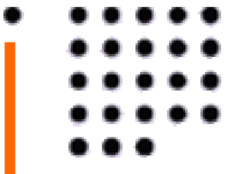
*2 خسائر الموارد البشرية/ قد تكون نتيجة الاستغناء عن الاصل بقيمه أقل من صـــافي قيمته الدفترية أو في حالة وفاة المورد البشري او أي حالة اخرى .



رابعاً:ــ قائمة المركز المالي

قائمة المركز المالي عن السنة المنتهية في 31/12/ 200

الموجودات :
الموجودات طويلة الاجل
–
–
الموجودات المتداولة
–
–
الموجودات غير الملموسة
شهرة المحل
براءة الاختراع
الموارد البشرية
موجودات أخرى
المطلوبات:
المطلوبات المتداولة
–
–
قروض طويلة الأجل
حقوق الملكية
راس المال
أرباح محتجزة



الاستنتاجات :-

1. إن نظـام معلومـات محاسـبة المـوارد البـشرية يعـد أحـد الـنظم الفرعيـة ضـمن نظـام المعلومات المحاسبية يهتم بتوفير كافة البيانات الخاصـة بـالموارد البـشرية التاريخيـة والحاليـة والمستقبلية ، المالية وغير المالية ، ، من خـلال تجميعهـا مـن مـصادرها المختلفة ومن ثم تشغيلها وفق أسس وقواعد محاسبية معينـة طبقاً لمدى الحاجـة إلـى المعلومات التي يمكن إنتاجها وتقديمها إلى كافة الجهات التي يهمها أمر تلك الموارد وبما يؤدي إلى تحقيق الهدف المطلوب منها

2. إن الحاجـة إلـى نظـام معلومـات محاسـبة المـوارد البـشريه فـي الوحـدات الاقتـصادية تزداد كلما كان هناك كماً كبيراً من العمليات الاقتصادية التـي تتطلـب مهـارات عاليـة التدريب والكفاءة.

3. إن تـصميم نظـام معلومـات محاسـبة المـوارد البـشرية سـوف يـساهم فـي قيـاس قيمـة الموارد البشرية وتحليلها بصورة مالية إضافة إلى المساهمة في تخطيط تلك الموارد على مستوى الوحدة الاقتصادية وكذلك علـى المستوى القومي من خـلال المساهمة فـي رسـم سياسـات التوظـف والعمالـة ومـا يـرتبط بهـا مـن سياسـات تنظـيم الهجـرة والأجور والترقيات والحوافز بشكل علمي.

4. إن تطبيقات تكنولوجيا المعلومات تـؤثر تـأثيرا أساسيا علـى نظـام معلومـات محاسـبة المـوارد البـشرية ، ولان مدخلاتـه هـي مخرجـات نظـام معلومـات ادارة المـوارد البشرية ممايؤدي بالنتيجه للتأثير على الوحده الاقتصاديه, حيث يتم التعبير عن كافة البيانـات والمعلومـات الكميـة والوصـفية التـي ينتجهـا نظـام معلومـات إدارة المـوارد البشرية والمتعلقة بالعاملين في المنشاة بموجب دلالات ومـصطلحات مالية بواسطة العمليـات التـشغيلية التـي تجـري عليهـا بواسـطة نظـام معلومـات محاسـبة المـوارد البشرية الذي يمكن تصميمه في الوحدة الأقتصادية المعنيـة .

5. إن مصطلح " النظام " يختلف عن مصطلح " نظام المعلومات " من الناحية العلمية، وعليه فإن أية وحدة إقتصادية يمكن أن يكـون لـديها نظـام محاسبه للمـوارد البـشريه يتكون من عناصـره الأساسـية المتمثلـة بكل من : المدخلات ، العمليـات التـشغيلية ، المخرجات ، التغذية العكسية ، ولكـي يصبح نظامـاً للمعلومـات فـإن الأمـر يتطلـب أن تساهم مخرجات النظام في تحقيـق الفائـدة لمستخدميها وإلا أعتبـرت هـذه المخرجـات مجرد بيانات مرتبة يمكن الأستفادة منها مرة ثانية كمدخلات في النظام .

6. ان الشركات في الدول الغربية اهتمت بالاستثمار بكثافة في العنصر البشري لانه هو الذي يستطيع إيجاد حلول إبداعية في مجال الإنتاج. وجاء ذلك ضمن اهتمام عالمي بدأ منذ تسعينيات القرن العشرين بالتنمية البشرية بأوجهها المختلفة كقاطرة للتقدم الاقتصادي للمجتمعات.

7. إن الموارد البشرية هي ثروة ليست فقط للشركات أو المؤسسات، وإنما للدولة نفسها، وكلما تم الارتقاء بمهاراتها، أدى ذلك إلى المساهمة في التقدم الاقتصادي.

8. إن أهمية النظام المتكامل للمعلومات المحاسبية والأدارية في أية وحدة اقتصادية ، تأتي من خلال إيجاد علاقات التنسيق والتبادل والترابط بين كل من نظام المعلومات المحاسبية (بكافة نظمه الفرعية) ونظام المعلومات الأدارية (بكافة نظمه الفرعية) ، وبما يمكن أن يساهم في تحقيق مجموعة من الأهداف منها : خفض تكاليف إنتاج المعلومات اللازمة للجهات المختلفة ، تقليل الوقت والجهد اللازمين في الحصول على المعلومات من قبل المستفيدين .

التوصيات

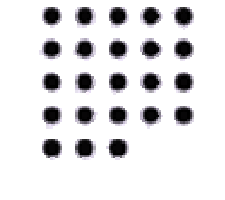
1. ينبغي فصل النفقات المتعلقة بالموارد البشرية في حسابات مستقلة لكي يمكن حصرها وقياسها بدقة وبما يمكن معه المساهمة في اتخاذ قرارات اكثر فاعلية بشأن تلك الموارد في الوحدات الاقتصادية, والاستفاده القصوى من تجارب الشركات الكبرى في مجال تطبيقات نظام معلومات محاسبة الموارد البشريه.

2. ضرورة إنشاء شبكة عربية على الإنترنت معنية بالموارد البشرية من اجل تبادل الخبرات وتوفير قاعدة للتعلم عن بعد بين مراكز التدريب في الدول العربية.

3. ينبغي تصميم نظام معلومات محاسبة الموارد البشرية في الوحدات الاقتصادية في سبيل تنظيم البيانات المتعلقة بالموارد البشرية وبالتالي تشغيلها وإنتاج المعلومات الخاصة بها نظراً لأهميتها على مستوى الوحدة الاقتصادية وكذلك على المستوى القومي.

4. الإطلاع على تجارب الشركات الكبرى في مجال محاسبة الموارد البشرية وعلى التطبيقات الحديثة لها على الصعيدين الدولي والإقليمي.

5. على القائمين على التدريب قياس أثره على أداء المتدربين وعلى الوحدة الاقتصادية وذلك من خلال إتباع أحدث التقنيات الممكنة لعملية التقويم لما بعد التدريب، إضافة إلى تنويع أساليب التدريب والتعلم لتشمل الأساليب الافتراضية وأساليب التعلم عن بعد.



6. ضرورة ان تقوم إدارة الموارد البشرية بجذب الموظفين الأكفاء، والحفاظ على استمرارهم عبر نظم أجور مميزة، وتنمية العاملين داخل المؤسسة، من خلال التدريب المستمر لإكساب الموظف الخبرات والمهارات لمواكبة التطورات في مجال العمل. ويتم تحديد الاحتياجات التدريبية بمؤسساتها من خلال حصر المهارات المطلوب رفع مستواها لدى العاملين، وتقوم بصياغتها بشكل أهداف يرجى تحقيقها، ويتم على أساسها تصميم البرنامج التدريبي.

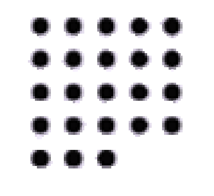
7. نظراً لتعدد النظم الفرعية التي يتكون منها النظام المتكامل للمعلومات المحاسبية والأدارية، وأن هذه النظم الفرعية تشكل مجموعة من الاختصاصات العلمية المتنوعة، فإن الأمر يتطلب وجود فريق عمل يضم كافة هذه الأختصاصات وبالتالي تقسيم العمل بينها بما يحقق التنسيق والترابط والتكامل بين بعضها البعض

مصادر البحث

1. علي عبدالرحيم ,اساسيات التكاليف والمحاسبة الادارية ,جامعة الكويت ,منشورات ذات السلاسل , الكويت ,1990
2. وليد ناجي الحيالي , دراسات في المشكلات المحاسبية المعاصرة , الطبعه الاولى , دار الحامد للنشر والتوزيع , عمان ,2004
3. سمية امين علي : المحاسبه عن رأس المال الفكري , دراسة تحليلية مع التطبيق على رأس المال البشري , مجلة المحاسبة والادارة والتأمين , العدد 60 , جهاز الدراسات العليا والبحوث , كلية التجارة – جامعة القاهره ,2003
4. حامد عمار , العوامل الاجتماعية في التنمية " ورقة مقدمة ضمن بحوث ومناقشات ندوة تنمية الموارد البشرية في الوطن العربي المنعقده في الفتره من 18–29 نوفمبر1987 , بالكويت
5. وليد ناجي الحيالي , مصدر سبق ذكره
6. علي محمد عبدالوهاب, سعيد ياسين عامر , محاسبة الموارد البشرية , دار المريخ للنشر , المملكة العربية السعودية, 1984
7. وليد ناجي الحيالي , مصدر سبق ذكره
8. وليد ناجي الحيالي , المصدر السابق
9. أحمد سيد مصطفى , تحديات العولمة والتخطيط الاستراتيجي , مصر , دار الكتب , الطبعه الثالثه,2000
10. أحمد سيد مصطفى , المصدر السابق
11. قاسم شعبان , تقنية المعلومات في ادارة الشركات , دار الرضا للنشر , بلد النشر غير مذكور ,2000
12. زكي محمود, ادارة الموارد البشريه,منشورات ذات السلاسل , الكويت , بدون سنة طبع
13. وليد ناجي الحيالي , مصدر سبق ذكره
14. زكي محمود, مصدر سبق ذكره

15. وليد الحيالي , إعادة الثروة البشرية المهاجرة ومستقبل العراق – كفاءات وطاقات كبيرة يحتاجها الوطن لإعادة إعمارهِ, بحث منشور في موقع الاكاديميه العربية المفتوحة في الدنمارك
16. موسى اللوزي , التنميه الادارية : المفاهيم , الاسس , التطبيقات , الطبعه الاولى, دار وائل للنشر والتوزيع , عمان , الاردن , 2000
17. الامم المتحدة , برنامج الامم المتحده الانمائي , تقرير التنميه البشرية لعام 1990, وكالة الاهرام للتوزيع , القاهره , مصر , 1991
18. مكتب العمل العربي , الموارد البشريه الغربيه ودورها في الحياة الاقتصادية , مجلة العمل العربي , منظمة العمل العربيه , القاهره , عدد 98 ,1997
19. علي السلمي , ادارة الموارد البشريه , دار غريب للطباعة والنشر ,القاهرة , 1997
20. الامم المتحدة , برنامج الامم المتحده الانمائي , تقرير التنمية البشرية لعام 1995, دار العالم العربي للطباعه , القاهره , 1995
21. احمد سيد مصطفى , مصدر سبق ذكره
22. علي الشرقاوي , ادارة النشاط الانتاجي في المشروعات الصناعية , دار النهضة العربية للطباعة والنشر , بدون سنة طبع
23. محمد رفيق الطيب , مدخل للتسيير اساسيات وفطائق وتقنيات, الجزء الثاني , دار النهضة العربية للطباعة والنشر , بيروت, 1981
24. ديسلر جاري . ترجمة محمد سيد احمد عبد المتعال , ادارة الموارد البشرية , دار المريخ , المملكة العربية السعودية , 2003
25. جميل احمد توفيق , ادارة الاعمال , دار النهضة العربية للطباعه والنشر , بيروت 1981,
26. راجي عنايت , العالم سنة 2000 مستقبل جديد للبشر , دار الشروق , الطبعة الرابعه ,1995
27. هلال عبود البياتي , المدخل لنظم المعلومات الأدارية ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، العراق , 1992
28. محمد أبو النور، تحليل نظم المعلومات بآستخدام الكومبيوتر ، الطبعه الخامسه ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن , 1999
29. قاسم محسن الحبيطي، نظام المعلومات المحاسبية ، وحدة الحدباء للطباعة والنشر، كلية الحدباء الجامعة ، الموصل ، العراق ,2003
30. زياد هاشم يحيى، فاعلية نظام المعلومات المحاسبية في وحدات القطاع الأشتراكي ــ دراسة ميدانية في المنشأة العامة لصناعة الألبسة الجاهزة في الموصل ، رسالة ماجستير في المحاسبة ، كلية الأدارة والأقتصاد ــ جامعة الموصل,1990
31. Bocij, P.Chaffy,D. Greasley,A. Hiickie,S. (2003), Business information System , 2nd ed., Prentice Hall,USA.
32. حسن احمد غلاب، مدخل إلى نظم المعلومات المحاسبية ، مكتبة التجارة والتعاون ، القاهرة ، 1984

33. كمال الدين مصطفى الدهراوي، نظم المعلومات المحاسبية ، دار الجامعة الجديدة للنشر ، الأسكندرية ,2000
34. سعيد محمود عرفة، الحاسب الألكتروني ونظم المعلومات الأدارية والمحاسبية ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ,1984
35. كمال الدين مصطفى الدهراوي, مصدر سبق ذكره
36. محمد محمد الهادي، التطورات الحديثة لنظم المعلومات المبنية على الكومبيوتر، دار الشروق ، القاهرة ,1993
37. محمد نور برهان ، تقنية المعلومات وتحديات الأدارة العامة العربية في عقد التسعينات ، المجلة العربية للأدارة ، العدد الأول ، المجلد (19) ، المنظمة العربية للتنمية الأدارية ، القاهرة ,1999
38. علي قاسم حميد المعمار، تقويم دور نظام المعلومات المحاسبية في إتخاذ القرارات الأدارية – دراسة حالة في الشركة العامة للصناعات الصوفية ، رسالة ماجستير في المحاسبة، كلية الأدارة والأقتصاد – جامعة بغداد,2002
39. وليد ناجي الحيالي , دراسات في المشكلات المحاسبية المعاصرة , الطبعه الاولى , دار الحامد للنشر والتوزيع , عمان ,2004
40. وليد ناجي الحيالي , المصدر السابق



المراجعة الداخلية كأداة فعالة في اتخاذ القرار – دراسة حالة مؤسسة صنع الأدوية (صيدال – saaidal)

إعداد الدكتور – مقدم عبيرات – عميد كلية الإقتصاد –جامعة الأغواط– الجزائر

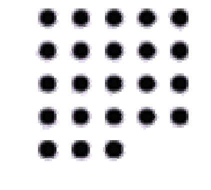
الأستاذ : أحمد نقاز –أستاذ مساعد– جامعة الأغواط– الجزائر

ملخص:

تعد المراجعة بمفهومها الحديث أداة من الأدوات التي تساعد المؤسسة على بلوغ أهدافها، حيث تعمل على تقييم أداء أنشطتها المختلفة المحاسبية والمالية والتشغيلية، الأمر الذي جعل من المراجعة الداخلية ، تلعب دورا مهما في مساعدة إدارة المؤسسة على مسؤوليتها المختلفة. في ظل التطورات الراهنة والمليئة بالفرص والتهديدات، وفي ظل الأشكال المختلفة للمؤسسات وتنوعها وعلى اختلاف أحجامها، زادت حاجة المؤسسة إلى اعتماد وظيفة المراجعة الداخلية، تتوفر فيها مجموعة من المعايير المؤهلة، هذه الوظيفة تساعد إدارة المؤسسة على تطبيق سياساتها وإجراءاتها وبلوغ أهدافها بفعالية وكفاءة، فأصبحت المراجعة الداخلية أداة في يد المؤسسة تستعملها في الكشف عن مواطن الاختلال، وتحديد نقاط القوة، وتنبيه إدارة المؤسسة بما قد تواجهه من أخطار وما يتاح أمامها من فرص.

تعد عملية اتخاذ القرارات في المؤسسة بمختلف مستوياتها الإدارية من العمليات الأساسية التي يقوم بها جميع من هم في المؤسسة، بما يخدم أهدافها المسطرة، إلا أن الإقبال على اتخاذ قرارات ما مهما كان صنفها (استراتيجية، تكتيكية، تنفيذية)، يحتاج إلى الإعتماد على معلومات مؤهلة لذلك، هذا الأمر جعل من المراجعة الداخلية أداة تضمن هذا النوع من المعلومات، فيستعان بها من أجل دعم وتفعيل هذه القرارات بما يضمن الحصول على أكبر عائد منها.

في ضوء كل ما سبق، قام مجمع صيدال هو الآخر باعتماد وظيفة المراجعة الداخلية، تساعده على التحكم في إدارة هذا المجمع بشيء من الفعالية والكفاءة، فيسعى المجمع دائما إلى تبني أنظمة رقابية تؤهله إلى تحقيق أهدافه الإستراتيجية، فكان بذلك للمراجعة الداخلية دورا كبيرا في عملية صنع القرارات بمختلف أنواعها وأساليبها في المجمع، الأمر الذي جعله يحقق نتائج متلاحقة، إلا أن ذلك لا ينفي وجود نقائص يجب على المجمع العمل على تداركها، بحيث أنه لا تزال وظيفة المراجعة الداخلية بالمجمع مطبقة بصورة غير مكتملة من حيث الموارد المادية والبشرية والتقنية.



تمهيد:

لقد أدى النمو المطرد في أنشطة الأعمال وكبر حجم المؤسسات وتعقد العمليات التي تقوم بها إلى زيادة الاهتمام بالوظيفة الرقابية للإدارة وظهور الحاجة إلى وجود المراجعة الداخلية كنشاط رقابي مستقل يساعد الإدارة في القيام بوظيفتها الرقابية بفاعلية وكفاءة، وذلك من خلال تقييم مدى الالتزام بالسياسات و الإجراءات الموضوعة و حماية الأصول والتحقق من دقة واكتمال السجلات المحاسبية، بل ذهب الإهتمام بالمراجعة الداخلية إلى أبعد من ذلك واتسع نطاق استخدامها، فأصبح يعتمد عليها في تقييم فاعلية وكفاءة العمليات التشغيلية للمؤسسة و كفاءة وأمانة العاملين فيها، كما أصبحت تستخدم كأداة لفحص وتقييم مدى فعالية الأساليب الرقابية ومد الإدارة العليا بمعلومات ذات مصداقية وصالحة لإتخاذ القرارات.

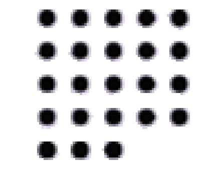
وبهذا أصبحت المراجعة الداخلية أداة تبادل معلومات واتصال بين المستويات الإدارية المختلفة والإدارة العليا، حيث أن حاجة هذه المستويات الإدارية لمعلومات مؤهلة لإتخاذ القرارات المختلفة، زاد من اللجوء إلى أعمال المراجعة الداخلية كمساعد للوصول إلى ذلك فأصبحت المؤسسات بمستوياتها الإدارية المختلفة – بما في ذلك المؤسسة الجزائرية – تتخذ من المراجعين الداخليين كمستشارين تلجأ إليهم عند الإقبال على إتخاذ قرارات معينة، خاصة الإستراتيجية منها، لأن مسيري هذه المؤسسات يعلمون أن الخطأ في مثل هذه القرارات سوف يكلف المؤسسة غاليا ويستهدف كيانها وأهدافها، كما علموا أنه في مثل هذا النوع من القرارات يجب التريث والتأني مع الإلمام الكامل بحيثيات هذا القرار، حتى يضمن مردوديته، وانتقل الاهتمام والمراعاة الكلية بالقرارات الإستراتيجية وما تحتاجه من معلومات إلى المستويات الإدارية الأخرى، حيث أن هذه الأخيرة تولد معلومات تخدم القرارات الإستراتيجية ومن ثم هذه المعلومات هي ناتجة من قرارات في كل من المستوى التكتيكي والتنفيذي، ومراعاة للمواصفات التي يجب أن تكون بها هذه المعلومات، يجب أن تتخذ هذه القرارات في هذه المستويات على ضوء طرق علمية وعملية بما يخدم الصالح العام للمؤسسة، ومن أجل بلوغ ذلك استعانت هذه المستويات الإدارية– التكتيكية والتنفيذية – هي الأخرى بخدمات وظيفة المراجعة الداخلية وجعلت منها مرجعا تأخذه في الحسبان وتلجأ إليه عند الإقبال على إتخاذ قرارات معينة.

وعلى هذا الأساس فإن التساؤل الجوهري الذي نحاول الإجابة عنه من خلال هذه الدراسة يمكن صياغته على النحو الآتي:

إلى أي مدى يمكن للمراجعة الداخلية أن تساهم في تفعيل القرارات المتخذة بمختلف مستوياتها الإدارية داخل المؤسسة (مجمع صيدال)؟

إن التسليم بإعتماد المؤسسة للمراجعة الداخلية سوف يزيد من فاعلية وكفاءة أداء نشاطها، هو ما يقودنا للبحث عن إجابة للأسئلة الفرعية التالية:

- هل أنه بتوفر جميع الشروط والمقومات الأساسية للمراجعة الداخلية تكون وحدها من دون اللجوء إلى جهات خارجية مماثلة قادرة على بلوغ الأهداف المرجوة منها؟
- هل يمكن أن تساهم المراجعة الداخلية في تفعيل كل القرارات المتخذة داخل المؤسسة؟
- هل أن المؤسسة الاقتصادية الجزائرية على وجه العموم ومجمع صيدال على وجه الخصوص اعتمدت على مراجعة داخلية بمقوماتها الأساسية؟ وهل كانت



هناك نتائج فعلية ساهمت المراجعة الداخلية في تحقيقها من خلال القرارات المتخذة؟

لمعالجة الإشكالية المطروحة والتساؤلات الفرعية نحاول بناء الفرضيات التالية:

- إن اعتماد مراجعة داخلية بجميع مقوماتها من شأنه أن يساهم بدرجة كبيرة في تفعيل القرارات المتخذة وعلى جميع المستويات، كما تزيد توجيهات الخبرات الخارجية من فاعلية المراجعة الداخلية في الإسهام في عملية صنع القرارات.
- يتوقف إسهام المراجعة الداخلية في تفعيل جميع القرارات على مدى قناعة المستويات الإدارية المختلفة بأهمية وظيفة المراجعة الداخلية.
- تحاول المؤسسة الجزائرية تبني نماذج وطرق تسييرية رقابية حديثة تساعدها على بلوغ أهدافها، وتعتبر المراجعة الداخلية محل إهتمام بالنسبة لها، وهذا لما للمراجعة الداخلية من إسهام في تحقيق النتائج.

أهمية الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- محاولة تحديد إطار نظري للمراجعة بصفة عامة وإبراز موقع المراجعة الداخلية من هذا الإطار، مع تبيان مدى استفادة المراجعة الداخلية من هذا الإطار الكلـــي للمراجعة؛
- محاولة تحديد الإطار العلمي للمراجعة الداخلية كوظيفة داخل المؤسسة؛
- إبراز الأهمية ودرجة الاستفادة من المراجعة الداخلية في العملية التسييرية بصفة عامة وعملية إتخاذ القرارات بصفة خاصة؛
- حاجة المؤسسة الإقتصادية الجزائرية إلى التطبيق المـــشروع والفعـــال لوظيفـــة المراجعة الداخلية لمساعدتها في تأدية أنشطتها بصورة سليمة، من أجل تحقيـــق أهدافها المنشودة، والتكيف مع ما يحصل من تطورات.

خطة البحث.

انطلاقا من الأهداف المرجوة مـــن الموضـــوع ولمعالجـــة الإشـــكالية الرئيـــسية والتساؤلات الفرعية ولاختبار الفرضيات تم تقسيم هذه الدراسة إلى مبحثين .

المبحث الأول : الإطار الفكري والمفاهيمي للمراجعة الداخلية .

المبحث الثاني : دراسة حالة مجمع صيدال -SAAIDAL -

1. المبحث الأول : الإطار الفكري والمفاهيمي للمراجعة الداخلية .

تعد إدارة المؤسسة هي المسؤولة عن إعتماد الضوابط المحاسبية و الإدارية التي تتمثـــل في الاحتفاظ بالموجودات، و بتصميم السجلات المالية بصورة تمكن من الاعتماد عليها، و بتنفيذ العمليات بكفاءة معقولة، هذا و تتمكن الإدارة عادة من تنفيذ مسؤولياتها بالاســـتعانة بإدارة المراجعة الداخلية، التي نحاول تحديد مفهومها وتطورها وأهدافها كالآتي:

1.1 مفهوم وتطور المراجعة الداخلية

المراجعة الداخلية هي وظيفة رقابية تمارس في المؤسسات المختلفة منذ قرون مضت، و هي تنبع من الوظيفة الرقابية لإدارة المؤسسة و تتأثر بأهدافها، و تتطور مع تطورها، و لقد نشأ الطلب على المراجعة الداخلية نتيجة الحاجة لوجود وسيلة تحقق مستقلة بغـــرض الحد من الغش، الأخطاء في السجلات المحاسبية و بغرض حماية الأصول.

و يرجع المؤرخون وجود المراجعة الداخلية إلى أكثر من ستة آلاف عام مضت[1]، حيث يعتقد بوجود دليل على أن هناك أنظمة رسمية للتسجيل و التحقق كانت تستخدم في ذلك الوقت في منطقة الشرق الأدنى، و بدأ الاهتمام بالمراجعة الداخلية يزيد في أوربا في القرن الثامن عشر الميلادي نتيجة ظهور حالات كثيرة للغش، و مع انتقال المحاسبة إلى الدول الأوربية و المراجعة إلى الولايات المتحدة و النمو المضطرد في أنشطة الأعمال بدأ الاتجاه نحو ضرورة وجود وظيفة رقابية مستقلة داخل المؤسسة.

و نظرا لأن اهتمام الإدارة في الماضي كان ينصب أساسا على حماية الأصول، و بالاحتفاظ بتسجيلات مالية دقيقة، و الالتزام بالسياسات و الإجراءات الموضوعة، و الحد من حالات الغش، فقد ينظر لوظيفة المراجعة الداخلية على أنها امتداد لعمل المراجع الخارجي، و أدت هذه النظرة الضيقة لمجال عمل المراجع الداخلي إلى التركيز على الجوانب المالية فقط للعمليات و أنشطة المؤسسة، و كان المراجع الداخلي في ذلك الوقت يلعب دورا محدودا، كما لم تكن هناك حاجة لإنشاء نشاط مستقل على شكل قسم أو إدارة للمراجعة الداخلية ضمن الهيكل التنظيمي للمؤسسة.

و لقد أدى النمو المطرد في أنشطة الأعمال، و كبر حجم المؤسسات, و تعقد العمليات التي تقوم بها، إلى زيادة الاهتمام بالوظيفة الرقابية للإدارة و ظهور الحاجة إلى وجود المراجعة الداخلية كنشاط رقابي مستقل يساعد الإدارة في القيام بوظيفتها الرقابية بفاعلية و كفاءة، و ذلك من خلال تقييم مدى الالتزام بالسياسات و الإجراءات الموضوعية، حماية الأصول، التحقق من دقة و اكتمال السجلات المحاسبية و ما تحتوي عليه من بيانات و تقييم كفاءة العمليات التشغيلية للمؤسسة و فاءة العاملين فيها إذ ترتب على ذلك الاعتراف بالدور الذي تلعبه المراجعة الداخلية كوظيفة رقابية تمتد إلى كل الجوانب المالية و التشغيلية في المؤسسة واتسع نطاق استخدامها و أصبحت تستخدم كأداة لفحص و تقييم مدى فاعلية الأساليب الرقابية و مد الإدارة العليا بالمعلومات، بهذا أصبحت المراجعة الداخلية أداة تبادل معلومات و اتصال بين المستويات الإدارية المختلفة و الإدارة العليا، وانعكس هذا التطور الملحوظ للمراجعة على شكل برنامج المراجعة، فقد كان البرنامج في السنوات الأولى لظهور المراجعة يرتكز على مراجعة العمليات المحاسبية و المالية ، لكن و بعد توسيع نطاق المراجعة، أصبح برنامج المراجعة يتضمن تقييم نواحي النشاطات الأخرى.

إن الزيادة في حالات الفشل و إفلاس المؤسسات في الولايات المتحدة في الأربعينات من القرن السابق، أدى إلى بدأ الاتجاه نحو ضرورة الاعتراف بالمراجعة الداخلية كمهنة تكون لها مقوماتها التي تمكنها من تحقيق الغرض منها، حيث تم إنشاء معهد المراجعين الداخليين في الولايات المتحدة في عام 1941[1] و ذلك بغرض تطوير المراجعة الداخلية كمهنة يعترف بها، و أدى إنشاء فروع عديدة لهذا المعهد في عدد كبير من الدول، إلى انتشار فكرة "المهنية" في المراجعة الداخلية و ضرورة تطويرها كمهنة تتوافر لها مقوماتها من وجود معايير مهنية لممارستها، و الترخيص بمزاولتها، و قواعد السلوك المهني يجب الالتزام بها، مع ضرورة التعليم و التطوير المستمر لممارسي المهنة.

من خلال التطورات التي حصلت في البيئة المحيطة بالمؤسسة والتي انعكست على مهنة المراجعة الداخلية التي أصبحت تمارس كوظيفة داخل المؤسسات و في بيئات متنوعة من الناحية القانونية أو الثقافية و في مؤسسات تختلف في غرضها، و حجمها، وهيكلها التنظيمي، و شكلها القانوني، و عن طريق أفراد داخل أو خارج المؤسسة.

نلاحظ من خلال هذا التطور التاريخي للمراجعة الداخلية أن هذه الأخيرة لها ما يؤهلها من المقومات أن تلعب دورا كبيرا في عملية اتخاذ القرار و على جميع المستويات، خاصة الإدارة العليا.

فالنقلة الملحوظة من مجرد المراجعة المحاسبية للتأكد من صحة تسجيل العمليات المالية و اكتشاف الأخطاء إلى أن أصبحت تستخدم كأداة لفحص و تقييم مدى فاعلية الأساليب الرقابية و متابعة العمليات...، كل هذا من شأنه أن يزيد من الوثوق في مخرجات هذا النظام (نظام المراجعة الداخلية) و الاعتماد عليه في عملية اتخاذ القرار.

و يعد أول تعريف للمراجعة الداخلية[1] هو التعريف الصادر من معهد المراجعين الداخليين الأمريكي "I I A" فقد جاء فيه أن المراجعة الداخلية هي نشاط تقييمي مستقل يوجد في منظمة الأعمال لمراقبة العمليات المحاسبية و المالية، و العمليات الأخرى، من أجل تقديم خدمات وقائية وعلاجية للإدارة، داخل التنظيم للقيام بالمسئوليات المنوطة بها بدرجة عالية من الكفاءة و ذلك عن طريق توفير التحليل و التقييم و التوصيات و المشورة و المعلومات التي تتعلق بالأنشطة التي تتم مراجعتها.

و عرفت المراجعة الداخلية على أنها حلقة من حلقات الرقابة الداخلية و أداة في يد الإدارة تعمل على مد الإدارة بالمعلومات المستمرة حول سيرورة العمليات المحاسبية و المالية و العمليات التشغيلية الأخرى[1].

و عرفت كذلك "ETIENNE" (المراجعة الداخلية على أنها تكون داخل المؤسسة وظيفة مستقلة للتقييم الدوري لصالح المديرية العامة)[1] .

أما المعهد الفرنسي للمراجعة و الرقابة الداخلية Institut Française De L'audit Et Du Contrôle Interne (IFACI) فقد عرف المراجعة الداخلية على أنها نشاط مستقل يهدف إلى إعطاء المنظمة الضمانات الكافية حول درجة التحكم في العمليات و إعطاء نصائح من أجل القيام بالتحصينات اللازمة و التي تساهم في خلق قيمة مضافة.

و لقد جاء HAMMINI ALLEL بتعريف للمراجعة الداخلية يبين فيه أن المراجعة الداخلية يقوم بها شخص أو أشخاص مؤهلون تابعون تنظيميا للإدارة العليا ومستقلون عن باقي الوظائف بما فيها المحاسبة والمالية، و هي وظيفة رقابية داخلية ترتبط مباشرة بمدير المؤسسة.

و يقتصر عملها على مختلف الوظائف و الدوائر و العمليات، فمن خلال المراجعة الداخلية يتم مراجعة عمليات مختلف الوظائف من أجل القيام بالتحسينات اللازمة للوصول لتطبيق جيد للسياسات و الإجراءات المتبعة في الوحدة[1] .

كما تساعد المؤسسة على الوصول للأهداف المسطرة بشكل منظم ومنهجي.

و تعد هذه كإجراءات لإدارة المخاطر Management des Risque و رقابة المؤسسة و إعطائها اقتراحات من أجل تدعيم فعاليتها[1].

من خلال هذه التعاريف المختلفة حول المراجعة الداخلية يكن إعطاء تعريف شامل للمراجعة الداخلية إذ نعدها أنها وظيفة مستقلة داخل المؤسسة، يقوم بها شخص (أشخاص) تابع للمؤسسة، حيث تتمثل نشاطات هذه الوظيفة في القيام بعملية الفحص الدوري للوسائل الموضوعة تحت تصرف مديرية المؤسسة قصد مراقبة وتسيير المؤسسة، و التدقيق فيما إذا كانت الإجراءات المعمول بها تتضمن الضمانات الكافية، و أن العمليات شرعية والمعلومات صادقة و أن التنظيمات فعالة و الهياكل واضحة و مناسبة، و كذا مساعدة إدارة المؤسسة في تحقيق أهدافها المسطرة.

2.1 أهداف المراجعة الداخلية

كي يمكن تحديد أهم الأهداف المرجوة من المراجعة الداخلية من جهة و أهداف أفراد إدارة المراجعة الداخلية من جهة أخرى، لابد أن نميز بين هذين النوعين من الأهداف.

فإذا أردنا التطرق إلى الأهداف المرجوة من المراجعة الداخلية فيمكن القول بأنه بالرغم من أن الهدف الرئيسي لقسم (دائرة أو خلية) المراجعة الداخلية في أي تنظيم هو الإسهام في تحقيق الأهداف الكلية لهذا التنظيم، فإن المراجعين الداخليين يسعون بصفة أساسية إلى تحقيق الأهداف التالية:

- مراجعة و تقييم نظم الرقابة الداخلية؛
- قياس درجة الكفاءة التي يتم بها تنفيذ الوظائف؛
- تحديد مدى التزام العاملين بسياسات المؤسسة و إجراءاتها؛
- حماية أصول المؤسسة؛
- منع الغش و الأخطاء و اكتشافها إذا ما وقعت؛
- تحديد مدى الاعتماد على نظام المحاسبة و التقارير المالية، و التأكد من أن المعلومات الواردة فيها تعبر و بدقة عن الواقع؛
- القيام بمراجعات منتظمة ودوريةللأنشطة المختلفة و رفع تقارير –الإقتراحات النتائج و التوصيات إلى الإدارة العليا؛
- تحديد مدى التزام المؤسسة بالمتطلبات الحكومية الاجتماعية؛
- تقييم أداء الأفراد بشكل عام؛
- التعاون مع المراجع الخارجي لتحديد مجالات المراجعة الخارجية؛
- المشاركة في تخفيض التكاليف ومنع الإسراف والتبذير ووضع الإجراءات اللازمة لها.

3.1. الضوابط الأساسية للمراجعة الداخلية

تعتمد معظم الإدارات حاليا على وظيفة المرجعة الداخلية في تعزيز نظم الرقابة لديها، حيث أن وظيفة المراجعة الداخلية بمفهومها الحديث أصبحت تمارس أنشطتها في مختلف أجزاء التنظيم دون استثناء، و تراجع كافة العمليات الإدارية و المالية و التشغيلية، و لكي تؤدي المراجعة الداخلية دورها بصورة سليمة و بفاعلية كبيرة يجب أن تحظى بمجموعة من الخصائص التي يجب توافرها، و تمس هذه الخصائص قسم المراجعة الداخلية في حد ذاته بحيث يجب أن يؤدي مهامه تحت ضل تنظيم محكم، كما تمس هذه الخصائص أيضا الكيفية التي يتموضع بها قسم المراجعة الداخلية داخل تنظيم المؤسسة ككل بحيث يجب أن يتصف بما يؤهل قسم المراجعة الداخلية لأداء مهامه بكل نزاهة و موضوعية و جدية.

1. 3. 1 تنظيم المراجعة الداخلية

يتكون قسم المراجعة الداخلية عادة من عدد قليل نسبيا من المراجعين ذوي المهارات العالية التأهيل والخبرة و ذلك بالمقارنة مع معظم الأقسام الأخرى و قد يقتصر الأمر في بعض التنظيمات على وجود مراجع داخلي واحد، كما أنه قد يتسع قسم المراجعة الداخلية في تنظيمات أخرى ليتضمن عدد كبير من المراجعين يعملون هم وحدهم تحت تنظيم كبير محكم بخلاف المصالح الأخرى.

و على هذا الأساس يتحدد شكل و حجم المراجعة الداخلية في المؤسسة إلى معيارين أساسيين هما[1].

أ- حجم المؤسسة: يعد حجم المؤسسة محددا أساسيا لطبيعة المراجعة الداخلية المعتمدة في المؤسسة، فلا يمكن في هذا المجال أن نصمم هيكل للمراجعة الداخلية موحدا بين المؤسسة المحلية، الوطنية أو الدولية، فاختلاف شكل و حجم المؤسسة يحتم إيجاد شكل محدد للمراجعة الداخلية، فمثلا المؤسسات الصغيرة و المتوسطة لا تحتاج إلى قسم للمراجعة الداخلية بحجم قسم مماثل في مؤسسة ذات حجم كبير، فهذا يقودنا إلى حالة عدم الرشاد و الزيادة في تكاليف عملية الرقابة بالمقارنة على ما تدره من منافع على التنظيم الإداري ككل.

و ينطوي الهيكل التنظيمي لقسم المراجعة الداخلية عادة على ثلاث مستويات من المراجعين ممارسي المهنة و ذلك كما هو مبين في الشكل التالي:

الشكل رقم (01): المستويات التنظيمية لدائرة المراجعة الداخلية

Source: Benoit Pige, Audit et contrôle interne, , editions EMS, 2eme édition Benoit Pige, audit et contrôle enterne, 2e edition, EMS, Paris, 2004, P 72.

يتحمل المشرف على قسم المراجعة كل المستويات العامة للقسم، و هو يقوم بإعطاء التوجيهات العامة للقسم، كما يقوم بالتخطيط و وضع سياسات و إجراءات المراجعة، و إدارة العاملين معه بالقسم، و التنسيق مع المراجعين الخارجيين و وضع برنامج و النماذج المختلفة للتحقق من جودة المراجعة.

ب- مركزية و لا مركزية المراجعة: إن كبر و حجم المؤسسات و اتساعها جغرافيا يحتم وجود هياكل قارة نسبيا لتسيير الأنشطة في مناطقها بغية ممارسة الرقابة على هذه الهياكل، يجود ثلاث أنواع من المراجعة الداخلية وفقا لهذا الوضع هما:

- **مراجعة داخلية مركزية:** تكون باعتماد مديرية واحدة للمؤسسة الكبيرة لتقوم ببرمجة الزيارات المختلفة الميدانية لفروع هذه المؤسسة.
- **مراجعة داخلية لا مركزية:** في ظل هذا النوع هياكل المراجعة الداخلية على مستوى كل منطقة نشاط أي يكون على مستوى كل فرع أو تكتل جغرافي معين للمؤسسة قسم للمراجعة.
- **مراجعة داخلية مختلطة:** في هذا النوع من المراجعة الداخلية يتم المزج بين النوعين الأولين المراجعة الداخلية المركزية و اللامركزية بحيث يتم

إرساء مديرية للمراجعة الداخلية على مستوى المديرية العامة للمؤسسة و جعل فروع لها على مستوى كل منطقة نشط.

1.3.2 - موقع المراجعة الداخلية في التنظيم الإداري

إن وظيفة المراجعة الداخلية في المؤسسة تتناول المجال التقييمي في المؤسسة و كذلك الوقائي لأصول المؤسسة ثم النواحي الإنشائية بتقديم الاقتراحات التحسينية لأنظمة المؤسسة، كما أن مجالها يتسع و يجعلها أداة رقابية للمستويات العليا للمؤسسة، فالمراجع الداخلي يقوم بعمله من واقع مهامه الوظيفة و مسئولياته أمام الإدارة العليا، فهو يقيم عمل الغير و لكن لا يواجه الغير في العمل فهو لا يتمتع برئاسة مباشرة لهيئة الموظفين الذين يراجع عملهم[1]، فالمراجع الداخلي مستقل في تنفيذ مهام وظيفته ولا يملك السلطة على إعطاء الأوامر بصفة مباشرة للموظفين، فهو يتأكد من التماشي مع السياسات و الإجراءات و السجلات و فحصه بغرض مسؤولية المخطئ، حيث أن ما يقوم به من فحص لا يبعد المسؤولية عن الأفراد الذين قاموا بالعمل.

إن أداء المراجع الداخلي لمهامه لا يمكن أن نتصور اكتمالها إلا في ظل تمتعه باستقلالية تامة عن باقي الوظائف[1] إذ تعد استقلالية المراجع الداخلي أحد المعايير الهامة للمراجعة، و يعتبر هذا المعيار ضروريا لكفاءة تنفيذ برنامج المراجعة و لكن كيف يتسنى تحقيق هذا الاستقلال للمراجع الداخلي و هو موظف بالمؤسسة يقوم بتقديم خدماته للإدارة العليا، ففي ظل العلاقة الوظيفية للمراجع الداخلي لا يمكن أن يتحقق الاستقلال الكامل و من ثم يتحول الأمر إلى تحقيق نوع من الاستقلال في الوضع التنظيمي للمراجع الداخلي بالنسبة للإدارات و الأقسام بالمؤسسة و الوضع الأمثل هو أن يتبع المراجع الداخلي تنظيم الإدارة العليا للمؤسسة و من مقتضيات الاستقلال أن يكون المراجع الداخلي بعيدا عن وضع السياسة و الإجراءات و إعداد السجلات أو الارتباطات أو أي عمل تنفيذي آخر يكون من الطبيعي أن يتولى مراجعته و تقييمه فيما بعد و في ظل هذا الوضع يقدم تقاريره لمجلس الإدارة أو معالجة المراجعة المنبثقة من مجلس الإدارة.

و من خلال هذا يمكن القول أن المراجع الداخلي مستقل في عمله من ناحيتين[1]:

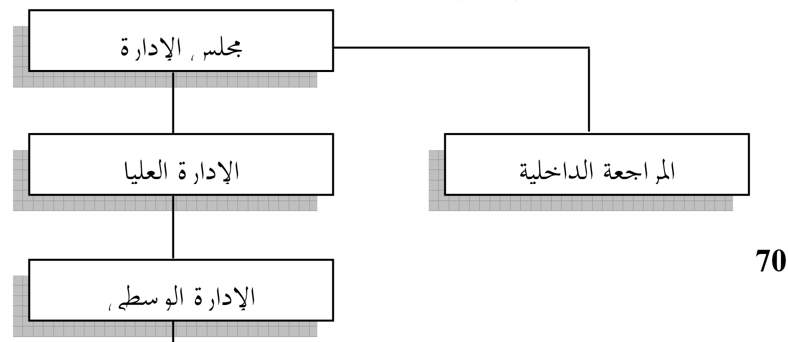
أ - مكانه في التنظيم الوظيفي و ارتباط عمله بالمستويات العليا حيث أن تعضيد الإدارة له يحقق الاستقلال في عمله و تحقيق ما يوكل إليه من عمل، فرئيس إدارة المراجعة مسؤول أمام المستويات العليا للإدارة، نظرا لأن ما سيكشفه عمله أثناء تأديته له هو اهتمامات مجلس الإدارة.

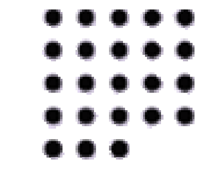
ب- إن المراجع الداخلي يقوم بوظيفته من حيث الفحص و التقييم و مراقبة التنفيذ لجميع أنشطة المؤسسة و لهذا لا يجب أن يعهد إليه بأي مهام تسجيلية أو تنفيذية.

من خلال هذا يجب أن تراعى استقلالية دائرة المراجعة الداخلية بشكل تام و أن تكون مربوطة بشكل مباشر مع الإدارة العليا الذي من مسؤولياتها متابعة أمور المؤسسة و إصدار التعليمات و وضع الضوابط و الأنظمة - إصدار القرارات الإستراتيجية - قد تكون مرتبطة مع المدير العام و لكن لأجل ضمان تنفيذ التوصيات فمجلس الإدارة هو من يجب الارتباط معه[1].

و يمكن أن يظهر لنا موقع قسم أو دائرة المراجع الداخلي من خلال الشكل التالي:

الشكل رقم (02): تموضع المراجعة الداخلية داخل الهيكل التنظيمي





المصدر: عماد الحانوتي مرجع سبق ذكره، ص 03.

هناك اتجاهات متزايدة في الكثير من الشركات نحو ما إنشاء ما يطلق عليه بلجنة المراجعة و تتكون لجنة المراجعة من أعضاء مجلس الإدارة غير المتفرغين و ذلك بغرض الإشراف على وظيفة المراجعة الداخلية[36]، مما يزيد من استقلالية قسم المراجعة الداخلية عن الإدارة، و كلما زادت العلاقة بين لجنة المراجعة و قسم المراجعة الداخلية كلما زاد احتمال توافر الاستقلالية و الموضوعية في الفحص و التقدير، و يجب أن تكون لجنة المراجعة مسئولة على الأقل على الإشراف على توظيف، و ترقية، و مكافأة رئيس قسم المراجعة الداخلية (المشرف)، و يجب أن يتم اعتماد جميع السياسات و المعايير و الإجراءات الخاصة بالمراجعة الداخلية عن طريق لجنة المراجعة، فيكون بذلك تموضع قسم المراجعة الداخلية على وفق لجنة المراجعة الداخلية و الهيكل التنظيمي للمؤسسة كالتالي:

الشكل رقم (03): تموضع المراجعة الداخلية داخل الهيكل التنظيمي وفقا للجنة المراجعة

لجنة المراجعة مجلس الإدارة
مسئولية إدارية
المراجعة الداخلية
الادارة العليا
الادارة الوسطى
الادارة التنفيذية

لمصدر: فتحي السوافيري و آخرون، مرجع سبق ذكره، ص

على الرغم من أن المساءلة الإدارية لقسم المراجعة الداخلية يجب أن تكون للجنة المراجعة، إلا أن الواقع العملي قد يختلف كثيرا عن ما يجب أن يكون، ذلك أن أعضاء لجنة المراجعة هم من أعضاء مجلس الإدارة غير المتفرغين و لديهم الكثير من المسؤوليات الأخرى خارج الشركة مما يجعل عملية إشرافهم على قسم المراجعة الداخلية أمرا من الصعوبة بمكان

تشارك لجنة المراجعة عادة في المساءلة الإدارية لقسم المراجعة الداخلية مع الإدارة العليا و ذلك باعتماد توظيف، و فصل المشرفين على قسم المراجعة الداخلية و باعتماد جداول عمل هذا القسم و كذلك خططه التوظيفية و موازنة مصروفاته و مراجعة أداء المراجعين الداخلين بالمشاركة في الإدارة العليا.

إن اتخاذ المراجعة الداخلية وضعا محددا يضمن استقلالية عملها عن باقي الوظائف من شأنه أن يؤهل عمل إدارة المراجعة الداخلية إلى القيام بعملية المراجعة بأحسن حال و بما يضمن فعالياتها، و بالتالي يكون مخرج نظام المراجعة الداخلية قابل للاعتماد عليه في عملية اتخاذ القرار على كل المستويات،إن وجود خلية أو قسم للمراجعة الداخلية داخل التنظيم الإداري – المؤسسة – من شأنه أن يكون له منعكس نفسي على سلوك الموظفين في كل مستوى إداري معين مما يؤدي بكل واحد منهم المحاولة من أن يؤدي عمله في أحسن حال و بالتالي اتخاذ قرارات بأقل احتمال خطأ.

3.1 .3 – آلية عمل المراجعة الداخلية

تختلف طريقة أداء المراجع الداخلي تبعا لاختلاف طبيعة نشاط المؤسسة و نوعية المشكلات التي تؤثر على أداء عملياتها و النظام الإداري الذي تسير عليه إدارتها، فعلى المراجع الداخلي أن يجيب على ثلاث أسئلة و هي[40]:

أ- ماذا يجب عليه أن يقوم بمراجعته؟

ب- متى تتم المراجعة؟

ج– لأي غرض تتم المراجعة؟

بداية يجب على المراجع مراجعة ذلك الجزء من نظام الرقابة الذي يحقق أفضل منفعة مقابل التكلفة التي يتم تحملها و تتضمن تلك التكلفة وقت فريق المراجعة و ما يتعلق به من تكلفة، كما تتحقق المنفعة مما يتم التوصل إليه من عملية المراجعة بما يمكن من تحسين الرقابة على الجوانب الرئيسية في عمليات التنظيم، و ذلك إلى جانب تجنب ما كان يمكن أن يقع من خسائر و هناك منفعة أخرى تترتب على المراجعة الداخلية، ذلك أنه في حال عدم وجود أية عيوب في نظام الرقابة، فإنه يكفي أن يشعر أفراد التنظيم أن ما يقومون به من أنشطة يحتمل أن يخضع للمراجعة بصفة دورية كي ينشأ لديهم حافزا لتحسين أدائهم و تحقيق رقابة داخلية أفضل.

و على الرغم من أن تكلفة القيام بعملية المراجعة تعتبر من العوامل التي يأخذها المراجع في الاعتبار، إلا أن العامل الأساسي الذي يحكم توزيع الموارد التي تتعلق بالمراجعة الداخلية هو مخاطر الفشل في تحقيق واحد أو أكثر من أهداف الرقابة الداخلية، و يمكن تصنيف تلك المخاطر تبعا للأهداف الخمسة للرقابة الإدارية على النحو التالي[41]:

عدم دقة المعلومة المالية و التشغيلية؛

- الفشل في إتباع السياسات، و الخطط، و الإجراءات، و القوانين؛

- ضياع الأصول؛
- الاستخدام غير الاقتصادي و غير الكفء للموارد؛
- الفشل في تحقيق الأهداف الموضوعية.

و هناك بعض المخاطر التي يصعب – و قد يكون من المستحيل – فرض رقابة عليها، و في هــذه الحالة يمكن للإدارة شراء تأمين بما يخفض حجم الخسارة المتوقعة إلى أدنى حد ممكــن، و تحــاول الإدارة بصفة عامة

تخفيض المخاطر عن طريق:

- زيادة الإجراءات الرقابية؛
- التأمين ضد الخسائر الممكنة؛
- البحث عن عائد أكبر عندما تتحمل مخاطر أعلى.

إن تحديد وقت عملية المراجعة يتوقف على قيام المراجع – بجانب تحديده نوع المخاطر الممكنــة– بتحديد حجم المخاطر القائمة، و لتحقيق ذلك فقد يقوم بدراسة التنظيم ككل و تقدير المخاطر النــسبية التي تتعلق بالأنشطة المختلفة، ثم يقوم بترتيب تلك الأنشطة بحسب المستويات النسبية للمخاطر بحيث يتم فحص الأنشطة التي تنطوي على مخاطرة أكبر أولا، ثم يقــوم المراجــع بوضــع إســتراتيجية للمراجعة و خطة تكون ملائمة يأخذ بعين الاعتبار عند وضعها[42] :

- دراسة هيكل المؤسسة؛
- دراسة الأنظمة الإدارية و المالية في المؤسسة؛
- الوقت اللازم لتنفيذ الخطة.

و بعد وضع البرنامج الذي يراه كافي لإتمام عملية المراجع يقبل على مباشرة عملية المراجعة و التي تتلخص في ما يلي[43] :

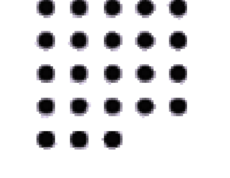
أ- الفحص:

إن نشاط المراجع الداخلي الذي يختص بالفحص يشمل السجلات المحاســبية و مراقبــة الأصــول و التحقق من التقارير المالية، و تظهر فاعلية المراجعة الداخلية في المؤسسة حيث يقوم المراجع الداخلي بزيارة الفروع نظرا لبعدها عن المركز الرئيسي و الإدارة المركزية للمؤسسة، مما يقتــضي فحــص سجلاتها و رقابة أصولها،

و قد لا يتمكن من تطبيق رقابة داخلية بالفروع نظرا لصغرها و عدم جدواه اقتصاديا، على هذا فإن على الإدارة المركزية أن تتأكد من أن المسؤوليات الملقاة على مديري الفروع فيما يخص الحفاظ على الأصول و التسجيل الدفتري قد نفذت بصورة سليمة، و كأمثلة للمراجعة الداخلية في هذا المجال عــدْ النقدية و مراجعة مذكرات التسوية و التأكد من أرصد العملاء ...إلخ .

و يمتد الفحص و التحقق إلى التقارير المستخرجة من سجلات المؤسسة، حيث أن الإدارة تعتمد إلــى حد كبير على المعلومات و البيانات الواردة في التقارير لتسيير النواحي التشغيلية و اتخاذ القــرارات اليومية التي لن تكون سليمة إلا إذا كانت التقارير صحيحة.

إن الهدف من الفحص و التحقيق يتمثل في التأكد من مدى صحة العمليات المحاسبية من حيث الدقــة المحاسبية و المستندية و سلامة التوجيه المحاسبي و جمع الأدلة و القوانين التي تثبــت صــدق مــا تتضمنه السجلات و ما يترتب عليه من أمانة البيانات المحاسبية و إمكانية الاعتماد عليها في اتخــاذ القرارات المختلفة.



ب- التحليل:

يقصد بالتحليل الفحص الانتقادي للسياسات الإدارية و إجراءات الرقابة الداخلية و الحسابات، الإجراءات المحاسبية و المستندات و السجلات و التقارير التي تقع داخل نطاق الفحص و يتطلب إجراء المقارنة و الربط بين العلاقات أي بعض المؤشرات، و كذلك التمعن بقصد اكتشاف الأمور الغير طبيعية مثل وجود مبلغ دائن في حساب أصله مدين و يرتبط التحليل بالتحقيق و ليس هناك حد فاصل بينهما.

جـ- الالتزام:

يقصد بالالتزام بالسياسات الإدارية المرسومة بأداء العمليات على وفق الطرق و النظم و القرارات الإدارية حتى يتحقق الانضباط بالتنظيم، فقد يتم التوصل إلى نتائج مرضية و مع ذلك يهم الإدارة معرفة ما إذا كانت هذه النتائج قد تحققت من خلال الممارسة المصرح بها و بما يتمشى مع السياسات،إذ يتعين عليه زيارة المواقع من وقت إلى آخر و عدم الاعتماد على الآخرين، كما أن إدارة المراجعة الداخلية لا تقتصر على المحاسبين و المراجعين، و إنما يمكن أن تزود بقانونيين ومختصين في خصوصيات نشاط المؤسسة، هذا للإلمام بجميع نواحي النشاط.

د- التقييم:

إن عملية الفحص و التحليل ينتج من خلالها للمراجع الداخلي مقدرة الحكم على مدى قوة النظام الموضوع و نقاط الضعف فيه مما ينعكس على التقرير الشخصي الموضح لمدى كفاية و فعالية و اقتصادية السياسات و الإجراءات التي تسير عليها المؤسسة و ما لديها من تسهيلات و أفراد بقصد ترشيد الأداء و تطويره إذ يقتضي التقييم تجميع البيانات و المعلومات و تقصي الحقائق و بالاستعانة بآراء المسئولين و اقتراحاتهم مع تقييم هذه الآراء و الاقتراحات.

هـ- التقرير:

يبرز التقرير الذي يقدمه المراجع الداخلي آراء فنية حول المشكلة و أهميتها و طريقة معالجتها و ما تم التوصل إليه من نتائج و توصيات .

كما يفضل عرض التقرير على المسئول على النشاط محل الفحص لتجنب تشويه الحقائق أو سوء تقدير عن بعض الأمور، و تتبلور قدرة المراجع الداخلي على العرض الواعي و الواضح لما قام به من فحص و تقصي.

4.1- .مساهمة المراجعة الداخلية في صنع القرارات

تلعب المراجعة الداخلية دورا هاما داخل المؤسسة فتعمل على مساعدتها في التحكم الداخلي للعمليات وتحسينها، حيث يمس هذا الدور جميع مستويات نشاط المؤسسة، يتلخص دور المراجعة الداخلية داخل المؤسسة في الشكل التالي:

شكل رقم(04): طبيعة دور المراجعة الداخلية

Source : Dona R. H Ermonson and Larry E. Rittenberg.Internal Audit and Orgazitional Governance, The Institute of Internal Auditors Research Foundation, P:55, www.TheIIA.org, 14/06/2005, 14h:35m.

من خلال هذا الشكل نلاحظ أن جميع المجالات التي يمكن أن يكون للمراجعة الداخلية فيها دور فإنه يتخللها عملية إتخاذ قرارات ومن ثم فإن هناك مساهمة للمراجعة الداخلية في عملية صنع القرار السليم.

الحقيقة أنه لا يمكن الحكم تماما على سلامة وجودة القرار دون توفر ما يسمى بالنظرة الخلفية، هذا يعني أنه بعد وضوح نتائج القرار يتم طرح التساؤل التالي: لو عدنا إلى الوراء لوجدنا أن القرار الذي أتخذ كان الأفضل في ضوء المتغيرات التي كانت قائمة، إذا فإن هذا القرار يكون جيدا، على العكس من ذلك إذا قيل لو أخذ قرار آخر كنت النتيجة ستكون أفضل، عندئذ يكون القرار إما سيئا أو على الأقل لم يكن أفضل القرارات.

إن النظرة الخلفية وإن كانت هي الطريقة الأكثر شيوعا، إلا أن هذه الطريقة معناها الحكم على القرار وتقييمه بعد فترة زمنية من صدوره وفي ظروف تختلف عن الظروف التي تم فيها صدور القرار، علاوة على الإتجاه الغريزي للإنسان نحو الدفاع عن أفعاله وإلقاء مسؤولية الفشل على الآخرين[46] .

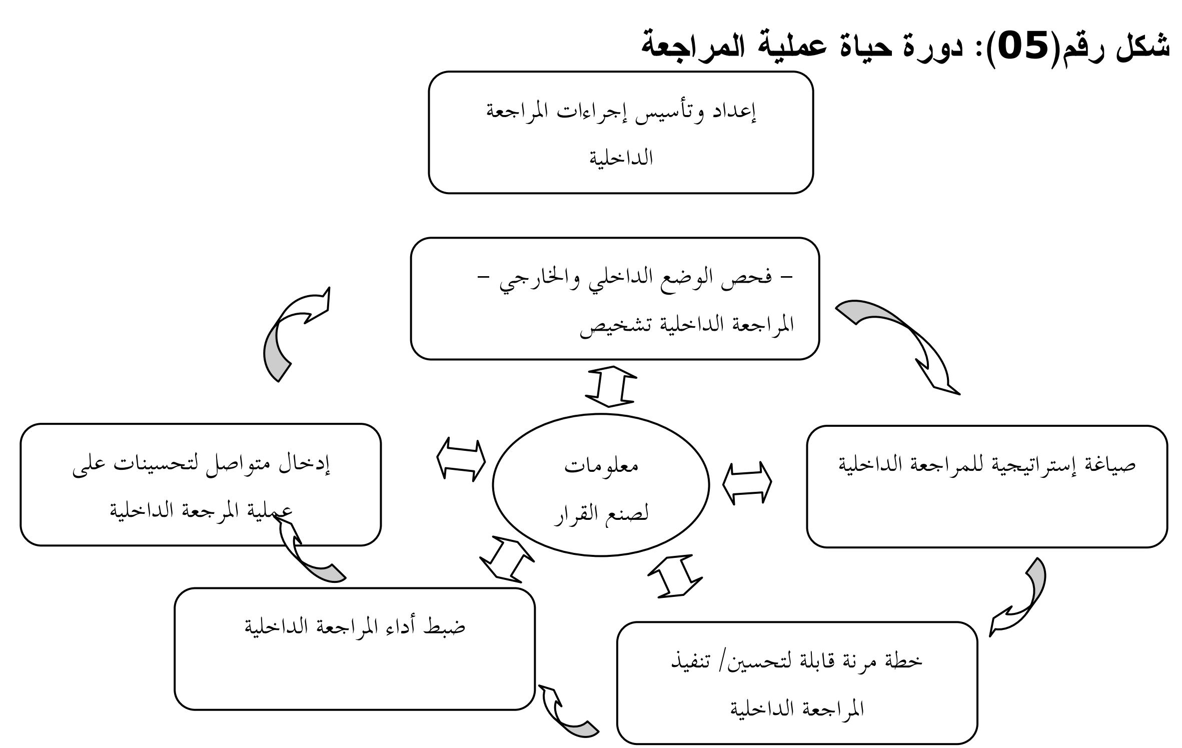
إن الطريقة الأخرى للحكم على جودة القرار تتمثل في الحكم – ليس على القرار نفسه – بل على الكيفية التي صدر بها القرار، طبقا لهذه الطريقة فإن القرار الجيد هو القرار الذي يتخذ على أساس رشيد، وبطريقة منهجية أي أن هناك خطوات منطقية ينبغي إتباعها للوصول إلى القرارات الجيدة.

وهذه الخطوات يمكن سردها فيما يلي:

- تحليل وتشخيص الموقف؛
- تحديد البدائل؛
- تقييم البدائل؛
- إختيار البديل الأفضل؛
- تنفيذ البديل الذي تم إختياره؛
- تقييم النتائج.

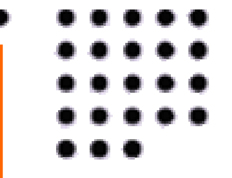
تلعب المراجعة الداخلية أدوار مهمة في كل خطوة من خطوات عملية إتخاذ القرارات بحيث تساعد على تأهيل المعلومة لتكون جيدة وذات مواصفات كاملة وكافية، ليتم إستعمالها في عملية صنع القرار للحصول على قرارات ذات جودة وفعالية.
بالموازاة مع خطوات عملية إتخاذ القرار فإن المراجعة الداخلية لها دورة حياة يكون أخرها الوصول إلى تقديم معلومات مؤهلة لإتخاذ القرارات الإدارية كما في الشكل التالي:

شكل رقم(05): دورة حياة عملية المراجعة



Source : Protiviti Independent Risk Consulting, Technology ٫ International Audit-Diagnostic Review,2004.

تبدأ عملية المراجعة بإعطاء نظرة حول موضوع العملية وإعداد إجراءات المراجعة المناسبة لذاك الموضوع، فمن خلال هذه النظرة أو التصور يتم تشخيص الوضع المحيط بالموضوع داخليا وخارجيا وتحديد درجة الخطر الناجم، ومن ثم يتم وضع استراتيجية للقيام بعملية المراجعة، لتليها وضع الخطة اللازمة لذلك، بحيث يجب أن تتسم هذه الخطة بالمرونة والقابلية لتحسين في حال أي متغير غير مرغوب فيه، ليبدأ المراجع بتنفيذ خطة أو برنامج عمله، مع العمل في كل مرة على ضبط للأداء ويتم ذلك من قبل المدير المسؤول على مديرية المراجعة الداخلية وهذا بالاعتماد مثلا على إحدى نماذج المتابعة، مع القيام بإدخال التحسينات الضرورية على كل نقص وهكذا دوليك في كل مرة يتم إعداد تقرير حول ما تم ملاحظته وتقديم الإقتراحات المناسبة، فينتج بذلك ومن خلال كل هذه الخطوات معلومات مؤهلة لإتخاذ القرار وتسهم بذلك في إعداد قرارات ذات جودة وفاعلية.
يتم المساهمة في عملية صنع القرار من خلال هذه الدورة حسب كل مرحلة، حيث أن المعلومة التي قد تم تأهيلها والتوصل إلها هي إما اكتشاف مشكل أو تحديد مجموعة من البدائل أو المساعد على إختيار أفضلها...إلخ، هذا يعني أن هناك مساهمة للمراجعة الداخلية في كل خطوة من خطوات إتخاذ القرار، والتي سوف نتطرق إلى كل خطوة بالتفصيل مع الوقوف على أهمية المراجعة الداخلية في كل مرحلة.



1.4.1- تحديد المشكلة:

إن تحديد المشكلة يساعد على القيام بتحليلها إلى عناصرها الرئيسية، ليستدل من ذلك الحل المناسب لها، والافتراض الأساسي عند تحديد المشكلة أن الحل متضمن في المشكلة، وأن التحليل العقلي الاستدلالي المنظم يساعد في التوصل إليه وإكتشافه[49].

كما أن عملية إتخاذ أي قرار أصلها وجود مشكلة وبالتالي هي أهم شيء يجب حدوثه حتى يكون هناك حاجة لصنع القرار بشأنها، ولكن في نفس الوقت يجب التأكيد على أهمية الأهداف، حيث أن هذه الأخيرة هي التي تحدد طبيعة وحجم المشكلة، ولا يمكن تحديد طبيعة القرار، روتيني أم لا مبرمج أم غير مبرمج، من دون تحديد المشكلة ومعرفة حجمها وطبيعتها.

إن تحديد أي مشكلة ما داخل المؤسسة لا يمكن أن يتم إلا بالفحص المستمر للوضع الداخلي والخارجي، ومن ثم يمكن القول إنه يجب أن تتم عملية فحص مستمر للوضع الداخلي والخارجي لكي يتم تحديد المشكلة ومن ثم معرفة هل أن هذه المشكلة تحتاج لحل مبرمج أو غير مبرمج، ثم يتم تتبع نتائج ومراقبة القرار المتخذ بشأن تلك المشكلة

يمكن إعطاء مفهوم عام للمشكلة حتى يتسنى تحديدها فهي " عبارة عن موقف غامض في حاجة إلى تفسير"[51].

كما يمكن تعريفها على أنها " حالة من عدم الإتفاق أو الإتساق أو التوازن بين ما هو كائن وما يجب أن يكون"[52].

من خلال هذين التعاريفين يمكن القول بأن وجود مشكل يعني وجود خطر يواجه المؤسسة، عليها أن تتصرف تجاه هذا الخطر، فتعتمد على الإقتراحات المقدمة في التقارير الناتجة عن عملية المراجعة الداخلية حول هذا المشكل (الخطر)، ويمكن عرض الدور الذي تلعبه وظيفة المراجعة الداخلية للحد أو مواجهة أو تجنب – إتخاذ قرار – خطر ما.

هناك دور للمراجعة الداخلية في عملية اتخاذ القرار على جميع المستويات، وهذا من خلال المساعدة في إكتشاف المشاكل المحيطة والمتواجدة في المؤسسة حتى يتسنى لها مواجهتها قبل التفاجأ بها، بمعنى أن المراجعة الداخلية تساعد المؤسسة في تحديد الأخطار التي من الممكن مواجهتها مهما كان نوعها ومن أي جهة كانت من الخارج (المحيط) أو الداخل، كما أنها تحدد طريقة التصرف مع كل خطر حسب نوعه.

ويتركز – يتكثف – دور وظيفة المراجعة الداخلية في المؤسسة لمواجهة خطر ما – مشكل ما – حسب درجة الأثر الذي يمكن أن يخلفه هذا الخطر من جهة، وحسب إحتمال وقوعه من جهة أخرى.

ولقد جاء معهد المراجعين الداخليين الأمريكي – من خلال أبحاثه التي يقوم بها واهتماماته بالمراجعة الداخلية في المؤسسة – بنموذج تحليلي لكثافة الدور الذي من الممكن أن تلعبه المراجعة الداخلية في مواجهة المخاطر المختلفة داخل المؤسسة.

يأتي هذا النموذج وفقا للشكل التالي :

الشكل رقم(06): نموذج تحليل كثافة(درجة تركيز) المراجعة الداخلية

الأثر \ الإحتمال	منخفض – خطر متوسط	مرتفع – خطر مرتفع
مرتفع	زيادة الدور	دور كبير جدا كثافة شديدة للمراجعة الداخلية
منخفض	خطر قليل دور عام، مراجعة عادية عامة	خطر متوسط زيادة الدور

Source : The Institute of Internal Auditors, Business Risk Assessment, www.theiia.org, 15/07/2005, 11h:20m.

من خلال هذا الشكل نلاحظ أن دور المراجعة الداخلية في مواجهة – تحديد و اقتراح – الخطر في المؤسسة يزيد حسب عاملين أساسين هما درجة احتمال وقوع هذا الخطر ودرجة الأثر الذي يمكن أن يخلفه هذا الخطر إذا وقع، فإذا كان هناك إحتمال قوي لوقوعه مع أثر بالغ يمكن أن يخلفه فإن دور المراجعة الداخلية يكون كبيرا وهذا من خلال تكثيف – التفصيل والتركيز – مهمة المراجعة.

يبدأ هذا الدور من أول خطوة والتي تتمثل في تشخيص هذا الخطر (المشكل) والكشف عليه، ومن خلال الذي سبق نلاحظ مدى مساهمة المراجعة الداخلية في هذه المرحلة – تحديد المشكلة – من مراحل عملية صنع القرار.

1.4.2 – إيجاد البدائل:

إن من العناصر الجوهرية لوجود القرار أن يكون هناك مشكلة تتطلب حلا معينا، وأن يكون أكثر من حل، أي حلول متعددة تطرح لنقاش ويتم دراستها وتقويمها حتى إختيار الحل الأفضل الأكثر ملاءمة، لذا فإن وجود المشكلة يقتضي تباين الآراء حولها، ذلك لأن المشكلة التي ليس لها سوى حل واحد لا تعد مشكلة في ذاتها، بل تصبح حقيقة لابد من

التسليم بها، ولكن من النادر أن توجد مشكلة ليس لها سوى حل واحد بل أن الغالب والأعم هو وجود عدة بدائل لكل مشكلة ولكل بديل منها مزايا وعيوب[55].

تعد الحلول أو البدائل مجموع الوسائل والإمكانات المتاحة لمتخذ القرار، والملائمة بدرجات متفاوتة فيما بينها لحل المشكلة محل القرار، وهذه الحلول أو البدائل لا تأتي من فراغ وإنما هي نتيجة التمحيص والتحصيل والتحليل للمعلومات سواء جاءت تلك المعلومات عن طريق رسمي أو غير رسمي، فتضمن بذلك المراجعة الداخلية التوريد المتواني والسليم لهذه المعلومات، وهذا من خلال طبيعة عمل المراجعة الداخلية وأنظمة المعلومات، فتحديد البدائل الممكنة لا يمكن أن يكون دون دراسة شاملة وتشخيص مستمر للحالة الجديدة – المشكل – وما هي الوسائل والإمكانيات المتاحة لحل مثل هذا المشكل داخل المؤسسة، ومساهمة المراجعة الداخلية في إيجاد مجموعة البدائل يكون في شكل الإقتراحات المقدمة في التقرير النهائي بعد تحديد المشكلة.

1.4.3- **تقييم وتقويم البدائل:**

إن تقييم وتقويم البدائل تعد من أهم المراحل التي يجب إعطاؤها أهمية كبرى قبل صنع أي قرار، ذلك لأن تقييم البدائل ثم تقويمها هو الذي سيحدد ما إذا كان سينجح أم لا في المستقبل، بمعنى أنه يتم تحديد أبعاد كل البديل – سلبياته وإيجابياته – في حل ذلك المشكل، كي يتسنى اختيار البديل المناسب والذي سيعطي أفضل النتائج بأقل عواقب غير السليمة، هذا في حد ذاته يشير إلى أهمية وضرورة الأهداف التي يجب مراعاتها عند اختيار بديل من البدائل المتاحة،فالهدف الأخير لصانع القرار هو إحداث تغيير ما في جذور المشكلة المطروحة، فالحل الذي تم بعد تقويم البدائل يبرز أهمية دور الخبراء والمستشارين والمعاونين في عملية بحث ودراسة البدائل المطروحة.

يبرز دور المراجعة الداخلية في هذه الخطوة في أنها تعمل على تقديم و إقتراح البدائل التي تراها مناسبة في التقرير النهائي وهذا بعد دراسة المشكل.

4. 4. 1 – **إختيار البديل أو الحل الأفضل:**

إن هدف متخذ القرار في نهاية المطاف هو الوصول إلى قرار يمكنه من بلوغ الهدف وحل المشكلة القائمة[58]، هنا يقوم متخذ القرار بإختيار الحل من بين عدة حلول مقترحة – متاحة - مستعينا في ذلك بمجموعة من المعايير، توفر درجة كبيرة من الموضوعية في الإختيار.

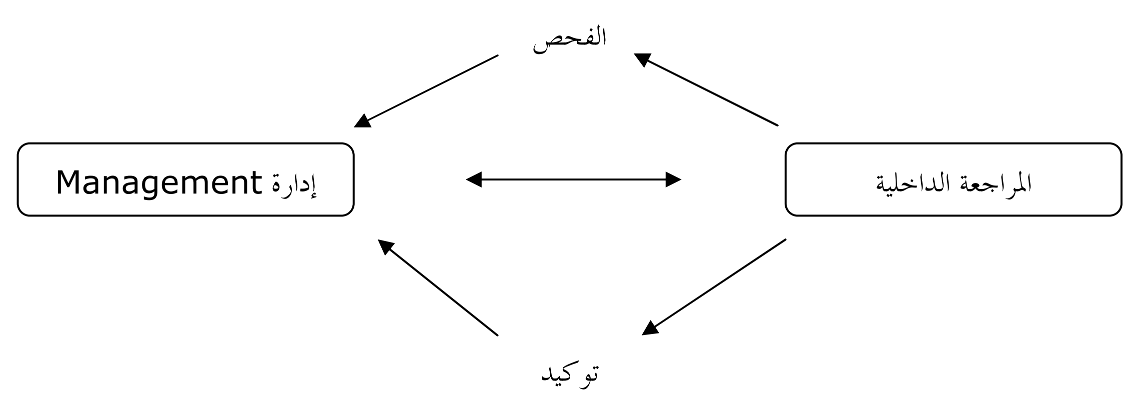
تعتبر هذه المرحلة أدق المراحل جميعا لأن الإختيار يعني في حقيقة الأمر حسم الموقف والوصول إلى المحصلة النهائية للجهد المبذول في المراحل السابقة، وهذا الأمر يحتاج إلى قدر كبير من الكفاءة و الحنكة والخبرة والقدرة الذاتية لمتخذ القرار على الإختيار السليم، تبقى أفضلية حل من الحلول على البقية مسالة نسبية بين البدائل المتماثلة، وتحكمها الإعتبارات السالفة الذكر في الخطوة السابقة إلا انه مما يجب ذكره أن هناك إعتبارات

أخرى سياسية و إجتماعية و إقتصادية قد تؤثر في إختيار البديل لحل المشكلة وخاصة فيما يتعلق بالمشاكل العامة للبلد[59] .

في هذه الخطوة يزيد دور المراجعة الداخلية في عملية إختيار البديل الأفضل، وهذا من خلال الإقناعات المستمرة على إختيار البديل المقترح في التقرير هذا لأنه تم دراسته من جميع النواحي، وأن متخذ القرار في العادة يستشير المراجع الداخلي حول البديل الذي يكون أكثر موضوعية وأفضل حال حتى البدائل الأخرى التي تم إقتراحها من الجهات الأخرى غير المراجعة الداخلية.

فتكون بذلك للمراجعة الداخلية رؤية يمكن إعتمادها في إختيار هذا البديل أو غيره – الأكثر ملاءمة – ويمكن إبراز هذا الدور من خلال الشكل التالي:

الشكل رقم(07): التعاون المحتمل بين المراجعة الداخلية والإدارة



Source : Danar, Hermanson and Larry E, Ritten Berg, Art.Cit, P :59.

مما سبق نستنتج انه من الصعوبة بمكان أن يتم التوصل إلى البدائل المثلى عند صنع القرارات، وذلك لأن صانع القرار لا يستطيع الإلمام بكل البدائل، ولا بالنتائج المترتبة على كل بديل من تلك البدائل، يعني ذلك أن إختيار البديل الأمثل يبقى مسألة نظرية بحتة في كل الأحوال، فيكون بذلك هدف متخذ القرار من العملية هو الإقتراب بأقصى ما يمكن من الأمثلية يعني البحث عن الأفضلية، لذا كان لزاما على متخذ القرارات في المؤسسة الرجوع في كل مرة إلى ما تراه المراجعة الداخلية حول مشكل ما، على الأقل تعمل على توجيهه وبقناعة إلى البديل الأفضل.

1. 4 .5 – **تنفيذ القرار:**

بعد ما أن حدد متخذ القرار البديل الأفضل من بين البدائل التي تم تقييمها، يصل إلى مرحلة التنفيذ، وهو وصول القرار إلى من سيقوم بتنفيذه على أرض الواقع، ولنجاح عملية تنفيذ القرار لابد من توفر بعض الشروط في القرار المتخذ وهي[60]:

أن يكون القرار قابلا للتنفيذ بالإمكانيات الموجودة؛أن يلقى القرار حماسا ومساندة وتأييدا من قبل الذين يقومون بتنفيذه؛ أن يكون القرار واضح الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها؛أن يرفع القرار من معنويات العاملين على تنفيذه ومن لهم علاقة به.

إن خطوة تنفيذ القرار قد تكون أكثر المهمات استهلاكا للوقت، وذلك يعود أساسا إلى آثار ونتائج التنفيذ على المؤسسة، وعليه فإن القرار المحكم لن يكون ذا أهمية وجدوى ما لم يحمل في طياته ويتضمن كيفية تنفيذه من الأساس.

إن نوعية القرار وإمكانية تنفيذه دليل مبدئي على نجاح ذلك القرار، ويمكن الحكم على جودة على القرار أو عدمها بناء على المعايير الآتية[61] :

أ- قياس مدى اتفاق وانسجام ذلك القرار مع السياسات وممارسات المؤسسة؛

ب- توقيت القرار؛

ج – اعتماده وتجسيده لكمية المعلومات المثلى؛

د– تأثير صانع القرار على القرار ذاته، ونلخص طريقة التنفيذ الناجح للقرار على النحو التالي:

- عدم تعارض المصلحة؛
- إيجابية عامل الخطر و المكافأة؛
- كيفية ومدى فهم منفذ القرار و المسؤولين عن إيصال القرار للآخرين.

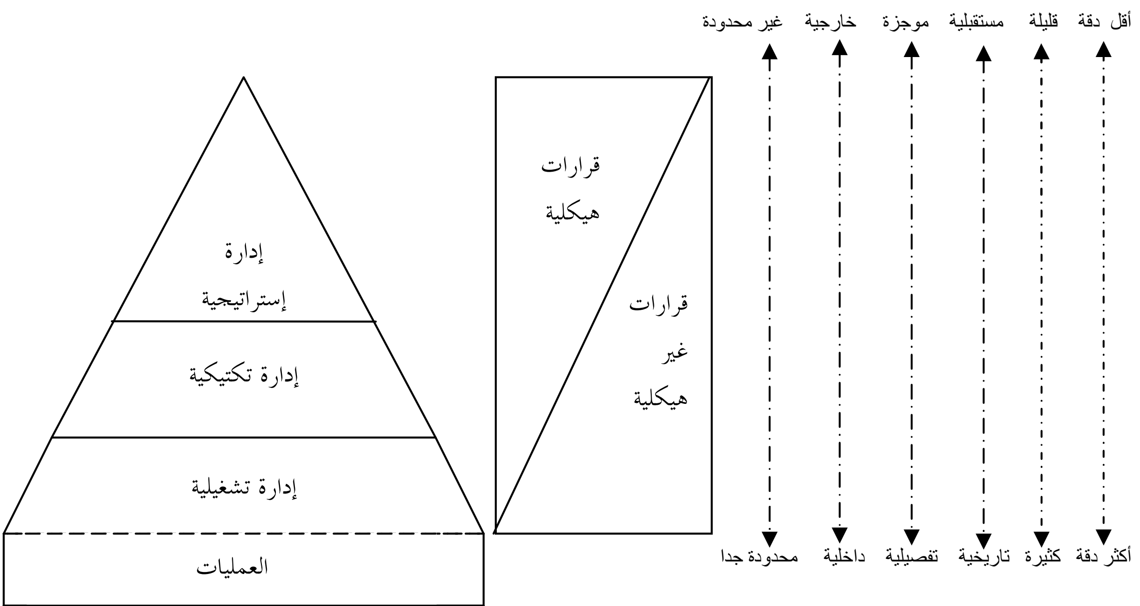
مما سبق يمكن القول بان القرار إذا لم يتم تنفيذه على الوجه المطلوب لا يتعدى كونه قرارا على ورق فقط، لذا يجب تنفيذ ذلك القرار حتى يتسنى تحقيق الأهداف التي من أجلها تم صنعه والوصول إليه، قد يكون القرار المتخذ جيدا هو الأفضل، إلا أن الطريقة التي نفذ بها كانت غير ملائمة، مما يؤدي إلى الحكم الأولي حول القرار المتخذ بأنه غير جيد وأن البديل الذي تم إختياره غير سليم، بينما يعود عدم ملاءمة هذه إلى الطريقة التي نفذ بها، لذا يجب مراعاة الطريقة التي ينفذ بها هذا القرار ومن الممكن أن يكون ذلك بمساعدة قسم المراجعة الداخلية وهذا بحكم طبيعة نشاطها وتعاملها مع جميع المستويات في المؤسسة.

1 .4 .6..المتابعة والتقويم:

إن المؤسسة الفعالة تتضمن قياسات دورية للنتائج التي يتم التوصل إليها ومقارنتها بالنتائج التي كان المرجو تحقيقها، فإذا ما وجد إنحراف وجب إجراء بعض التغيرات التي تكفل تحقيق التوازن، ومن هنا تتضح مدى أهمية تحديد الأهداف والتي بموجبها يتم تقييم مستوى الأداء، وفي حالة عدم توافق النتائج المطلوبة، يجب إحداث تغيرات ربما في الحل الذي تم اختياره، أو في مراحل تنفيذه أو حتى إعادة صياغة أو تغيير الأهداف لو وجد أنه من غير الممكن تحقيقها، ففي هذه الحالة يجب إعادة صياغة نسق صنع القرار بالكامل وتصحيح مساراته حتى يتسنى تحقيق الأهداف المنشودة مسبقا.في هذه الخطوة بالذات يزداد دور المراجعة الداخلية وهذا لكون طبيعة عملها الرقابي، بحيث تعمل على تتبع تنفيذ القرارات المتخذة وتعمل على تقييم تنفيذ القرارات المتخذة لترفع نتائج هذا التقييم في شكل تقرير نهائي هذا من جهة، ومن جهة أخرى وبحكم مشاركة المراجعة الداخلية في جميع

المراحل أو الخطوات السابقة من تحديد للمشكلة ثم للبدائل ثم إختيار البديل الأفضل... ، من شأنه أن يجعل قسم المراجعة الداخلية أن تسهر على التطبيق الجيد لهذا القرار وتعمل على التوريد المتواني للمعلومات حول هذه القرارات المتخذة. نلاحظ من خلال كل هذه الخطوات أن للمراجعة الداخلية دورا أساسي في كل خطوة، إلا أنه يجب التفرقة بين المعلومات المختلفة والتي تستخدم من قبل مستويات مختلفة من الإدارة، حسب الطبيعة الهيكلية للقرار المتخذ وهذا حسب الشكل التالي:

شكل رقم(08): طبيعة المعلومات اللازمة لإتخاذ القرارات حسب المستويات الإدارية



المصدر: هاشم أحمد عطية نظم المعلومات المحاسبية، الدار الجامعية، الإسكندرية، ب ط، **1999**، ص**14**.

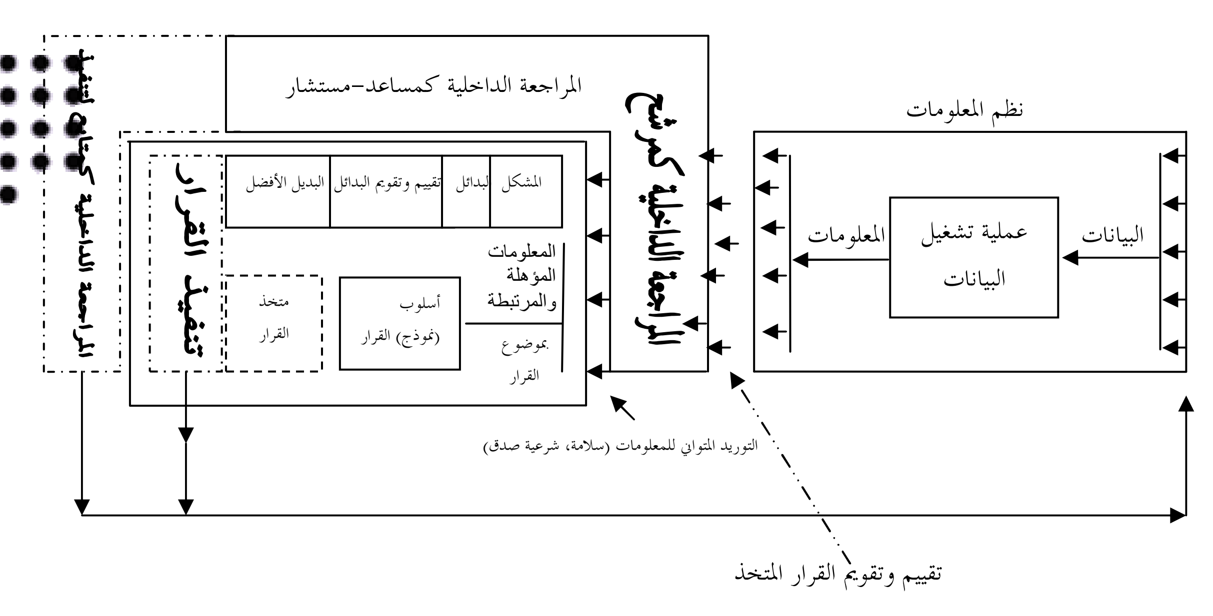
يتبين من الشكل السابق أن المستوى الإداري لمتخذ القرار و نوع القرار المتخذ يحددان خصائص المعلومات المطلوبة، التي على دائرة المراجعة الداخلية مراعاتها أثناء إعداد تقاريرها حسب كل نوع فتحتاج الإدارة الإستراتيجية إلى معلومات ذات قيمة تنبؤية عالية لإستخدامها في التخطيط الإستراتيجي وللمساعدة على رؤية مستقبلية جيدة، وقد لا تكون معنية بالوقت والدقة الكاملة ومن ثم تفضل تقارير ربع سنوية عن التقارير اليومية، وهذا بوصف أغلبية القرارات المتخذة تكون هيكلية، على عكس المستويات الأخرى.

أما الإدارة التشغيلية فتتخذ قرارات متعددة مع قصر الوقت المتاح أمامها، وبالتالي قد تحتاج إلى تقارير معلومات يومية حتى تكون قادرة على التفاعل في توقيت مناسب مع التغيرات التي تطرأ على الأحداث، كما تحتاج إلى معلومات دقيقة وفي توقيت مناسب، وقد لا يعنيها كثيرا القيمة التنبؤية للمعلومات.

أما الإدارة التكتيكية فإنها عبارة عن واسطة بين الإدارتين الإستراتيجية والتنفيذية، إذ أنها تساعد كل منهما على إتخاذ القرارات المناسبة، فهي بذلك تهتم بجميع المعلومات بنفس القدر من المقدرة والتأهيل ولا تهمل أيا من المواصفات،

أما إذا أردنا إقحام المراجعة الداخلية كمرشح للمعلومة ومؤهل لها لتكون في مرتبة المعلومة الإدارية – الصالحة لاتخاذ القرارات الإدارية ، وكمساعد أو مستشار في عملية إتخاذ القرار يمكن ملاحظة ذلك من خلال الشكل التالي:

الشكل رقم(09): المراجعة الداخلية و اتخاذ القرارات



المصدر: من تصور الباحث

من خلال هذا الشكل تظهر لنا الآلية التي يتم بها توليد المعلومة المؤهلة لإتخاذ القرار وهذا من خلال إنتاجها من نظام المعلومات داخل المؤسسة ليتم ترشيحها ورفعها إلى مستوى المعلومة الإدارية الصالحة لإتخاذ القرار وهذا بمساهمة من المراجعة الداخلية، كما يظهر هذا الشكل الآلية التي يتم بها إستخدام المعلومة المؤهلة في عملية إتخاذ القرار وهذه الآلية المتمثلة في الخطوات السابقة الذكر في عملية إتخاذ القرار، كما يبين هذا الشكل مساهمة المراجعة الداخلية في خطوات إتخاذ القرار، بل يمتد إلى تنفيذ ومتابعة للقرار المتخذ، تبقى هذه الخطوات والآليات المختلفة في إتخاذ القرار في شكلها العادي أي في الظروف العادية، إلا أن هناك أمور أخرى يجب أن تأخذ بعين الإعتبار و هي مختلف العوامل المؤثرة في عملية صنع القرارات في المؤسسة.

2- المبحث الثاني . دراسة حالة مجمع صيدال - SAAIDAL-

يعتبر مجمع صيدال من المؤسسات الكبرى في الجزائر، والرائدة في الإنتاج الصيدلاني، الشيء الذي أكسب المجمع ميزات تنافسية عدة، ولقد مر مجمع مثله مثل العديد من المؤسسات العمومية، بمراحل عدة حتى وصل إلى ما هو عليه الآن، هذه المراحل جاءت تلبية لمتطلبات جملت الإصلاحات التي قامت بها الدولة في ذلك الوقت.

لقد كانت التغيرات التي عرفها مجمع صيدال حافزا أساسيا بالنهوض الذاتي بالمجمع، لمواجهة متطلبات السوق الجزائرية من المادة الصيدلانية، والاعتماد على الذات في التسيير الجيد للمجمع من جميع النواحي، حيث استعان بطرق تسييرية حديثة ساعدته في تحيق العديد من النتائج المهمة.

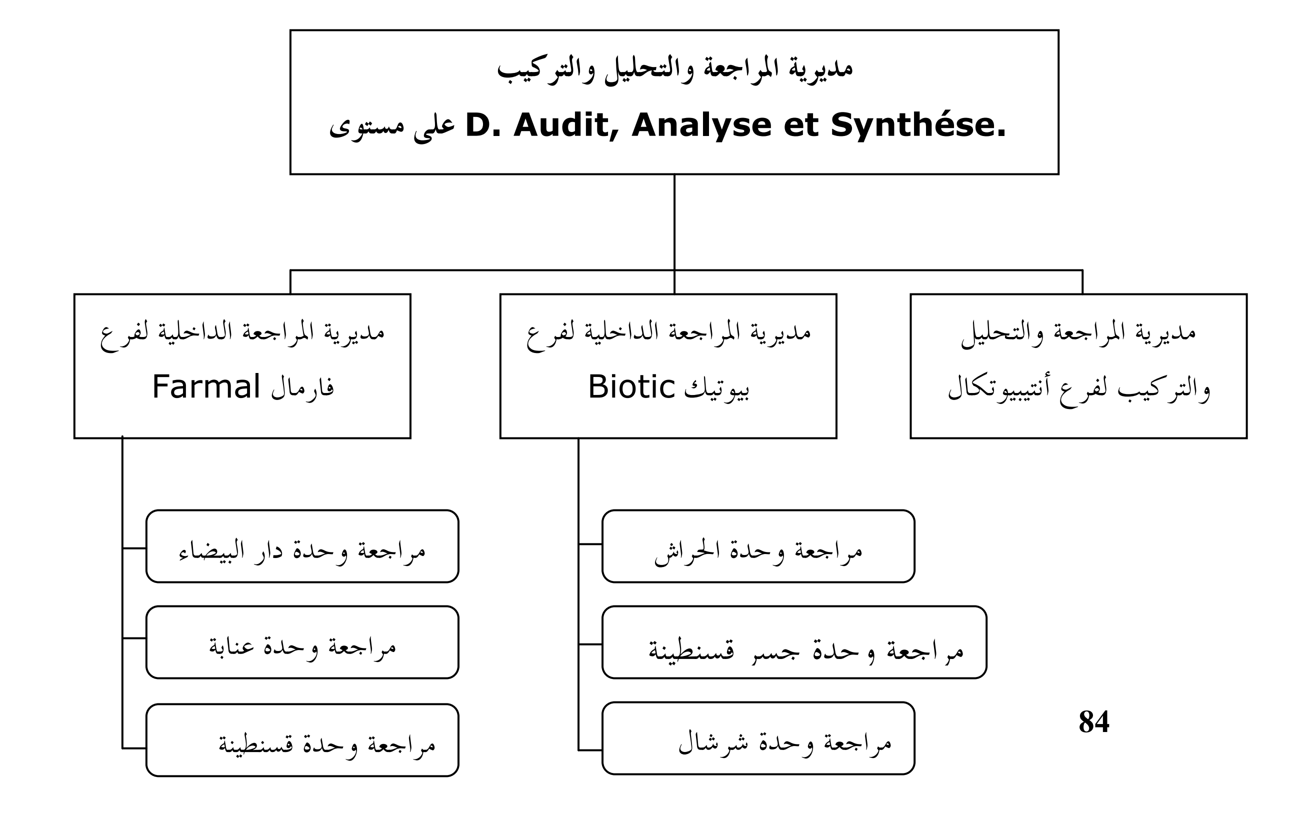
تبنى مجمع صيدال ثقافة رقابية أملا منه في المحافظة على ممتلكاته، من الضياع والإهمال أو أعمال الغش والسرقة، وكذا محولة التحكم الجيد في العملية التسييرية داخل المجمع، حتى يتسنى له بلوغ فاعلية وكفاءة عالية في مختلف النشاطات التي يمارسه، في هذا الإطار تعتبر المراجعة الداخلية حلقة من الحلق الرقابية التي تبناها مجمع صيدال، وحاول أن يستفيد من أعملها في الوقوف على كل ما يجري في المجمع، فأخذ مسؤولي مجمع صيدال تصورا أسما حول المراجعة الداخلية، فأصبحوا يستعينون بأعمالها في العمليات التسييرية المختلفة، فأصبحت بذلك المراجعة الداخلية تساهم بدرجة عالية في

تفعيل وترشيد القرارات التي تتخذ في أي مؤسسة، وفي جميع المستويات الإدارية المختلفة الإستراتيجية منها والتكتيكية والتنفيذية وهذا عبر مختلف خطوات عملية صنع القرار، وهذا بشرط أن احترام الشروط اللازمة لتطبيق مراجعة داخلية فعالة، بصفة عامة هذه الصورة التي أرادها مسؤولو مجمع صيدال من اعتماد مراجعة داخلية كأداة تسييرية فعالية، ولكن هل استطاع مجمع صيدال أن يصل إلى التطبيق الفعال للمراجعة الداخلية بشروطها وهل كانت هناك إسهامات من قبل هذه الأخيرة في تحسين وتفعيل العملية التسييرية بصفة عامة وعملية إتخاذ القرارات بصفة خاصة.

2 .1 - تقديم المراجعة الداخلية لمجمع صيدال :

لقد أدرك مسيرو مجمع صيدال أنه لا يمكن في أي حال من الأحوال تسيير وبفاعلية مجمع بهذا الحجم والتنوع في الفروع وتوزيعها عبر نقاط جغرافية عدة، إلا باللجوء إلى طاقم مؤهل يعتمد عليه في إدارة المراجعة الداخلية، فاعتمد مالكي ومديرو مجمع صيدال المراجعة الداخلية، من أجل الاستفادة من مخرجاتها لاستخدامها في العديد من القضايا التسييرية، ففي هذا الإطار قام مجمع صيدال بإنشاء مديريات للمراجعة الداخلية على مستوى كل فرع، ومديرية أخرى مركزية متواجدة على مستوى المقر الاجتماعي للمجمع، تعمل على التنسيق بين هذه المديريات، كما قام بتبني مجمع صيدال بهذه المديريات نمط المراجعة المختلطة، حيث جمع في ذلك بين مركزية واللامركزية المراجعة الداخلية.
لقد اعتمد المجمع هذا النمط إنطلاقا من ما يتوفر لديه من معطيات، فالتوزيع الجغرافي للفروع وللوحدات عبر مناطق عدى، كان من العوامل المحددة لذلك، وكذلك تنوع المنتجات من ناحية واستقلالية هذه الفروع من الناحية المالية و التسييرية من ناحية أخرى – مع التنسيق مع الرئيس المدير العام – فنجد لكل فرع مدير
عام DG ، كما نجد على مستوى كل فرع مديرية للمراجعة الداخلية.
ويمكن إظهار نمط المراجعة الداخلية لمجمع صيدال من خلال الشكل التالي:

الشكل رقم (10): أهم مديريات المراجعة الداخلية لمجمع صيدال



المصدر: من إعداد الباحث انطلاقا من معطيات المجمع

إن هذا الشكل يبين بصفة عامة مديرات المراجعة الداخلية المتواجدة في مجمع صيدال، كل مديرية تحتوي على طاقم خاص بها موزعين بطريقة علمية وقانونية، إلا أن من هذه المديريات ما هو مكتمل العدد (الطاقم)، ومنها ما يحتاج إلى توظيف مراجعين داخليين، مبتدئين أو مساعدين وأوليين، ومجمع صيدال سيعمل مستقبلا ليس ببعيد على توظيف ما ينقص المديريات من مراجعين.إن كل مديرية مراجعة داخلية بصفة عامة نجدها منظمة بشكل هرمي معين .

2 .1.1- التنظيم الهيكلي لمديريات المراجعة .

أ- **مدير المراجعة الداخلية (المشرف):** يقوم المدير بالإشراف الكامل على المديرية داخل الفرع وهو المسؤول الأول على مخرجات المديرية، كما يعمل على مناقشة التقارير النهائية لكل عملية مراجعة مع المدير العام للفرع.

ب - رئيس المهمة Chef de Mission: يقوم ببرمجة الزيارات وإعداد التكليفات بإنجاز عمليات المراجعة حسب برنامج المراجعة السنوي أو حسب ما يواجه من ظروف غير عادية.

ج-المراجعون الأوليون: وهم الذين يقومون بمباشرة عمليات المراجعة، ويوجدون على مستوى الوحدات.

د-المراجعون المبتدئون: يقومون بمساعدة المراجعين الأوليين في بعض أعمالهم ويقومون بنسخ التقرير النهائي للعمليات، والتكليفات بإنجاز المهمات، وكذا مسودة البرنامج السنوي للمراجعة.

اهتم المجمع بمراعاة التأهيل العلمي والمهني عند توظيف المراجعين، فأدنى تأهيل علمي اعتمده المجمع هو أن يكون الموظف حاصل على شهادة الليسانس في علوم التسيير والعلوم الاقتصادية وما يعادلها، مع توفر خبرة في مجال المراجعة لكل شخص يتقدم للتوظيف في المراجعة الداخلية.

إن هذا التنظيم هو ما يجب أن يكون داخل جميع مديريات المراجعة الداخلية لجميع الفروع، حتى يضمن المجمع أداءا فعالا وكفء، إلا أنه ما تم ملاحظته داخل بعض المديريات فإن هناك نقص من حيث عدد الموظفين، مما يوجب على المتواجدين من القيام بعدد كبير من الأعمال كان من المفروض توزيعها عبر عدد أكبر من المراجعين.

2 .1 . 2- مديرية المراجعة والتحليل والتركيب: نلاحظ من خلال الهيكل التنظيمي الرسمي للمجمع أن هذه المديرية ليست مرتبطة بصفة مباشرة مع الرئيس المدير العام، ويعود ذلك كون أن هذه المديرية ليست مختصة في المراجعة الداخلية وحدها، بل تقوم كذلك بعملية التحليل والتركيب.

2 .1. 3 التحليل: ويعني تحليل جميع ما وجد من انحرافات و تأخيرات عند تنفيذ أهادف معينة وإستراتيجيات معينة، والقيام بعملية المقرابات المختلفة بحساب بعض من النسب المعبرة، وكذا القيام بتحليل النتائج المتوصل إليها، وعملية التحليل هذه دائما تأتي بعد عملية التركيب Synthèse .

2 . 1 .4 التركيب Synthèse : وهي عبارة عن عملية تجميع البيانات الخاصة بما تم إنجازه أو الوصل إلى تحقيقه في صورة أرقام وجداول مع إعطاء ملاحظات حول كل

بيان، ويتم إعداد هذه التجميعات والتركيبات لبيانات يومية وأسبوعية وشهرية وفصلية وسنوية.بالإضافة إلى التحليل والتركيب هناك مراجعون يقومون بمراجعة الوحدات التجارية، ومركز البحث والتطوير وباقي المديريات الظاهرة في الهيكل التنظيمي الرسمي للمجمع، كما يتم على مستوى هذه المديرية التنسيق بين مختلف مديريات المراجعة الداخلية التابعة للفروع، هذا بدراسة التقارير النهائية الآتية إليها من مديريات المراجعة الأخرى، ودراسة التوصيات الواردة في هذه التقارير النهائية. يقوم مدير المراجعة والتحليل والتركيب برفع تقارير نهائية شاملة إلى الرئيس المدير العام، حيث يقوم برفقة مديري المراجعة الداخلية التابعين للفروع بمناقشة ما ورد في هذه التقارير مع الرئيس المدير العام. كما يقوم مدير المراجعة والتحليل والتركيب ببرمجة الزيارات الخاصة والحساسة وتكليف مراجعيه أو مراجعين من الفروع بإنجاز عمليات مراجعة خاصة، كما أنه من الممكن أن يكلف مديرية مراجعة كاملة لأحد الفروع بإنجاز مهمة.

2. 1 .5 -مديرية المراجعة لفرع فارمال: توجد هذه المديرية في مقر الفرع الذي توجد في الدار البيضاء بالجزائر العاصمة وهي مرتبطة بمدير الفرع.

2 .1. 6 – **مديرية المراجعة لفرع بيوتيك – biotic**- توجد هذه المديرية في مقر الفرع الذي توجد بالحراش بضواحي العاصمة ، وهي مرتبطة بمدير الفرع

2 . 1 .7 – **مديرية المراجعة ;والتحليل والتركيب لفرع أنتيبيوتيكال** : توجد هذه المديرية في ولاية المدية جنوب العاصمة ولبعد المسافة على المقر الأجتماعي جعل لهذا المركب أو الفرع مديرية تختص بالمراجعة الداخلية من جهة والتحليل والتركيب من جهة أخرى وهذا مراعاة للسرعة في اتخاذ و تنفيذ القرارات – تفويض السلطة-

2 . 2 – أثر المراجعة الداخلية على القرارات المتخذة في مجمع صيدال

تعتبر المراجعة الداخلية من الأدوات الأساسية التي يستعين بها مجمع صيدال بمختلف مستوياته، لتنير له الطرق والأساليب التسييرية الأفضل، فيستعملها في عملية اتخاذ القرارات المختلفة وخاصة منها الإستراتيجية، فعلى مستوى كل فرع و كل وحدة يتم فيه الإستعانة بأعمال ونتائج المراجعة الداخلية للشروع في مواجهة مواقف معينة كوجود مخاطر معينة أو المبادرة في تجسيد خطوات تحسينية معينة، وتتمثل مساعدة المراجعة الداخلية في عملية إتخاذ القرارات في جميع خطواتها، حسب كل موقف أو مشكل، فقد يستعان بالمراجعة الداخلية في الكشف أو تحديد معالم مشكل معين، كما قد تكون هذه المساعدة في تحديد أو تجميع البدائل الممكنة لحل مشكل ما، وقد يستعان بالمراجعة الداخلية في تحديد الحل الأفضل، كما يستعان بها في عملية تنفيذ ومتابعة القرارات المتخذة. تلعب المراجعة الداخلية دورا هاما في كل خطوة من خطوات عملية إتخاذ القرارات ، هذا من خلال عملية التوريد المتواني للجهات المعنية حسب كل مستوى إداري بالمعلومات المؤهلة لإتخاذ القرارات، وهذا بضمان شرعيتها ومصداقيتها وسلامتها وأمنها. قام مجمع صيدال بوضع أهداف إستراتيجية وأخرى عملية، وجعل عمليات لتنفيذها، وسعى للوصول إلى تحقيق هذه الأهداف بأقل انحراف ممكن، ولقد وفر جهاز رقابيا هائلا للوقوف عليها ومراقبة تنفيذها بصفة مستمرة.

تتمثل الهوامش العامة للرقابة في وضع أدوات للمتابعة الأهداف العملية، والقيام بمهام و زيارات وعمليات مراجعة mission d'audit من أجل مراقبة و متابعة تنفيذ عمليات وإجراءات المجمع.

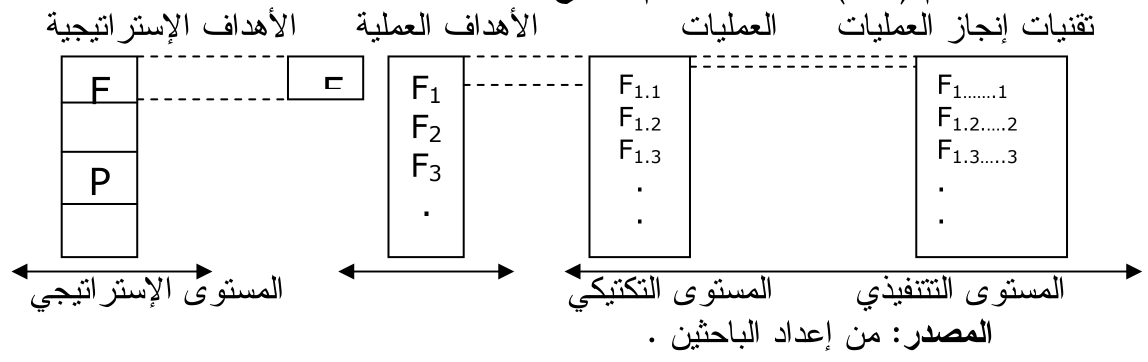
من بين أدوات متابعة الأهداف العملية Outils de Suivi d'objectif المطبقة في المجمع هي:

- لوحات قيادة يومية وأسبوعية وشهرية، خاصة بمتابعة تنفيذ الإجراءات والعمليات التي وضعت من أجل الوصول إلى تحقيق فعلي للأهداف العملية، ومن ثم الأهداف الإستراتيجية، والوقوف على أهم المستجدات والمشاكل التي تواجه منفذي العمليات من أجل دراستها وتحليلها ونشرها واتخاذ تدابير مناسبة من أجلها أي قرارات قد تكون تنفيذية أو تكتيكية أو إستراتيجية.
- تقرير التسيير Rapport de gestion سداسي وسنوي من أجل الوقوف على أهم ما تم تحقيقه من أهداف عملية وإستراتيجية بلغة الأرقام والقيام بإعطائها تحليلات وتفسيرات مناسبة، حتى تتضح الصورة الفعلية للمجمع من حيث ما قام بتحديده والتخطيط له وما يصبو إليه من إنجازات، وهذا التقرير يضمن نوع من الشفافية، أي يتم نشر المعلومات الرئيسية الخاصة بنشاط المجمع، حتى المسيرين والملاك والعمال والمتعاملين مع المجمع من بنوك وزبائن وموردين (كل من له مصلحة بالمجمع) على دراية كافية بما يحققه المجمع من نتائج وما هي أهم المستجدات الرئيسية التي طرأت على المجمع ...إلخ.
- لوحة قيادة خاصة بالنتائج، ويتم من خلال هذه اللوحة تتبع النتائج المحققة ومقارنتها بما سطر لها، وبما تم تحقيقه في السنوات الماضية، كي يقام بتحليلها ودراستها والوقوف على معالمها، وكذا من أجل تتبع مراحلها لكي تتخذ التدابير والإجراءات في حال وقوع خلل أو عدم الوصول إلى ما هو مخطط له وهذا بظهور انحرافات فادحة.

أما فيما يخص الزيارات (المهام) عمليات المراجعة الداخلية فإنه يتم بها ما رأينا في المبحث الثاني، ولقد كان لهذه الزيارات والمهام دورا كبير في عمليات إتخاذ القرارات لمختلفة الإستراتيجية منها والتكتيكية والتنفيذية في المجمع، ونلمس كذلك هذا الدور من خلال عمليات المتابعة والدراية الكاملة بما يجري في المجمع.

يستعمل المجمع على سبيل المثال نموذج B S C Balance Score card الذي هو عبارة عن مجموعة من الجداول يتم من خلالها بمتابعة تنفيذ وتحقيق الأهداف الإستراتيجية، وهذا انطلاقا من متابعة إنجاز الأهداف العملية والتي تتابع من خلال إنجاز العمليات الخاصة بكل هدف عملي إن BSC هو عبارة عن لوحة قيادة بالأهداف يتم على أساسه متابعة تنفيذ الأهداف الإستراتيجية المتخذة حيث يتم تتبع هذه الأهداف الإستراتيجية، إنطلاقا من كل هدف إستراتيجي ليتم التعمق فيه وتتابع الأهداف العملية الخاصة به، وهذا من خلال ما تم إنجازه في العمليات والتقنيات الخاصة بكل عملية ويظهر إستخدام هذا الأسلوب من خلال الشكل التالي:

الشكل رقم (11): كيفية إستخدام نموذج BSC



المصدر: من إعداد الباحثين .

ولمتابعة كل تقنية Action جعلت لوحة قيادة لذلك يتم فيها المتابعة الكلية لها والوقوف على الإنجازات في صورة نسب وتحليل الانحرافات الموجودة، وفي آخر المطاف يتم التنقيط على ما تم إنجازه وما لم يتم إنجازه في جداول خاصة لذلك، ليتم

تفريغ هذه الجداول الخاصة بالعمليات لتعاد تفرغ في جداول أخرى تكون تحت موضوع الهدف العملي ثم تجمع كل جداول الأهداف العملية وتفرغ في جدول خاص بكل هدف إستراتيجي لتجمع في جدول كلي. فيتم الوصول من خلال ذلك إلى نسبة تخص ما تم تحقيقه ونسبة تخص ما لم يتم تحقيقه وبذلك تتحدد الانحرافات والجهات المسؤولة عنها.

ويستخدم نموذج BSC على مستوى جميع الفروع الوحدات التابعة للمجمع، وفي النهاية يعد تقرير نهائي حول الوضعية الموجودة بشيء من الدقة والتركيز مع إبراز النقاط المهمة لكل وحدة ولكل فرع.

يتم من خلال هذا النموذج إبراز الإيجابيات كي يتم المحافظة عليها و الإستفادة منها، وإبراز السلبيات والانحرافات حتى يتم تداركها ومعرفة أسبابها ثم اتخاذ القرارات اللازمة من أجلها، وكذا اتخاذ القرارات المختلفة بناء على النقاط السلبية والإيجابية.

يقوم المراجعون الداخليون بتتبع تطبيق النموذج وما تم التوصل إليه من خلال النموذج عبر لوحات القيادة، حيث يقومون بتتبع ما تم تسجيله من جهة وما يوجد على أرض الوقع من خلال ما يثبت ذلك من جهة أخرى.

بهذا العمل يضمن المراجعون سلامة وصدق وواقعية ما تم التوصل إليه من جهة، ويقوم المراجع بالشروع في البحث حول حيثيات الانحرافات الموجودة، وعدم التحقيق الفعلي والكامل لبعض الأهداف، ليقوم بإعداد تقارير نهائية حول كل عملية مراجعة مبرزا فيها من أدلة ونتائج ويقم بتدعيم هذه التقارير باقتراحات وتوصيات لمعالجة ما وجد من انحرافات وهذا بعد مناقشتها مع الجهات المعنية بمادة المراجعة ومع المديرين كما رأينا سابقة في مسار عمليات المراجعة في المجمع.

من خلال هذا النموذج وعمل المراجعين، يمكن الوقوف على دور المراجعة الداخلية في عملية اتخاذ القرارات المختلفة من الإستراتيجية إلى التكتيكية إلى التنفيذية، وهذا كون أن النموذج يمس جميع المستويات الإدارية للمجمع، مما ينشأ علاقة صريحة بين المراجعة الداخلية وعملية إتخاذ القرارات في مختلف المستويات.

وللوقوف على مدى مساهمة المراجعة الداخلية في تحقيق العديد من النتائج، نستعين بالتقرير التسييري لسنة 2004 والذي يبرز أهم النتائج المحققة خلال سنة 2004 ومقارنتها مع ما تم تحقيقه خلال السنوات السابقة.

لقد كان للمراجعة الداخلية شأن كبير في تحقيق هذه النتائج، وهذا إنطلاقا بما تساهم به من إقتراحات وتوصيات بشأن العديد من القرارات التحسنية أو التصحيحة في جميع المستويات الإدارية.

– من بين النتائج التي ساهمت المراجعة الداخلية في تحقيقها الزيادة المستمرة في رقم الأعمال وهذا كما يظهر في الجدول التالي:

جدول رقم (01): تطور رقم الأعمال لمجمع صيدال (2002-2004)

Source : Rapport de Gestion 2004, Art.Cit, P 35.

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن هناك زيادة معتبرة من سنة إلى سنة، يعود ذلك إلى عدة

السنوات	2002	2003	2004
رقم الأعمال بـــ 10^3دج	5.820.809	6.129.512	6.578.622
نسبة التغير	–	+ 5%	+ 7%

أسباب منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي، ولقد كان للمراجعة الداخلية دور مهم في تحقيق هذه النتائج، وهذا من خلال المساعدة في التسيير الحسن لنشاط العادي للمجمع.

- كذلك من بين النتائج المحقق من قبل المجمع والتي كان للمراجعة الداخلية دور في تحقيقها سواء من قريب أو من بعيد هو التزايد المستمر في القيمة المضافة المحققة من قبل المجمع وهذا كما يظهر في الجدول التالي:

جدول رقم(02): تطور القيمة المضافة في مجمع صيدال (2002-2004)
Source : Rapport de Gestion 2004, Art.Cit, P 43.

السنوات	2002	2003	2004
القيمة المضافة بـــ: 10^3دج	2.837.225	3.339.164	3.979.032
نسبة التغير	--	%18	%19

من خلال هذا الجدول نلاحظ أن هناك قيمة مضافة متزايدة في السنوات الأخيرة، كان للمراجعة دور في الوصول إلى تحقيق هذه النتائج. يعتمد مجمع صيدال بدرجة كبيرة على المراجعة الداخلية في تحديد وتنفيذ أهدافه، وفي كل مرة يواجه فيها المجمع مشكلا ما، يلجأ إلى أعمال المراجعة الداخلية من أجل مساعدتهم في حلها، من خلال ما تقدم له هذه الأخيرة من توصيات واقتراحات يراها المراجعون أنها مناسبة لذلك المشكل. وكان للمراجعة الداخلية دورا مهما في عملية إتخاذ القرار المختلفة في مختلف المستويات الإدارية بالمجمع، ولقد ترجم هذا الدور للنتائج التي حققها المجمع، وما أهَّل المراجعة الداخلية لذلك هو التواجد المستمر في المجمع، ودرايته الكافية بكل ما يجري بالمجمع لأن طبيعة العمل تقتضي أن كل ما يتواجد في المجمع من نشاط هو عبارة عن مادة للمراجعة الداخلية، وكذلك الطبيعة الرقابة للمراجعة الداخلية والتي تجعلها دقيقة في التعامل مع كل تصرف يصدر عن أي جهة في المجمع.

خاتمة:

من خلال دراستنا لفاعلية المراجعة الداخلية ودورها في عملية صنع قرارات فعالة، وبمعالجة جوانب وحيثيات هذا الموضوع، مع التعريج لواقع هذا الحال على إحدى المؤسسات الاقتصادية الجزائرية والمتمثلة في مجمع صيدال، سوف تتضمن الخاتمة أهم النتائج التي تم التوصل إليها، والتي على أساسها سوف يتم إثبات صحة أو خطأ الفرضيات، ومن ثم الإجابة على إشكالية الموضوع وتساؤلاته الفرعية، وعرض أهم التوصيات وتقديم آفاق البحث.

نتائج اختبار الفرضيات:

- تتمثل الفرضية الأولى في أن اعتماد مراجعة داخلية بجميع مقوماتها من شأنه أن يساهم بدرجة كبيرة في تفعيل القرارات المتخذة وعلى جميع المستويات، كما تزيد توجيهات الخبرات الخارجية - المراجع الخارجي - من فاعلية المراجعة الداخلية في الإسهام في عملية إتخاذ القرارات. وهذا ما تم إثباته من خلال أن القرارات المتخذة تمر بمجموعة من المراحل، بدأ بتحديد المشكلة محل القرار إلى غاية تنفيذ ومتابعة الحل الأفضل، فهناك دور فعال للمراجعة الداخلية التي تتوفر فيها مجموعة من المقومات الأساسية والمؤهلة عبر جميع هذه المراحل، إذ أن التواجد المستمر للمراجعين الداخليين في المؤسسة يؤهلهم بأن يكونوا ملمين بجميع ما في المؤسسة، وتزيد كذلك مساهمة المراجعة الداخلية في عملية صنع القرارات.

- أما فيما يخص الفرضية الثانية والتي تتمثل في أن مساهمة المراجعة الداخلية في عملية تفعيل جميع القرارات المتخذة، يتوقف على مدى قناعة المستويات الإدارية المختلفة بأهمية وظيفة المراجعة الداخلية. وهذا ما تم إثبات فيه أن قناعة المستويات الإدارية المختلفة

بالمراجعة الداخلية كوظيفة فعالة داخل المؤسسة، سوف تقودهم بالضرورة إلى الاستعانة بهذه الوظيفة لمواجهة المشاكل المختلفة وهذا بتوفير المعلومات المؤهلة والمناسبة لكل مرحلة من مراحل عملية صنع القرارات، وأن هذا الإهتمام وهذه القناعة سوف تزيد من فاعلية المراجعة الداخلية كأداة تستخدم في العملية التسييرية لتذليل الصعوبات وبلوغ الأهداف بفاعلية وكفاءة، إلا في حال أنه توجد مجموعة من العوامل المؤثرة في عملية صنع القرارات كمختلف الضغوط على متخذي القرارات، سوف تحد وتعرقل من مساهمة المراجعة الداخلية في تفعيل القرارات المتخذة، وهذا رغم توفر جميع المقومات الأساسية للمراجعة الداخلية في المؤسسة.

– أما فيما يتعلق بالفرضية الثالثة والتي تنص على المؤسسة الإقتصادية الجزائرية تتبنى نماذج وطرق تسييرية حديثة تساعدها على بلوغ أهدافها، وتعتبر المراجعة الداخلية محل إهتمام بالنسبة لها، وهذا لما للمراجعة الداخلية من إسهامات في تحقيق نتائجها.

وهذا ما تم إثبات صحته من خلال الدراسة الميدانية لإحدى المؤسسات الجزائرية الكبرى صيدال، حيث أن هذا المجمع أيقن بضرورة الاستعانة بالمراجعة الداخلية كوظيفة داخل المؤسسة، من أجل تتبع نشاطها ومراقبة السير العادي لهذا النشاط، مع الوقوف على تطبيق السياسات والإجراءات المتخذة، الأمر الذي ساعد مجمع صيدال على تحقيق نتائج جيدة، خلال فترات متلاحقة بدأ من سنة 1998 وهو تاريخ ظهوره بالصورة التي هو عليها الآن، إلى غاية 2004، كما قام المجمع كذلك بتبني طرق ونماذج تسييرية رقابة ساعدته على الوقوف على مدى تحقيق أهدافه الإستراتيجية والمتمثلة في المجموعات A.F.C.P محاولة منه في كل مرة دراسة وتحليل الانحرافات التي يكشفها من خلال هذه النماذج، والتي من بينها نموذج لوحة القيادة بالأهداف BSC الأمر الذي زاد من فاعلية المراجعة الداخلية التي أصبحت تعمل وفقا لهذا النموذج، من حيث تتبع تحقيق الأهداف الإستراتيجية والعملية ومختلف العمليات.

إن تبني مجمع صيدال لهذا النموذج BSC وإدماجه ضمن برنامج المراجعة الداخلية لخير دليل على مدى زيادة الإهتمام بتبني طرق ونماذج تسييرية مؤهلة لتحقيق الأهداف بفعلية وكفاءة، رغم أن هذا الإهتمام يسير بوتيرة بطيئة وهذا ناتج لمجموعة من العراقيل المواجهة لتطبيق نماذج وطرق رقابية.

نتائج الدراسة:

– تستعين إدارة المؤسسة بالمراجعة الداخلية لتخفف ما عليها من ثقل المسؤولية الملقاة عليها، والتي تخص تطبيق السياسات والإجراءات المختلفة وتحقيق الأهداف والمحافظة على مواردها، ومساعدتها على تحديد نقاط القوى ونقاط الضعف و سد الثغرات القائمة من غش واختلاس وأخطاء، من شأنها أن تعرقل الوصول إلى تحقيق الأهداف المنشودة.

– يجب على أي مؤسسة تعتمد على وظيفة المراجعة الداخلية أن تراعي مجموعة من الشروط الموضوعية من أجل الوصول إلى فعالية كبيرة لهذه الوظيفة، تتمثل هذه الشروط في المعايير التي من الواجب توفرها، من استقلالية إلى العناية المهنية الكافية ونطاق العمل وأدوات أعمال المراجعة، إلى التنظيم الواجب الذي يحكم إدارة قسم (مديرية) المراجعة الداخلية، من حيث نوع المراجعة (مركزية، مختلطة، لامركزية)، عدد القائمين على وظيفة المراجعة الداخلية، وهذا حسب وطبيعة نشاط المؤسسة وتوزعها الجغرافي.

– معظم الإدارات الحالية تعتمد على وظيفة المراجعة الداخلية في تعزيز نظام الرقابة لديها، وأن المراجعة الداخلية بمفهومها الحديث أصبحت تمارس أنشطتها في مختلف أجزاء التنظيم، حيث تراجع كافة العمليات الإدارية والمالية والتشغيلية، الأمر الذي يؤدي بوظيفة المراجعة الداخلية أن تكون على قدر واسع من التنظيم والتحديد للمهام، والرقابة على مستوى مديرية المراجعة، لذا على المؤسسة أن تهتم بذلك، وتعمل على إبراز أهم

طرق الاتصال بين العاملين داخل تنظيم المؤسسة وبين المراجعين الداخليين، بهدف الوصول إلى الأهداف بصورة فعالة.

– إن التطورات الحاصلة في المحيط الذي تعيش فيه المؤسسة أوجب عليها أن تتخذ جملة من القرارات من اجل تصحيح موقف أو الإقبال على آخر، أو تدارك خطأ، أو المبادرة في اغتنام فرص متاحة تكون مربحة بالنسبة للمؤسسة، وهذه القرارات المختلفة تنقسم إلى ثلاث مستويات داخل المؤسسة، فهناك قرارات إستراتيجية وقرارات تكتيكية وقرارات تنفيذية، كل من هذه القرارات له أساليبه ونماذجه كل حسب نوعه، الأمر الذي يستدعي بأن تكون المعلومة التي سوف يبنى عليها ويتخذ على ضوئها هذه القرارات، تتوفر لديها مجموعة من الصفات تؤهلها لذلك، لأنه في بعض الحالات الخطأ في قرار ما سوف يكلف المؤسسة كيانها وما يساعد على توفير هذه الصفات في هذه المعلومات وتأهيلها بأن تكون صالحة ونفعية بالنسبة للقرارات التي سوف تتخذ، هي وظيفة المراجعة الداخلية التي تساعد بالمد المتواني بهذا النوع من المعلومات إلى مختلف المستويات الإدارية، وهذا من خلال مراقبة هذه المعلومات من مختلف مصادرها أو الأنظمة التي هي ناتجة منها.

– تساعد المراجعة الداخلية في إيجاد الثغرات واقتراح الحلول الممكنة، كما نساعد على تنفيذ القرارات المتخذة بما يضمن فعالية وكفاءة هذه القرارات، هذا الأمر الذي جعل من المراجعة الداخلية أداة مساعدة للمؤسسة على تدعيم وتفعيل قراراتها – إذا توفرت المقومات الأساسية للمراجعة الداخلية – وأصبح مسيرو المؤسسة في كل مرة يتخذ من المراجعين الداخليين كمستشارين يشيرون باقتراحاتهم عليها بالطرق والمناهج والبدائل الفعالة حسب كل قرار.

– يسعى مجمع صيدال مثله مثل باقي المؤسسات الجزائرية إلى بلوغ أهداف وغايات تتلاءم بما يتوفر لديه من إمكانيات، وبما يحيط به من تغيرات، فيحاول أن يوفر جوا رقابيا يساعده على أداء أنشطته بصورة تقل فيها الانحرافات والأخطاء، والأعمال غير المرغوب فيها، كما يسعى إلى تبني طرق ونماذج تسييرية ورقابية حديثة، فأصبح يولي اهتماما كبيرا إلى تقوية نظامه الرقابي، فاعتمد مديرات مختلفة للمراجعة الداخلية حسب حجمه و حسب التموقع الجغرافي لفروعه، فيعمل باستمرار على تحديث المراجعة الداخلية بما يؤهلها بأن تكون على إطلاع واسع وكامل بما يجري داخل المجمع، لأن المجمع بمختلف مستوياته الإدارية يعتمد على المراجعة الداخلية عند الإقبال على إتخاذ قرارات مختلفة.

– وفق مجمع صيدال إلى درجة معتبرة من جعل المراجعة الداخلية كأداة تساعده في العملية التسييرية بصفة عامة وعملية إتخاذ القرارات بصفة خاصة، الأمر الذي جعله يحقق مجموعة من النتائج المتلاحقة عبر سنوات متلاحقة منذ إنشائه، وبذلك ساعدت المراجعة الداخلية بدرجة معتبرة على تفعيل مختلف القرارات المتخذة في المجمع.

التوصيات والاقتراحات:

من خلال هذه الدراسة والنتائج المتوصل إليها نحاول إقتراح بعض التوصيات التي قد تساهم في تحسين أداء المراجعة الداخلية وتحسين درجة الاستفادة منها، وعلى هذا نورد فيما يلي أهم التوصيات والاقتراحات:

- ضرورة الاهتمام بالمراجعة الداخلية في الجزائر من خلال العمل على إرساء معايير وإجراءات لها.
- يجب أن يزيد مجمع صيدال من إكمال الطاقم اللازم لمديريات المراجعة الداخلية، هذا من شأنه أن يسرع ويزيد من فعالية العمل من قبل المراجعين، كما يجب أن يعمل على تحديد المهام والمسؤوليات لكل من يعمل داخل المديريات المختلفة للمراجعة الداخلية عبر كامل الفروع.

- توفير الموارد المادية والأدوات المختلفة التي تساعد المراجعين وتقلل من جهدهم وتزيد من تركيزهم وفعاليتهم عند القيام بمهامهم.
- ضرورة الاهتمام بنظم المعلومات الفرعية والإدارية بالنسبة لمجمع صيدال مع التحديد الزمني لحركة المعلومات داخل المجمع.
- محاولة الاهتمام بالمراجعة الداخلية من حيث معايرها، حيث يجب على المجمع أن يعمل على إيجاد السبل الكفيلة التي تمكن من أداء المراجعين أعمالهم بعيدين عن الضغوط المختلفة كالعمل على منحهم درجة أكبر من الاستقلالية، وهذا من خلال العمل على إنشاء لجنة خاصة بالمراجعة يعمل تحت مضلتها مراجعيه الداخليين.
- ضرورة الاهتمام بالتوصيات والاقتراحات التي تندرج ضمن التقرير النهائي للمراجعين الداخليين، وزيادة بسط هيبة المراجعين الداخليين بين الموظفين، وتصحيح نظرتهم للمراجعين الداخليين بأنهم مساعدون، لا أكثر ولا أقل.

قائمة المراجع:

[62] – الهيئة السعودية للمحاسبين القانونين، مشروع معايير المراجعة الداخلية و قواعد السلوك المهني، مكتبة الملك فهد الوطنية، النشرة الإلكترونية، الرياض، يوليو 2004، ص 5. www.socpa.org.sa26/07/2005,15h:43m.

[2] – فتحي رزق السوافيري و آخرون، الرقابة و المراجعة الداخلية، دار الجامعية الجديدة، الإسكندرية، 2002،ص65.

[3]- www.theiia.org, 08.05.2003, 16h:10m.

عبد الفتاح الصحن و آخرون، أسس المراجعة، دار الشباب الجامعية، الإسكندرية، ب ط ، 2003. [4]-ص38.

[5]- Etienne.B, L'audit Interne Pour Quoi Et Comment, Les Edition D'organisation France, 1989, p20.

[6]- Hammini Allel, Le Contrôle Interne Et L'élaboration Du Bilan Comptable, Office Des Publications Universitaires, Alger, 2003, p :35.

[7]- www.IFACI.fr,Prise De Position IFACI, Audit Interne-Qualité, Mai 2004 P:04, 05/01/2005, 10[h]:28.

8- فتحي رزق السوافيري و آخرون، مرجع سبق ذكره، ص46.

[9] – مسعود صديقي، نحو إطار متكامل للمراجعة المالية في الجزائر على ضوء التجارب الدولية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية و علوم التسيير، قسم العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، 2004/2003، ص 54.

10- محمد السيد سرايا، عبد الفتاح الصحن، الرقابة و المراجعة الداخلية، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1998،ص194.

11[1]- محمد أمين، المراجعة الداخلية، مركز الخبرات الإدارية و المحاسبية، مارس2001،ص 04، www. camecenter.com 10h :42m, 15/02/2005.

12- محمد السيد سرايا، عبد الفتاح الصحن، مرجع سبق ذكره، ص194.
[13]- عماد الحانوتي، أهمية التدقيق الداخلي في الحد من الغش، نشرة إلكترونية المجمع العربي للمحاسبين القانونيين، مرجع سبق ذكره، أيار 2002، ص02.
14- فتحي رزق السوافيري و آخرون، مرجع سبق ذكره، ص 82.
15- فتحي رزق السوافيري و آخرون، مرجع سبق ذكره، ص77.
16- نفس المرجع، ص78.
17- عماد الحانوتي، مرجع سبق ذكره، ص 03.
18- محمد السيد سرايا، عبد الفتاح الصحن، مرجع سبق ذكره، ص188.
[19] - علي شريف، الإدارة المعاصرة، الدار الجامعية، الإسكندرية، ب ط، 1997، ص 215.
[20] - سعاد نائف نوطي، الإدارة، دائر وائل، الأردن، الطبعة الثانية، 2004، ص 384.
[21] - عبد الغفار حنفي، عبد السلام أبو قحف، تنظيم وإدارة الأعمال، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، 1993، ص 133.
[22] - نفس المرجع، نفس الصفحة.
[23] - محمد بن إبراهيم التويجري، محمد بن عبد الله البرعي، مرجع سبق ذكره، ص 16.
[24] - عبد الغني بسيوني عبد الله، مرجع سبق ذكره، ص 355.
[25] - محمد بن إبراهيم التويجري، محمد بن عبد الله البرعي، مرجع سبق ذكره، ص17.
[26] - عبد الغني بسيوني عبد الله ، مرجع سبق ذكره، ص 356.
[27] - المهدي الطاهر غنية، مرجع سبق ذكره، ص 58.
[28] - محمد بن إبراهيم التويجري، محمد بن عبد الله البرعي، مرجع سبق ذكره، ص58.
29- هاشم أحمد عطية نظم المعلومات المحاسبية، الدار الجامعية، الإسكندرية، ب ط، 1999، ص 14.

نحو معالجة منهجية للإشكاليات المرتبطة بتحديد طبيعة السلطة - الحالة العراقية نموذجاً -

أ.م .د.صالح ياسر*

*** الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك - كلية الادارة والاقتصاد - قسم الاقلصلد**

ملخص الدراسة واشكاليتها الاساس

تتعاظم الحاجة أكثر من أي وقت مضى الى دراسات أكثر انضباطا – منهجية – للتكوينات الاجتماعية في بلدان " العالم الثالث " ولتحليل أكثر ملموسية للبنية الاجتماعية والوزن النوعي لكل طبقة وفئة فيها بشكل صحيح ومعلل. ولن نغامر بالقول إذا أكدنا انه وعلى الرغم من " السيل الهائل " من الدراسات التي ظهرت، مازلنا لحد اللحظة بشأن الدراية بواقع هذه المجتمعات هي أقرب الى المعرفة العادية منها الى المعرفة العلمية، في احيان عديدة، هذا ناهيك عن اختلاط المفاهيم واضطرابها. ومن هنا تتأتى ضرورة التأمل

في واقعنا، رؤيته كما هو، وليس تفصيله على وفق مقاسات نظرية مخططة في الذهن، غيـر قابلــة للنقاش، تبدو وكأنها كلية القدرة [63].

كما معروف، شهدت العقود الاخيرة " تحولات عميقة " في البنية الاجتماعية والطبقيــة، وتزايد الوزن النوعي للعديد من الفئات وتعاظم دورها " الفعال " في تحديــد اتجاهــات " التطور "، بعد أن ظلت لفترة طويلة على " هامش التاريخ ". كما ظهرت على " المسرح " فئات جديدة بدأت تلعب دورا نشيطا في مختلف مستويات التشكيلات الاجتماعية، ولكــن على الرغم من هذا الدور فما زالت تلك الفئات من دون تحديد دقيــق، علــى المــستوى المنهجي، على الرغم من كثرة الدراسات. ويبدو كما تشير التجربة، أن هناك فجوة بــين الواقع الملموس لهذه الفئات وبين رؤية الفكر النظري لها، الذي ما زال، على ما يبدو غير قادر على توصيفها بدقة وتحديد " هويتها ". ولهذا فإن أحد " ثغرات " هذه الفجــوة بــين الواقع وفكر الواقع تمثلت بظهور العديد من المصطلحات، كلها تريد أو تحاول أن تعبــر عن هذه الظواهر مفهوميا. لذا فإن دراسة هذه الفئات تأتي في موعدها الملائــم، فإنتــاج معرفة صحيحة بأي ظاهرة أو عملية هو أفضل بكثير من الادعاء بمعرفتها. ولابد مــن الاقرار بأن التأملات القاصرة للظواهر والعمليات الاجتماعية/الاقتصادية/السياسية تساعد على منع نشوء بناء نظري متماسك، متفتح، يضم مقولات ومفاهيم وأدوات تحليلية تسمح بدراسة الظواهر والسيرورات الفعلية، الملموسة (لا المفترضة فــي الــذهن) وتعميــق معرفتنا النظرية بصددها.

لماذا التأمل في اشكالية طبيعة السلطة ؟ يبدو أن التطور التاريخي للتجارب " التنمويــة " وما فرخه من فئات اجتماعية وقوى جديدة ومتنوعة أثار ويثير العديد مــن التــساؤلات الاضافية حول طبيعة التشكيلات هذه وطبيعة السلط " الجديدة " الناشطة فيها.

ومنعا لأي التباس لابد من الاشارة الى أن هذا البحث يعرف حدوده ويلتزم بها. إنه لــيس شيئا أكثر من محاولة اثارة الانتباه الى واقعتين اثنتين واقتراح اطار نظري عام واولــي لمقاربتهما. الواقعة الاولى وتتعلق بضرورة التحفظ على اطلاق افكار عامة وضبابية، أو تقديم احكام قطعية حول السلطة وطبيعتها قبل انجاز دراسات متنوعة وجدية حــول هــذا الواقع. الواقعة الثانية وتتمثل بالكشف عن حقيقة أن العراق عرف خلال العقود الاخيــرة تشكيلة اجتما–اقتصادية من " طراز فريد "، حددّت هذه الدراسة – كهدف مركزي لهــا – ابرازها وتقديمها واقتراح فرضيات أولى لمقاربتها. وعلى هذا الاساس يمكن القول أن هذه المساهمة هي بمثابة بحث أولي يسعى الى رسم الاطار العام وتحديد المعالم الكبرى أكثر مما يدقق في الجوانب الشكلية للاشكاليات المطروحة. ولهذا تبــدو المعالجــة المنهجيــة ضرورية لاخضاع مفاهيم اللغة السياسية والاقتصادية اليومية للنقد، وبما يــسمح بانتــاج معرفة صحيحة، مركبة عن واقع " يتمرد " على صانعيه !.

المبحث الاول

طبيعة السلطة السياسية، طبيعة الدولة – اختلاط المصطلحات أم اختلاف المفاهيم

تستحث المعرفة المنهجية الدقيقة للاشكاليات المطروحة ضرورة الانطــلاق مــن اســئلة محددة، تشكل المرشد بالنسبة للباحث في بناء معرفتــه بــصدد الظــاهرة أو الظــواهر

المدروسة، ومراكمة تلك المعرفة بشكل منتظم. ومن المؤكد أن انتاج معرفة منتظمة بصدد أية ظاهرة من الظواهر موضوع الدراسة إنما يرتبط شديد الارتباط بطبيعة الاسئلة المثارة، لأن طرح الاسئلة ليس " لعبة " من العاب المنطق الشكلي، انما هي قضية أساس للباحث ذاته. لماذا كل هذا التاكيد ؟ نجيب باختصار شديد: إن تحديد المفهوم وضبطه وتدقيقه غير ممكن، منهجيا على الاقل، من دون تحديد السؤال.

ويتعين التأكيد، أيضاً، على انه على الرغم من العديد من المحاولات الا ان هذا المفهوم (طبيعة السلطة) مازال بعيدا عن الوضوح النظري، ناهيك من الناحية المنهجية. ويؤكد ذلك بروز العديد من التعابير مثل : *السلطة، سلطة الدولة، السلطة السياسية* ..... الخ، التي تعج بها الخطابات السياسية وتستخدم من دون تدقيق. هنا ينطرح سؤال بسيط : هل هذه المفاهيم عبارة عن مترادفات synonims تعبر عن ظاهرة (أو ظواهر محددة) أم لا ؟ فإذا كانت هذه التعابير/المفاهيم تعالج اشكالية محددة فما هي " الضرورة الموضوعية " لهذه " التسميات " المختلفة ؟ واذا انطلقنا من مبدأ منهجي عام هو انه لكل مفهوم أو مقولة حقل محدد، عندها ينطرح سؤال آخر : هل تنتمي هذه المفاهيم لحقل واحد، وما هو مبرر هذا التداخل أو الاضطراب ؟. إن الاضطراب في صياغة المفهوم أو المقولة مرتبط أساسا بضعف المعرفة بالظاهرات أو العمليات التي نقوم بدراستها.

ثمة ضرورة، أولا، للاشارة الى أن هناك اختلافا بين التعبير المجازي وبين المضمون المفاهيمي. تنتصب الحاجة الى رؤية هذه القضية والعمل على تدقيق المفهوم وفك الاشتباك – حسب سمير أمين – بين هذه المفاهيم وتبيان دقتها العلمية. ويبدو أن عدم الوضوح والاضطراب وتنوع التسميات مرده ليس غياب التسميات الملائمة، بل غياب مفاهيم اساسية، لا يستكمل التحليل النظري ويتخذ مداه العلمي وحقله الملموس، الا بوجود هذه المفاهيم.

وبمكن الاشارة الى أن " الفكر النظري " في بلداننا لم يولِ مسألة انتاج المفاهيم النظرية الاهمية التي يستحقها في بناء الجهاز المفاهيمي الذي نفكر فيه ونعمل عليه. وكما تشير التجربة فقد ظهر العديد من المصطلحات أو المفاهيم " المستعارة "، وتبيّن أنها بدلا من أن تساهم في توسيع وتعميق معرفتنا بهذه الظواهر، بدت أكثر ضبابية، أي أنها لم تنجح في تحديد نظري دقيق لها. يرجع هذا الخلط، عدا عن غياب مجموعة من المفاهيم الضرورية، الى عدم فهم الطابع التاريخي للمقولات والمفاهيم. وفي هذا المجال من المفيد استعارة الاطروحة المهمة لماركس في تحديده للمقولات عندما قال : " المقولات خالدة خلود العلاقات التي تعبر عنها..... انها منتجات تاريخية مؤقتة " [1].

قبل المباشرة في العمل على ضبط مفهوم (السلطة السياسية) علينا أن نعرّف أولا ما المقصود بـ (السلطة)؟ هناك من يعرف (السلطة) على أنها قدرة طبقة أو مجموعة من الطبقات على تحقيق مصالحها الموضوعية. وهذه القدرة تتوقف على علاقات القوى وتوازن القوى في أي مجتمع. هذا التعريف يثير جملة من الصعوبات، وأهمها أنه يستخدم مفهوم " المصالح " الذي يحتاج بدوره الى تحديد وتدقيق اضافي. ويدرك المرء أهمية مفهوم " المصالح " بالنسبة للماركسية. فالمفهوم الماركسي للطبقات والسلطة يرتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم " المصالح الطبقية " [1].

عندما نتحدث عن (السلطة) تنطرح اشكالية المعايير التي نستخدمها لتحديد الاصول الطبقية للمجموعة الحاكمة، من هي، من أين أتت، جذورها الطبقية، أي ينبغي فهم السلطة ضمن تحديد اطارها المرجعي. ولهذا فإن السلطة هنا هي علاقة قوى طبقية، حسب بولانتزاس [1]. وانطلاقا من هذه الاطروحة يمكن القول أن الصراع الاجتماعي ومحوره الاساس الصراع بين الطبقات الاجتماعية في المجتمع هو الاطار المرجعي لمفهوم السلطة هذا. ويتعين فهم علاقات القوة هذه ليس بوصفها علاقة بسيطة، خطية، انما هي علاقة مركبة من جهة، وغير متكافئة، من جهة اخرى، وتحددها، في نهاية المطاف، القوة الاقتصادية، ثالثا. كما يتعين فهم حقيقة أن القوة السياسية أو القوة الايديولوجية ليس مجرد تعبير عن القوة الاقتصادية أو انعكاس بسيط لها، بل يتعين فهمها في اطار العلاقة مع القوة الاقتصادية. فأحيانا كما تشير التجربة التاريخية، تكون احدى الطبقات هي المسيطرة اقتصاديا ولكن من دون أن تكون هي المسيطرة سياسيا، فتكون غير قادرة على تحقيق مصالحها السياسية أو الايديولوجية. أو أن تكون هي المسيطرة ايديولوجيا دون ان تكون لها الهيمنة الاقتصادية أو السياسية [1].

تتضمن السلطة السياسية لطبقة ما (أو لإئتلاف طبقي محدد)، والتي هي طبعا نتاج وشروط لسيادتها الطبقية –الاقتصادية، سلطة فعلية لممثلي هذه الطبقة على آلة الدولة، وهؤلاء الممثلون هم عادة اعضاء يمثلون وينتمون الى شريحة محددة من الطبقة المسيطرة. ولذلك يمكن للسلطة السياسية أن يكون رهان صراع فيما بين هذه الشرائح. الا انه يجب عدم خلط السلطة الفعلية الخاصة بالماسكين بآلة الدولة مع سلطة الة الدولة المنظمة قانونيا على المجتمع. ان هذه السلطة المنظمة قانونيا هي التي تؤول الى تحقيق السلطة الفعلية. ولا تظهر السلطة السياسية للدولة دائما، في شكل علاقة مباشرة بين طبقة واخرى. إنه لصحيح، من جهة أخرى، ان العلاقة الطبقية تحفظ ويعاد انتاجها على مستوى السلطة السياسية السياسية للدولة، كما أنه لصحيح، من جهة اخرى، أن وجود الدولة كأداة، يحقق في شكل معدل، السيطرة السياسية للطبقة المسيطرة [1].

واذا اردنا القيام بمقاربة مكثفة نستطيع القول بأن التحليل التاريخي الملموس للسلطة السياسية يستحث التأكيد على العناصر التالية، التي بالرغم من بساطتها الظاهرية هامة جدا لفهم هذه الاشكالية "

- ان السلطة السياسية في أي مجتمع هي نتاج العلاقات الاجتماعية الجوهرية فيه، علاقات الملكية والتقسيم الاجتماعي للعمل، ومن ثم فإن هذه السلطة تكون محصلة للتناقضات الاجتماعية وكيفيات حلها، والتي تتجسد من خلال الطبقات ومصالحها. ومن هنا تتأتى ضرورة تناول السلطة السياسية باعتبارها علاقة قوة.
- إن السلطة السياسية في المجتمعات ذات البنية الاجتماعية المتناقضة لم تكن أبدا محايدة حتى لو أعلن حائزو السلطة غير ذلك.
- إن نمط توزيع السلطة يرتبط ترابطا وثيقا بنمط توزيع الثروة، وان هناك علاقة جدلية بين السلطة والثروة تتضمن ضمن ما تتضمن أن حائزي احدهما يتطلعون الى الاخرى، كما أن فرصتهم تكون أكبر وأيسر من غيرهم في حيازة الاخرى. يلعب مقياس توزيع الثروة المادية (التحكم في وسائل الانتاج) الدور الاساسي في توزيع السلطة والنفوذ. وبتعبير أخر : يحدد هذا التراتب الاجتماعي–الاقتصادي والتراتب السياسي ويتحكم فيه، ومن خلاله يتحكم في البنيان الاجتماعي والثقافي والايديولوجي برمته، أي تحقيق وحدة هذا البنيان.

- إن انبثاق سلطة سياسية معينة وتطورها يخضع لتراتب سياسي واجتماعي جديد يعتمد على عدة مقاييس، من بينها :

أ. مدى القدرة على تحقيق الحد الادنى من التماسك الافقي بضمان الانخراط في مسلسل تطور نمط انتاج محدد تحت اشراف اجهزة الدولة ورعايتها.

ب. مدى القدرة على اختراق " المجتمع المدني " عموديا أي عبر شبكات " الولاءات الخاصة "، وباكتساب " الزبائن والتابعين "، واستقطاب وتوظيف اكثر ما يمكن من الارتباطات والولاءات الباقية، من اجل ضمان الحد الادنى من " الوحدة " لمجتمع ما زال يتطور. ولكن هل يمكن تصور اثبات واستمرار "سيطرة " هذه السلطة السياسية بدون توفر الحد الادنى من " الشرعية " يؤمن لها قدرة ما على الاختراق الافقي والعمودي للجسد الاجتماعي ككل، في اتجاه خلق واحياء مجال ما للهيمنة ؟ إن الاجابة على هذا السؤال تستدعي التأكيد على أن الحديث عن السلطة السياسية في مستواه الاكثر تركيزا هو حديث عن الدولة بوصفها التجسيد الرسمي للسلطة السياسية. ثمة، اذن، ضرورة لتناول مكثف لإشكالية الدولة [1] كمدخل لإستيعاب وفهم السلطة السياسية، إذ ثمة ضرورة لبلورة صياغة نظرية للعلاقة بين الطبقة السائدة(أو الائتلاف الطبقي المهيمن) والدولة، مع ملاحظة أن التحليل الطبقي لا يمكن أن يبدأ وينتهي عند مستوى البناء الفوقي للتشكيلة المعنية. وينبع هذا التأكيد من حقيقة ان العلاقة بين الطبقة المسيطرة اقتصاديا وبين السلطة السياسية وجهاز الدولة في " العالم الثالث "هي من القضايا البالغة الاهمية والشديدة الخطورة ولكنها لم تحظ باهتمام كبير الا من طرف بحاثة قليلين [1].

ابتداء، يتعين التأكيد على أن علم السياسة لم يتوصل الى صياغة شاملة ونهائية لقضية الدولة بل هناك مقاربات مختلفة لها.

- فهناك التصور الذي يرى الدولة كأداة بيد الطبقة المسيطرة، وهذا يعني أن الدولة تبدو وكأنها قوة تابعة، أداة محايدة، وهذا مفهوم غير مقبول نظريا وأكدّت التجارب الملموسة خطأه. وسبب الخطأ ناجم عن الخلط بين مفهوم سلطة الدولة ومفهوم جهاز الدولة بوصفهما شيئا واحدا. فهو اذن تصور يقوم على مقاربة ميكانيكية تعد السلطة اداة في يد الطبقة الحاكمة من جهة، ومن جهة ثانية تعد السلطة والثروة وجهان لعملة واحدة، في حين أن السلطة ليس انعكاسا اليا للملكية والثروة.
- مقابل هذا التصور هناك مفهوم الدولة كفاعل، أي ذلك الذي يتصور الدولة بمثابة " قوة سوبر " تستطيع أن تفعل أي شيء بصرف النظر عن علاقات القوى السائدة في اللحظة التاريخية، وهو مفهوم خاطيء أيضا لأنه يقفز على الواقع ويتجاوزه.
- أما مفهوم الثالث فهو الذي يرى الدولة كعلاقة قوى وكتجسيد مؤسسي لعلاقات القوى الطبقية، كتجسيد السلطة. ولهذا ثمة ضرورة لتحليل السلطة السياسية وسلطة الدولة في علاقتهما بعمليات اعادة الانتاج الاجتماعي. وهنا ينطرح السؤال التالي : ما الذي يعاد انتاجه ؟ يتعلق الامر هنا بثلاثة أمور اساسية : علاقات الانتاج، قوى الانتاج، طابع جهاز الدولة والبنى الفوقية السياسية والايديولوجية المعنية، بأجهزتها المتخصصة في الارغام والتأهيل والاخضاع. وفي هذه المجالات الثلاثة، جميعها، تتم عملية اعادة انتاج المواقع والعمليات، في نفس الوقت الذي

تتم فيه اعادة انتاج الافراد المناسبين (أو تجنيد عناصر جديدة) وبأعداد كافية لملء المراكز.

هناك ضرورة لتوضيح هذه القضية. من المعلوم أنه يتم الاستيلاء على سلطة الدولة ضمن حقل مكون من نوعين ثابتين من العلاقات. فالدولة تمثل مجتمعا طبقيا، كما أن الدولة تتوسط في العلاقات الاجتماعية ما بين " الحاكم والمحكوم ". إن اعادة انتاج سلطة الدولة لطبقة ما (أو جزء منها أو تحالفا معينا) يتعين اعادة تمثيلها في قيادة الدولة والتوسط لفرض غلبتها على بقية الطبقات. إن التمثيل والتوسط هما نموذجان مؤسسيان محددان، ولا يمكن، بشكل عام، التقليل منهما بارجاعهما الى علاقات الانتاج فقط. فلا يمكن، بكل بساطة، اختزال الشكل السياسي لسلطة الدولة الى مجرد انعكاس خطي ومباشر لعلاقات انتاج معينة. ان قيام الدولة بالتوسط في العلاقات الاجتماعية يعني اضافة عنصر جديد الى العلاقات الطبقية. ولهذا تبدو صائبة اطروحة (غرامشي) التي يؤكد فيها على وجوب عدم الاكتفاء بالفهم " التقليدي " للدولة بوصفها اداة " قوة " بل انها " منظم " للهيمنة كذلك [1].

نتساءل اذن : كيف تتم، في الواقع، ممارسة هذه السلطة من طرف هذه الطبقة الحاكمة (أو الائتلاف المهيمن)؟

تتم هذه الممارسة عبر الدولة، أي من خلال الامساك بزمام سلطة الدولة. تحاشيا لأي التباس يجب التأكيد على وجوب عدم تفسير التعابير الكلاسية مثل " أخذ " و " الامساك " بسلطة الدولة، على أنها تعني أن سلطة الدولة هي عبارة عن شيء يمكن لمسه باليد. فهي بالاحرى، عملية تدخلات في مجتمع ما من طرف مؤسسة منفصلة (أي تتمتع باستقلال نسبي) تتركز لديها الوظائف العليا في المجتمع [1]. أي أن الدولة تسعى لتأمين علاقتين اثنتين، فعليها (وخاصة عناصرها القيادية)، أن تمثل (بمعنى أن تدافع وتشجع) الطبقة الحاكمة ونمطها في السيادة والاستغلال. كما أنها، من جهة ثانية، تتوسط بالنسبة لاستقلال الطبقة السائدة، وضمان سيادتها على الطبقات والفئات الاخرى.

إن المشكلات المطروحة سابقا تستحث ضرورة تحديد اضافي في ثلاثة جوانب هامة. ولكن نظرا لضيق المساحة المخصصة هنا اشير هنا الى هذه الجوانب بتكثيف بالغ، بأنها :

- الثقل المرتبط بالطابع الطبقي بجهاز الدولة،
- معنى التحالف الطبقي،
- محتوى الهيمنة ضمن تحالف مكوّن من طبقات بكاملها(أو شرائح منها).

إن هذا الدور المعطى لطابع جهاز الدولة يستند الى تعريف هذا الجهاز بوصفه البلورة المادية للعلاقات السائدة في مجتمع ما، ولنوع تقسيم العمل السائد فيه. إن أسسه المادية هذه، توفر نقطة موضوعية يمكن من خلالها ادخال البعد الزمني في تحليل سلطة الدولة.

يحتل جهاز الدولة هذه المكانة الخاصة بالنسبة لمواقع السلطة، وذلك لسببين. الاول هو ان كل نشاط تقوم به الدولة يتم من خلال جهاز الدولة. وهو، على هذا الاساس، يقدم منفذا للتحكم في نوعية تدخلات الدولة اقتصاديا وايديولوجيا. أما الثاني فيتعلق بحقيقة أن جهاز الدولة، بوصفه التكثيف المادي للعلاقات الطبقية، يوفر القاعدة الاستراتيجية لاحداث تغيير شامل في سياسة الدولة [1].

يتجلى هذا الامر في فترات التحول، على وجه الخصوص، وما يرافقها من " طغيان " الدولة التي تقوم بتمهيد الطريق لعملية موضوعية تشق طريقها بعنف، بل أن التحول السياسي ما كان له أن يحدث لولا وجود فئات حققت وزنا ما في الحياة الاجتما–اقتصادية وتسعى، جاهدة، الى ترجمة هذا الوزن سياسيا.

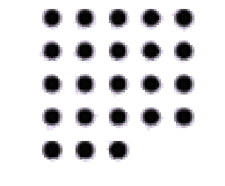
وإذا فهمت العلاقة بين سلطة الدولة والطبقات والفئات الصاعدة بتلك الصيغة التي لا ترى في الدولة خادما سلبيا ولا صانعا لها، فإنه يمكن تفهم حاجة الفئات المحجوزة الى ثقل سياسي هائل، أو تمثيل سياسي قوي لها في جهاز الدولة يتيح لها الاتكاء عليه للحصول على " تسهيلات متنوعة "، في حين أن الفئات الراسخة نسبيا تستطيع أن تعتمد على شبكة علاقاتها التي نسجتها خلال فترات سابقة بهدف توطيد وادامة وضعها وتوسيع شبكة علاقاتها بشرط أن لا يكون هناك ثمة تعارض صريح بين توجهاتها وتوجهات الدولة [1].

المبحث الثاني

مناهج دراسة السلطة السياسية والاشكاليات المرتبطة بها

يعج الادب السياسي الخاص بهذه الاشكالية بكثير من المناهج الساعية لتحديد طبيعة السلطة السياسية، ومن ثم الاجابة عن السؤال الحاسم : ما هي طبيعة العلاقة بين الطبقات الاجتماعية، المحددة اساسا واعتبارا لموقعها ضمن البنية الاقتصادية، وما بين السلطة السياسية من خلال الدولة ؟ ومن دون الدخول في تفاصيل لا مبرر لها نستطيع أن نفرز ثلاثة مناهج اساسية هي [1]:

- المنهج الاول : وهو المنهج الذي يرتكز على السؤال المهم : من لديه السلطة ؟. ويمكن تسمية هذا المنهج بالمنهج الذاتي، بمعنى أنه يسعى لتحديد الذات الممارسة للسلطة. وضمن هذا المنهج هناك نقاشات ساخنة وجدل لا يتوقف بين منظري " التعددية " أو " نخبة السلطة " أو " الطبقة الحاكمة ".
- أما المنهج الثاني فهو ذلك المنهج الذي يتعامل مع هذه القضية بطريقة رجل الاعمال مركزا على السؤال : ما الكمية ؟ بمعنى ما هي كمية السلطة ؟ وفي مسعى الاجابة عن هذا السؤال يدعو هذا المنهج الى التشديد على السلطة للفعل power to do وليس السلطة على power over، وعلى التشديد على تبادل السلطة وتراكمها وليس توزيعها. ويعتمد التحليل السياسي من هذا الطراز على أحد الاشكال المختلفة للنظرية الاقتصادية الليبرالية. إن السلطة تدرس ضمن هذا المنهج ومن خلال الافضليات، أو البدائل أو الخيارات الممكنة.
- في حين ان المنهج الثالث، وهو المنهج الماركسي بتنوع تياراته ومداخله المختلفة، وفي مسعاه لانتاج معرفة منتظمة عن طبيعة السلطة، لا ينطلق من " وجهة نظر اللاعب " بل من العملية الاجتماعية السابقة، أي عملية اعادة الانتاج الاجتماعي. وبتكثيف يمكن صياغة السؤال الرئيسي لهذا المنهج كما يلي : ما هي طبيعة السلطة وكيف تتم ممارستها ؟ نقطة التركيز، إذن، في التحليل الذي يعتمده هذا المنهج ليست الملكية ولا المالكين بحد ذاتهم، بل علاقات الانتاج التاريخية المحددة، في ترابطها الوثيق بقوى الانتاج من جهة وبالدولة ومنظومة الافكار الاجتماعية السائدة في التشكيل الاجتماعي من جهة ثانية. إن



هذا المنهج يسعى، إذن، وقبل كل شيء الى أن يحدد طبيعة السلطة وليس من يمارسها، أو مقدارها. إن لهذا المنهج نتائج مهمة، يجب تحديدها بإختصار ووضـــوح. فالماركـــسيون يهتمون بالعلاقة ما بين الطبقات وسلطة الدولة، انطلاقا من سبب معين بذاته. فهم ينظرون الى الدولة كمؤسسات مادية منفصلة تتمركز عندها علاقات القوة ضمن المجتمع. اذ لـــيس الدولة، من هذا المنظور، سلطة بذاتها، حيث أنها المؤسسة التي تتجمع السلطة الاجتماعية فيها وتمارس. إن الطابع الطبقي لأي سلطة ولدولة ما لا يشير بالضرورة الـــى تحريـــك الامور من وراء الستار، بل أنه يعني المضمون المجتمعي لأفعال الدولة، ويشير، من ثم، الى الطبقة الحاكمة في ذلك المجتمع [1].إن هذا المنهج ينظر الى الدولـــة، إذن، باعتبارهـــا مؤسسة مادية محددة تتمركز عندها علاقات القوة ضمن المجتمع. إن الدولة، بحسب هـــذا المنهج، لا تمتلك سلطة بحد ذاتها، بل أنها " المؤسسة " التي تتجمع السلطة فيها وتمارس. يمكن الاستنتاج، إذن، بأن النقطة الاساسية التي يرتكز عليها المـــنهج، لـــيس العلاقـــات الشخصية بين مختلف " النخب "، كما أنها ليست " عملية اتخاذ القرارات ذاتها " بل هـــي تأثيرات الدولة على انتاج واعادة انتاج معينة، سواء كانـــت هـــذه التـــأثيرات حقيقيـــة أو مفترضة. يجب التأكيد على أن حلقة اعادة الانتاج التي تربط الدولة، كأحد مكونات البنـــاء الفوقي، بالقاعدة الاقتصادية هي حلقة تفاعل متبادل. فالقاعدة الاقتصادية تقرر البنية الفوقية السياسية عبر دخولها في عملية انتاج سلطة الدولة وجهاز الدولة، لكن يتعين التأكيد علـــى طبيعة العلاقة هذه وفهمها بشكل سليم. إن العلاقة بين انماط الدولة واساليب الانتاج السائدة ليست علاقة ميكانيكية بسيطة بل هي علاقة مركبة ومعقدة في أن. إن هذا التعقيد هو نتاج تداخل المؤشرات الداخلية والخارجية وتفاعلها وانعكاسها على انماط الدولة والاشكال التي تتخذها، وعلى وجه الخصوص محتوى التراكم الاقتصادي وحجمه والتحولات الاجتماعية المرافقة له في نشأة وتحول الانظمة السياسية وطبيعة السلطة ذاته [1].

وعند العودة الى المناهج الثلاثة السابقة يمكن ملاحظة اختلاف التأملات. إذ أن كل منهج منها، حسب طريقته، يحاول وصف وتفسير توزيع السلطة في المجتمع. غير أنه وعلـــى الرغم من الاختلافات، الناجمة عن تنوع المرجعيات النظرية والمنهجية لهذه المنـــاهج ، يلاحظ أن كل منهج يركّز تأملاته على سياق محدد للظواهر التي يدرسها ويسعى لانتـــاج معرفة عنها. وهناك امكانية عملية للاستفادة من بعض عناصر التنظيرات المتنوعة لنخبة السلطة لاثراء تحليلات مناهج السلطة وخاصة المنهج الماركسي.

وما نريد القيام به من وراء مثل هذا التوليف هو المساعدة في تجاوز خطأين شائعين. الاول، ويقوم على معاينة نخبة السلطة بمعزل عن البنية الطبقية. وحسب وجهة النظر هذه، فإن نخبة السلطة تعني أولئك الذين يتخذون القرارات السياسية، وأن علاقة هؤلاء بالبنية الطبقية تهمل أو تدفع الى هامش التأملات التي يقوم بها هؤلاء. أما الثاني والذي ساد لمدة طويلة في السوسيولوجيا الماركسية، فهو الذي يهمل (أو على وجه الدقة لا يعير الاهتمام الكافي) الفائدة النظرية والممارسة للتأملات النظرية بصدد النخب، ويعد أن اشكالية البنية الطبقية (أو المدخل الطبقي) تستنفذ كل القضايا وقادرة على الاجابة على كل الاسئلة المتعلقة بهذه البنية. وارتباطا بذلك فإنه، وعند مناقشة قضايا " النخب " يجري السعي لاجراء نوع من المماثلة أو المطابقة بين النخبة والطبقة السائدة، وإذا ظهرت " النخبة " كمجموعة متميزة فانها تقوم بدور حامل أو ناقل Transmission لرغبة الطبقة المسيطرة وممثلة لمصالحها.

وانطلاقا من هذه الملاحظات يمكن اقتراح مدخل يسمح بالاستفادة من بعض عناصر " المدخل النخبوي " ، أي مدخل نخبة السلطة وادماجه ضمن التأملات بصدد السلطة وبما يسمح بإثراء التأملات هذه.

ابتداء لابد من الاشارة الى بعض القضايا الضرورية. إذ لا بد من التمييز بين الطبقة المسيطرة ونخبة السلطة. فالطبقة المسيطرة (بالمعنى الماركسي) هي نتاج النظام الاقتصادي، وينتمي اليها اولئك الناس بسبب علاقاتهم بوسائل الانتاج والموقع المتميز الذي يحتلونه – بسبب تلك العلاقة – في عملية توزيع المنتوج الاجتماعي. إن سيطرتهم المجتمعية تعتمد على [1]:

أ. انهم يمتلكون سلطة الاشراف على وسائل الانتاج، ومنتوج العمل (السيطرة الاقتصادية).،

ب. إن القواعد الاساسية لقوانين الدولة (الدساتير والتشريعات) تضمن لهم حق الاشراف هذا (السيطرة السياسية).

ج. إن الهيمنة الايديولوجية تبرز وتخدم هذا الحق وتدافع عنه على هذا الصعيد (السيطرة الايديولوجية).

أما " نخبة السلطة " فهي نتاج البنية السياسية، وينتمي اليها أولئك الذين يشاركون في عملية صياغة واتخاذ القرارات الحكومة. وتقوم سلطة هؤلاء على امكانية امتلاك التأثير المباشر على الذين يتخذون القرارات أو على المباشرة في عملية في عملية اتخاذ القررارات. ويمكن العثور على فهم كهذا لنخبة السلطة في اعمال مختلف منظري نخبة السلطة، بدأ من باريتو وميلز حتى هونتر وداهل [1].

ومن هنا يتبين أن هناك اختلافا بين التأثير على عملية اتخاذ القرارات وبين المشاركة في هذه العملية. وهذا التمييز ضروري، وذلك لأنه توجد، في الدول المعاصرة، بنى سياسية مختلفة وناس متخصصون في هذين النوعين من الوظائف. ومن جهة ثانية فإن التأثير الخارجي على هذه القرارات يتأتى من بنى متنوعة، مثل الاحزاب السياسية ومجموعات المصالح ....الخ. ولكن ليس من هذه المجموعات لوحدها فقط، اذ تظهر كذلك بنى غير رسمية مختلفة. وارتباطا بذلك يمكننا القول بأن " نخبة السلطة " هي نتاج البنية السياسية الرسمية وغير الرسمية للمجتمع. وتضم البنى غير الرسمية تلك الاوساط والكتل التي لها وضع status سياسي رسمي ولكنها على الرغم من ذلك تمتلك وسائل للتأثير وتستفيد منها.

ونستطيع أن نحدد " النخبة " هنا بسياقين، أي من خلال (عبر) مضمون النشاط وكذلك شكل النشاط. فمن وجهة نظر مضمون النشاط، تعني النخبة أولئك الذين يشاركون في صياغة البرامج السياسية. أما من وجهة نظر شكل النشاط، فإن النخبة تعني أو تضم أولئك الذين يشاركون في اتخاذ القرارات أو يؤثرون بشكل مباشر على صنّاع القرار. ومن وجهة نظر شكل النشاط يمكن التفرقة بين " نخبة القرارات " و " نخبة التأثيرات ". وهذه التفرقة ضرورية ومفيدة لأن هناك بنى معينة تتيح لوحدها فقط امكانية امتلاك التأثيرات، في حين أن هناك بنى اخرى تخول وتلزم لاتخاذ القرارات.

إن المدخل المقترح هنا يسمح بالتمييز، على الصعيد التحليلي، بين الطبقة المسيطرة ونخبة السلطة، كما يسمح كذلك بالتمييز بين " السيطرة الطبقية " و " نخبة السلطة "، بوصفهما نوعين مختلفين للسلطة.

وبعد انجاز " فك الاشتباك " هذا يمكن اقتراح الانتقال الى المرحلة التالية من التأملات، ونعني بها تحليل الروابط أو الصلات بين الطبقة والنخبة، بين السيطرة الطبقية وسلطة النخبة. ويمكن تحليل هذه الروابط (الصلات) اعتمادا على عدة مؤشرات، ولكن هناك ثلاثة منها تبدو أساسية، انها :

أ. مؤشر التركيب الطبقي للنخبة،
ب. مؤشر تمثيل المصالح الطبقية،
ج. مؤشر استقلالية قرارات النخبة.

وعند تحليل المؤشرات الثلاثة يتعين علينا أن نأخذ بنظر الاعتبار عمليتين متعارضين هما :

- على مستوى المؤشر الاول، تجد هذه السيرورات تعبيرها في انفصال الطبقة والنخب كمجموعات بشرية مستقلة ومتميزة، وكذلك في عملية توحيد تركيب الطبقة والنخبة.
- أما على مستوى المؤشر الثاني فتتجلى ظواهر تمثيل مصالح طبقة أو عدة طبقات من طرف النخبة.
- وعلى مستوى المؤشر الثالث فيمكننا الحديث عن استقلالية (أكبر أو أقل) النخبة في صياغة واتخاذ القرارات.

وبما أن " السيطرة الطبقية " و " سلطة النخبة " تعد ظواهر مختلفة فإنه يتوجب معاينتها بشكل مستقل. غير أن مثل هذا التمييز لا يعني أنه لا توجد بينهما أية روابط أو تأثيرات متبادلة. وعلى العموم يمكن تمييز ثلاثة أنواع من التأثيرات :

أ. تبعية العملية السياسية الى ظواهر السيطرة الطبقية،
ب. التعزيز والتدعيم الفعال للسيطرة من خلال النشاط المتميز لنخبة السلطة،
ج. تحديد السيطرة من خلال النشاطات اليومية لنخبة السلطة.

هكذا إذن، على الرغم من أن السيطرة تعني شيئا أكثر من عملية اتخاذ القرارات، الا أنها مع ذلك تجد في هذه الاخيرة تعبيرها.

وباختصار شديد نقول بأن السيطرة الطبقية تعد ظاهرة مميزة للتشكيلة الاجتماعيـــة، وأن عملية اتخاذ القرارات تتم في اطار تشكيلة محددة، غير أن هذه العملية تمتـــاز باســـتقلال ذاتي، ذلك لأن اتخاذ القرارات السياسية يتم في اطار بنيـــة سياســـية معقـــدة ومحكومـــة بقوانينها الناظمة. ولكي يمكن الكشف عن خصوصية هذه العملية فإنه يتعـــين أن تؤخـــذ بنظر الاعتبار عناصر البنية السياسية ودورها في عموم العملية، إذ أن السيطرة، لوحدها، غير كافية. إن أية قرارات تتخذ تعتمد قبل كل شيء على قوة تأثيرات مختلف المراكـــز المطابقة لحلول معينة. وكذلك فإن الطبقة المسيطرة إن ارادت الحصول علـــى حـــل مـــا لقضية معينة وجب عليها الحصول على تأثير سياسي ملموس، لذلك فإن الـــسيطرة هنـــا لوحدها غير كافية. وعلى الصعيد السياسي تمتلك مراكز التأثير " حقوقا متساوية " (نظريا على الاقل)، في حين أن تحقيق " الانتصار " أو " الهزيمة " يعتمد على " حجم " التأثيرات هذه. هنا يجب التأكيد على قضية مهمة تتعلق بالسيطرة ، ويجب أن لا ننسى بأن الطبقـــة المسيطرة تمتلك وسائل للتأثيرات السياسية خاصة بها فقط. ومن جانب أخر فإن امكانيـــة التأثير على القرارات من طرف الجميع تكون متساوية، ولكن ليس الجميع يمتلكون وسائل متساوية، فالطبقة المسيطرة تمتلك وسائل غير مسموح بها بالنسبة لبقية الطبقات، وهـــي سيطرتها على وسائل الاعلام والتأثير الايديولوجي وكذلك امتلاكها لجهاز القمع [1].

لماذا التأكيد على ضرورة التوليف بين التحليل الطبقي وبين تحليل النخبة ؟ يبدو أن هـــذا ناجم عن حقيقة أن اعتماد مفهوم " النخبة "، كأداة منهجية لتحديد طبيعة السلطة من حيث هي علاقة قوى طبقية، ولا يحدد الطبقة أو القسم المهيمن داخل هذه العلاقة، ذلـــك لأنـــه ينشغل بـــ " النخبة الحاكمة " فقط، ومن هنا الحاجة الى هذا " " التوليف " الضروري.

المبحث الثالث

مقولات " البرجوازية البيروقراطية " و " البرجوازية الطفيلية "
– نحو إعادة بناء للاشكاليات المرتبطة بهذه المقولات –

منذ ما يقارب الثلاثة عقود، وبنتيجة جملة من التغيرات التي شهدتها البنى الاقتـــصادية – الاجتماعية في العديد من البلدان، شاعت في الادب السياسي والاقتصادي جملة مفاهيم من بينها مفهومي " البرجوازية البيروقراطية " و " البرجوازية الطفيلية " كأداتين تحليليتـــين لتوصيف طبيعة السلط السائدة في تلك البلدان. منعا لأي التباس فإن الجهد في هذه النقطة سيتركز على طرح بعض الافكار المتسائلة والملاحظات ذات الطبيعة المنهجية والنظرية

كمساهمة متواضعة في اثراء هذه النقطة ذات الطبيعة الهامة، واعادة النقاش بصددها مجددا [1].

ابتداء، يتعين الاشارة الى أن البحث التاريخي الملموس للبنية الطبقية ولديناميكية المجتمعات يتطلب جهازا مفاهيمياً ملائما يسمح يكشف مجموع تعقيد هذه لبمجتمعات، وبلورة واستخلاص السمات الاكثر جوهرية فيها. ويجب القول من دون مبالغة أن هذا الجهاز المفاهيمي لم يحدد ولم بعرف بشكل دقيق وموحد. ولهذا فقد لا يبدو " مثيرا للدهشة أن مفاهيم شديدة الوضوح للوهلة الاولى كالطبقة والفئة ..... بحاجة الى تعريف " [1]. لابد، اذن، من تدقيق هذه المفاهيم واعادة قراءة تسمح لنا بتجاوز النزعة التبسيطية في احيان كثيرة.

ولكي يمكن ضبط مفاهيم : البيروقراطية والطفيلية نحتاج الى مضمون مفاهيمي مشترك يساعدنا على التمييز بين مفهوم " الطبقة " و مفهوم " الفئة ". إن هذه الملاحظة ناجمة عن ضرورة انتاج مقولات نظرية تسمح بتوصيف دقيق، صارم ومنضبط للبنية الاجتماعية، وكذلك الكشف عن تلك الحلقات الوسيطة بين الحياة الاجتماعية ونمط الانتاج المادي.

وقبل المباشرة في الحديث التفصيلي عن الطبقة الاجتماعية ومحاولة ضبط المفهوم يتعين علينا التأكيد على الملاحظات التالية [1]:

أ. لا يمكن الحديث عن الطبقات الاجتماعية من دون ربطها بفترة تاريخية محددة من تطور نمط الانتاج المادي، الملموس، ومن دون ربطها بنمط انتاج محدد، أي تاريخية وملموسية الطبقات الاجتماعية. إنها، أي الطبقات، ليست بنى نظرية مقطوعة الجذور عن الواقع، إذ أن مقولة (الطبقة)، كتجريدة علمية، تستمد مشروعيتها ومصداقيتها المعرفية من كونها تعكس نمطا من العلاقات الناشئة بين مجموعة محددة من الناس لها اساس مشترك وعناصر مشتركة. يتعين هنا إذن استدعاء مفهوم " نمط الانتاج " كمنطلق للتحليل.

ب. وتعني الملاحظة اعلاه أن الحديث عن الطبقات الاجتماعية وتحديد اشكال العلاقات بينها لا معنى له الا بعد الكشف عن العلاقة بين مفهوم الطبقة ومفهوم نمط الانتاج. يستلزم الحديث، اذن، عن طبقات اجتماعية ضرورة القيام بقراءة فعلية للبنية الاجتماعية، في ديناميكيتها، قراءة خاصة لمجتمع له خصوصيته، التي لا تنطبق عليها بعض المفاهيم النظرية العامة، وبالتالي لابد من القيام بجملة من التوسطات النظرية التي بامكانها أن تفتح الطريق أمام قراءة للواقع وانتاج معرفة نظرية عنه والكشف عن المكونات الفعلية للبنية الاجتماعية (بطبقاتها وفئاتها). إن الطبقات الاجتماعية ليست شيئا جامدا، ثابتا لا يتغير، معطى منذ البداية، بل إنها منتجات للتطور التاريخي الملموس، وانها في الوقت ذاته قواه الديناميكية المحركة دوما.

ج. لا يمكن الحديث عن طبقة أو طبقات متوازية لأن الحديث يجب أن يبدأ بالبنية الطبقية في مجتمع محدد، تلك التي تتكون من ترابط طبقات وفئات اجتماعية مختلفة، تتصارع في مستويات متعددة قائمة في التشكيلة الملموسة. وبالرغم من الانحسار المؤقت لدور العامل الايديولوجي والمساعي المحمومة لتميعه و " اخفائه بقرار " لأسباب معروفة، لا مجال للخوض في تفاصيلها في هذه المساحة، إلا أنه لابد من التأكيد على حقيقة بسيطة جدا ولكنها ضرورية، وهي أن مفهوم "

الطبقات الاجتماعية " لا يمكن فصله عن مفهوم " الصراع الاجتماعي "حتى وإن " خفت " حدة هذا الصراع في السنوات الاخيرة، وإتخذ اشكالا " باهتة " [1].

وينطرح على الفور سؤال مهم : ما هي أهمية هذه الاطروحة في التحليل ؟ أعتقد أن تلك الاهمية تتجلى في ثلاث قضايا :

- الاولى: وهي أنه لا يمكن القيام بتعريف الطبقة الاجتماعية بحد ذاتها، منعزلة، بل يمكن تحديد جوهرها الملموس في ارتباطها الفعلي الوثيق مع الطبقات الاخرى ضمن بنية اجتماعية محددة وتشكيلة ملموسة.
- الثانية : لا يمكن إنجاز مهمة تعريف الطبقة من دون تحديد طبيعة البنية الطبقية في اللحظة الملموسة.
- الثالثة : يتعين ابراز مفهوم الطبقة في حالته الديناميكية، رؤية الطبقة في ارتباطها الوثيق مع الطبقات والفئات الاخرى وفي صراعها معها، أي رؤية هذا التشكل ضمن قانون الوحدة/الصراع.

إن اعادة بناء الاطروحات المنهجية المتعلقة بالطبقة الاجتماعية [1] تمكننا من القول بأن هناك حاجة لمفهوم مركب للطبقة الاجتماعية يأخذ بنظر الاعتبار لحظات اخرى، عدا اللحظة الاقتصادية. فإذا كان تعريف " الطبقات " يتم في اعمال نظرية متنوعة بالنسبة الى موقعها في الحقل الاقتصادي، أي بالنسبة للمكان الذي تشغله في تنظيم الانتاج الاجتماعي محدد تاريخيا، فإننا نستطيع أن نستنتج أن للموقع الاقتصادي دورا رئيسيا في تحديد الطبقة الاجتماعية. ففي هذا المجال تبرز أطروحة ماركس الشهيرة: " ستكون الطبقات الاجتماعية كلمة فارغة إذا لم نعرف العناصر الاقتصادية التي تقوم عليها في المجتمعات المعاصرة مثل : العمل الاجير، رأس المال، التبادل، تقسيم العمل، القيمة، النقد، السعر .....الخ " [1]. ولكن يتعين علينا أن لا ننسى ملاحظة انجلس حول العامل الاقتصادي التي تشكل اطروحة منهجية هامة في هذا المجال ولكن جرى تأويلها بطريقة خاطئة من بعض " العارفين " بالفكر الماركسي أو نقاده. كان أنجلس يتحدث عن العامل الاقتصادي في التاريخ باعتباره المقرر في نهاية المطاف وليس الوحيد. فعلى سبيل المثال إن " تماثل " المداخيل أو الشروط الاقتصادية للوجود أو المعيشة لا يكفي ليجعل من جماعة ما طبقة اجتماعية بالمعنى الدقيق للكلمة، إذ نستطيع القول أن الموقع الاقتصادي غير كاف بحد ذاته لتعريف الطبقة الاجتماعية. ويصبح من الضروري العودة الى اللحظات الاخرى في التحليل، أي الى المواقع ضمن العلاقات الايديولوجية والسياسية للتقسيم الاجتماعي للعمل. نستطيع القول، إذن، أن طبقة اجتماعية معينة تتحدد ضمن اطار تكوين اجتماعي معين استنادا الى موقعها في تقسيم العمل الاجتماعي، أي الذي يضم الحقول السياسية، الايديولوجية، اضافة الى الحقل الاقتصادي. وهذا الموقف ينسجم مع التحديد البنيوي للطبقات، أي الشكل الذي يؤثر فيه التحديد من قبل البنية (علاقات الانتاج، السيطرة/الخضوع السياسي والايديولوجي، على الممارسات الطبقية) على حد تعبير بولنتزاس [64].

فالطبقات الاجتماعية تتحدد جدلياً، إذن، بثلاث لحظات، كما اسلفت سابقا : المستوى الاقتصادي، المستوى السياسي، المستوى الايديولوجي، التي تشكل مصفوفة اسلوب الانتاج المسيطر في التكوين الاجتماعي الملموس، في علاقته ببناء فوقي حقوقي يقوم عليه ويستند إليه، وحيث يلعب المستوى المسيطر في هذه المصفوفة الدور الحاسم في تشكيل ملامح الطبقات في هذه التكوين دون نسيان حقيقة أن المستويات المختلفة للتكوين المذكور تتشابك في وحدة جدلية وتفعل فعلها في أن واحد [65].

إن الطبقات بالمعنى الذي نفهمه من خلال هذا التركيب للاطروحات السابقة، هي كينونات واقعية، فعلية، وليس مجموعات راكدة، أو بنى منطقية فقط. نسميها إذن بالطبقات الاجتماعية، ذلك لأن الفروقات الناشئة بينها تؤثر على مختلف جوانب الحياة. فالطبقات تطور عاداتها وتقاليدها، ووعيها الاجتماعي، وتصوغ (تخلق) نمطها المتميز للمعيشة، كما تقيم تنظيمها السياسي والاشكال الايديولوجية التي يتجلى (يبرز) فيها اختلاف المصالح وتطلعات أعضاء الطبقة.

الآن وبعد أن راكمنا معرفة مكثفة، بإمكاننا أن نسعى الى الاجابة عن سؤال جديد، وهو المرتبط أصلاً باشكاليتنا المطروحة. هذا السؤال مصاغ كما يلي : ما هي الفئة الاجتماعية، وما هي الفروقات بينها وبين الطبقة الاجتماعية ؟

يتعين علينا، في مسعى الاجابة على هذا السؤال، أن نثير العديد من القضايا في هذا المجال، يمكن تلخيصها في ضرورة تحديد :

أ. مضمون الفئة الاجتماعية،
ب. حقل هذا المفهوم، أين ينشط، ماهي حدوده ؟
ج. العلاقة التي ترتبط بها الفئة الاجتماعية تجاه الطبقة،
د. المعيار (أو المعايير) المساعدة في تحديد الفئة الاجتماعية.

بداية، يمكن القول أن مفهوم " الفئة الاجتماعية " يستخدم، في السوسيولوجيا، بمعان مختلفة. وفي مسعانا للبحث عن المعنى العام الذي يختفي وراء هذا المفهوم يمكن القول بأن " الفئة " هي تلك الجماعة من الناس التي هي ليست بطبقة ولا بمجموعة عرقية، بل هي عبارة عن جماعة من الناس تمتاز بتماثل ظروف معيشة اعضائها. غير أن هذا التحديد عام وعرضي وينجم عنه عدة معانٍ. على الغالب، يظهر مصطلح الفئة بعدة معان من بينها ما يلي [67] :

أ. يمكن أن يسمى بالفئة ذلك الجزء المحدد من طبقة، الذي يمكن تميزه على أساس معيار مستوى الدخول (برجوازية كبيرة، متوسطة، صغيرة، ارستقراطية عمالية..... الخ)، أو على أساس معيار حقل النشاط الاقتصادي (برجوازية صناعية، تجارية، عمال زراعيين، عمال صناعيين.... الخ)، أو على أساس

المعيار الاقليمي أو العرقي (يجري الحديث أحيانا عن برجوازية اقليم معين أو عن " فئة " من البرجوازية اليهودية).

ب. يجري الحديث كذلك عن " الفئة " ويقصد بذلك توحّد (اندماج) " أجنحة " محددة تنتمي لطبقات اجتماعية مختلفة تمتاز بتماثل ظروف المعيشة.

ج. واخيراً يمكن أن تسمي بـ " الفئة " تلك الجماعة من الناس التي تظهر كما لو أنها خارج التقسيمات الطبقية الاساسية وتمتاز بمنظومة محددة وواضحة لنمط المعيشة (الانتلجنسيا، " البروليتاريا الرثة ").

يجري تقديم هذه التعريفات باستخدام مصطلحات متنوعة. فعلى سبيل المثال يشار، في بعض الكتابات، الى انعدام نسق System مصطلحاتي فيما يتعلق بهذه التقسيمات، إذ يجري احيانا الحديث عن " أجنحة طبقية "، وأحيانا عن " أجزاء الطبقة "، أو عن " مجموعات طبقية "، أو " شرائح الطبقة " بل وحتى أحياناً عن " طبقات داخل الطبقة " [68].

هكذا إذن يتعين، على الصعيد النظري، الانشغال بالقضية المتعلقة بتنوع أنماط الظواهر التي تسمى بالفئات. ونظرا لإنعدام نسق منضبط، كما جرت الاشارة اليه اعلاه، يتعين بلورة مصطلح قد يساعد في ضبط مفهوم " الفئات الاجتماعية "، وهذا المصطلح هو مصطلح " التمايز الاجتماعي ". هناك بعض البحاثة ممن يرغب في تسمية التمايز الاجتماعي بالفئوية (نسبة الى فئة) وذلك بحسب واحد من المقاييس، أو بحسب أحد الفروق، وبهذه الطريقة يتم تقسيم الجماعات حسب التأهيل، المهارة، الدخول، وتسمى تلك الجماعات (المجموعات) بالفئات. وعلى هذا الاساس يتحدث بعض الباحثين [69] عن ظهور فئات (جماعات)من الناس ذات مهارات متماثلة، أو " فئات دخلية " داخل الطبقة. غير أنه يتعين الاشارة الى أن هذا الطرح غير دقيق من الناحية المنهجية، فمثل هذا التصور لا يفترض، أو على وجه الدقة، لا يجعل من خصائص الوضع الاجتماعي موضوعا لدراسات مستقلة.

هناك قضية أخرى تتعلق بالبحث عن أدوات " تقنيات " أدق لبحث هذا النوع من الفروقات. وإبتداءً يتعين القول أنها ليست قضية سهلة وبسيطة، غير أن التأمل النظري يجب أن يؤدي الى تحقيق مطلب انتاج أدوات كهذه.

إن ظاهرة الانسجام الداخلي والتمييز عن الظواهر الاخرى لا تستنفد ثراء ظواهر أخرى، يجب رؤيتها، ولهذا ومن أجل فهم أشمل وأعمق نقترح العودة الى طرح أخر. مثل هذا الطرح سيعطي دورا أعم للجماعة الاجتماعية- المهنية بإعتبارها مجموعات متقاربة مهنيا، وتمثل تجمعا واعيا للمصالح، نوعا محدداً من المواقف الاجتماعو/سياسية. واذا قبلنا، إبتداءً، بطرح كهذا، وفهم كهذا للفئة فإننا سنطرح التساؤلات التالية :

- أي درجة سيتعين على " الفئات " المفهومة بهذه الصورة أن تتمتع بخاصية الانسجام الداخلي والتمايز عن الفئات الاخرى ؟

- هل يتعين على الفئات أن توجد في علاقة خطية بالنسبة لبعضها البعض ؟
- هل يتوجب على هذه الفئات أن توضع، في مختلف مستويات البنيــة الاجتماعيــة، بشكل متماثل؟

ويمكن تعميق التحليل بصدد التمييز بين مفهوم " الفئة الاجتماعية " و " الطبقة الاجتماعيــة "على أساس موضوعية المعايير، سواء تعلق الامر بالطبقة أو الفئة، ونستطيع أن نقــول إن أحد الفروقات يعتمد على درجة الارتباط بالعملية الانتاجية. ونظرا لأن العلاقات الناشئة بين الطبقات الاجتماعية تنبثق في حقل الانتاج، وإنطلاقا مــن حقيقــة أن الطريقــة الاساســية لحصولها على وسائل المعيشة الضرورية تتمثل بالوجود الدائم في وضع مالك شروط العمل أو العامل الاجير (في الرأسمالية على سبيل المثال) المنفصل عــن شــروط عملــه، فــإن العلاقات هذه تمتاز بالديمومة والثبات، لذا نطلق عليها العلاقات الطبقية، في حين تظهر الى جانب هذه الطبقات بعض المجموعات من الناس، وأثناء مسعاها للحصول علــى الــشروط الاساسية لمعيشتها يمكنها أن تدخل في علاقات قصيرة الاجل وغيــر منتظمــة. إن عــدم الانتظام وقصر المدى هذا يمكّننا من أن نبلور مفهوما يعبر عنه وهو مفهوم " العلاقات شبه الطبقية "، أي أن إرتباط تلك الجماعات التي نسميها بــ " الفئات الاجتماعية ". يرتب مفهوم " العلاقات شبه الطبقية " حقيقة هامة يتعين الاشارة اليها. إنطلاقا من فكرة سابقة طرحتهــا وقوامها أن مفهوم " الطبقة الاجتماعية " لا معنى له دون ربطه بمفهوم " نمط الانتاج "، فإنه يمكننا القول أن الفئات الاجتماعية لا ترتبط بالضرورة بنمط إنتاج محدد إنما تتنوع علاقاتها وترتبط بأنماط انتاجية مختلفة. إن موقعها ضمن التكوين الاجتماعي لا ينتج عن علاقــات الملكية لوسائل الانتاج وشروط العمل، بل ينتج عن خصائص مميزة لحقــول أخــرى فــي التكوين الاجتماعي.

ونستطيع أن نفرز تلك المجموعات الاجتماعية التي تنتمي اليها الفئات الاجتماعية، بإعتبارها تلك التي لا تدخل ضمن مجموعات المنتجين المباشرين، أي أن أعضائها ليــسوا بمــالكين لوسائل الانتاج ولا بشروط العمل، أو حتى لمالكي المنتج المباشر (كما في النظام العبودي)، ولكنهم رغم ذلك " يستحوذون " – عبر قنوات مختلفة – على منتوج العمل الاضافي للمنتج المباشر. لعل هذه الحقيقة تطرح تساؤلا مهما هو : ما الذي يستدعي ذلك ؟ نستطيع القــول أن هناك " ضرورات " متنوعة ذات طبيعة اقتصادية، إجتماعية، بل وحتى سياسية تعود الى أن مالكي وسائل الانتاج وشروط العمل " مضطرون "، لأسباب متنوعة، للتنازل عن جــزء منه الى مجموعات اجتماعية أخرى، تؤدي " وظائف محددة " في عملية إعادة إنتاج التكوين الاجتماعي دون " تعقيدات تذكر ". وارتباطاً بذلك يمكن القــول أن إعــادة إنتــاج الفئــات الاجتماعية مرتبطة شديد الارتباط بالعلاقة بالطبقات الاساس، ولكن ليس حصراً.

سنستخدم هذه المعرفة التي راكمناها، بصدد " الفئة الاجتماعية "، في محاولة لإنتاج معرفة نظرية عن كل من " البرجوازية البيروقراطية " و " البرجوازية الطفيلية ".

لنبدأ، إذن، بالبرجوازية البيروقراطية.

لقد جرت محاولات عديدة [73] لصياغة المفهوم النظري للبرجوازية البيروقراطية في العديد من البلدان. وقد سعت تلك المحاولات لبناء عناصر للتحليل تساهم في الكشف عن " العوامل الموضوعية " التي أدت الى " ميلاد " هذه الفئة الاجتماعية ونموها واتساعها المذهل وسيطرتها، خلال فترات قصيرة، على كامل البناء الاجتماعي في بلدان عدة. ولهذا لن ننشغل في عمل تفصيلي، بل سنحاول تقديم بعض الملاحظات المكثفة التي بامكانها أن تساعد في فهم هذه الفئة والاشكالات المرتبطة بها.

في البلدان التي وصلت فيها البرجوازية الى السلطة يعد " القطاع الحكومي " بطبعه رأسمالية دولة، نوعا من أنواع الملكية الرأسمالية الجماعية، ذلك لأن البرجوازية استخدمت وتستخدم هذا القطاع من أجل خلق القاعدة الاقتصادية لتركيز سلطتها وتطورها كطبقة مستقلة. ومع نمو " المؤسسات العامة " تتضخم أجهزة الدولة وتتعدد الاجهزة الإدارية . وقد اصطلح على هذه المجموعات " الحاكمة " مصطلح البيروقراطية التي تعتبر ظاهرة متميزة في معظم البلدان " النامية ". وتستغل الدواوينية البيروقراطية مركزها في الخدمة والوظيفة لا لإبتزاز المداخيل القانونية بصورة رواتب عالية فحسب، بل وأيضا لإبتزاز المداخيل غير القانونية (الرشوات، العمولات، ..... الخ). ويصبح جهاز الدولة وسيلة هامة لتكوين البرجوازية البيروقراطية، والمقصود هنا تكوين البرجوازية من بيئة الدواوينية المفسدة.

وبمشاركة الدولة في النشاط الانتاجي، واتساع القطاع الحكومي، تنمو القاعدة الاجتماعية لهذه الفئة، بحيث تضم جماعات مهنية متباينة ، كالبيروقراطية والتكنوقراط من ضباط المؤسسة العسكرية وموظفي جهاز الدولة وغيرهم، أولئك الذين يستغلون الامكانيات المتوفرة، في " تطوير " المجالات غير الانتاجية والخدمات ما يؤدي الى تضخم الجهاز الاداري الذي تقبع في قمته اعداد مضطردة النمو من البرجوازية التي تلعب السلطة السياسية دور رأس المال بالنسبة لها بوصفها (أي السلطة السياسية) وسيلة استقطاع جزء كبير من الفائض الاقتصادي، بل وطريقا الى تحقيق تراكم رأسمالي يتيح لهذه الفئة أن تشارك القطاع الخاص بحيث ينشأ تداخل بين مصالحه وبين البرجوازية البيروقراطية، سواء عن طريق مشاريع مشتركة، أو خاصة، أو بواسطة الصفقات والاتفاقات غير المعلنة وغير المشروعة [75]. وتكون النتيجة الطبيعية هي اندماج هذه الفئة، عبر جهازها البيروقراطي، مع الرأسمال الخاص، ويحدث " عقد قران " طبقي من نوع جديد، وتتم عملية " طبيعية " للتركز الرأسمالي.

في البلدان التي توجد فيها علاقات رأسمالية متطورة نسبيا تستعمل عادة الدخول العالية لكبار موظفي الدولة وكبار العسكريين والفئات العليا من الاختصاصيين الفنيين، أي تلك الفئات التي تحتل مركز القيادة واتخاذ القرارات في الدولة ومواقع الانتاج وتحصل على دخولها من خلال الدورة الثانية لتوزيع الدخل القومي، تستعمل دخولها عادة على شكل توظيفات رأسمالية مباشرة في قطاع التداول وفي فروع مختلفة من الانتاج المادي. وبفضل توفر الشروط الاجتماعو/اقتصادية، يتحول رأس المال البيروقراطي الى رأسمال تجاري

وصناعي [76]. وهكذا من ثم توجد امكانية موضوعية، في ظروف تاريخية محددة، لنشأة رأسمالية بيروقراطية تتحد مع رأس المال الطفيلي الكبير وتحدد مصائر تطور البلد المعين.
إن استكمال مظاهر السلطة السياسية في " البلدان النامية " لا يتم عادة إلا من خلال السيطرة على الجهاز البيروقراطي وضمان ولائه وانقياده لمتطلبات النظام السائد في البلاد، وبالتالي فإن البيروقراطيين يحتلون عموما مواقع استراتيجية تؤهلهم للاستئثار بقدر متعاظم من السلطات والنفوذ السياسي.

ومن دون الدخول في التفاصيل، يمكن القول إن البرجوازية البيروقراطية في الكثير من " البلدان النامية " مارست وتمارس هيمنة واضحة على بقية " الشرائح " البرجوازية بحيث يمكن عدها التشكل الطبقي الاكثر وضوحا في تلك البلدان، وان شهدت السنوات الاخيرة تغيرات عديدة تحتاج الى دراسات تفصيلية وملموسة لتبيان طبيعتها. وكما تشير التجربة التاريخية فإن البرجوازية البيروقراطية حاولت وتحاول ممارسة السلطة والحكم على أنها قوة فوق الطبقات وبعيدة عن الصراعات الناشئة بين البنية الاجتماعية، وتحكمها لصالح المجتمع، بينما هي في واقع الحال تحكم لمصلحة الطبقة المسيطرة (أو الائتلاف المهيمن)، للحفاظ على وتوطيد علاقات الانتاج الرأسمالية. غير أن تحررها من الارتباط العضوي بأي من " الاجنحة " المتعددة للبرجوازية، يتيح لها استخدام " أكثر دهاءً " ويمكنها من القدرة على المناورة على صعيد داخلي وحتى على صعيد خارجي. إن هذه الميزة للبرجوازية البيروقراطية وقدرتها على التصرف بمرونة كبيرة دفعت بعض الباحثين [78] الى اعتبارها " طبقة مستقلة ".

استنادا الى الملاحظات التي تبلورت، حتى الان، حول مفاهيم " الطبقة " أو " الفئة " نستطيع أن نستنتج بأن البرجوازية البيروقراطية لا تشكل طبقة مستقلة بالمعنى العلمي. فمن المعلوم أن الطبقة لا تتحدد فقط بالمشاركة في انتاج وتوزيع الدخل القومي، بل تتحدد كذلك بدور مستقل في البنية الاجتماعية، وبجذور راسخة في اسس المجتمع الاقتصادية، كما أن كل طبقة تبلور اشكالها الخاصة في الملكية. في حين نلاحظ أن البيروقراطية لا تملك أيا من هذه الملامح الاجتماعية وليس لها موقع مستقل في صيرورة الانتاج والتوزيع، ولا جذور مستقلة في الملكية. فوحدتها لا تستند الى دورها في الانتاج وعلاقتها بوسائل الانتاج، وإنما الى وظيفتها الادارية التي تستمد امتيازاتها منها. أما وظائفها فعائدة الى جوهرها، الى التقنية السياسية للسيطرة الطبقية. إن حضور البيروقراطية، مع اعتبار كل الاختلافات في اشكالها، ومع اعتبار وزنها النوعي الخاص، يطبع كل نظام طبقي، وليس قوتها، سوى انعكاس لواقع طبقي محدد، فالبيروقراطية التي ترتبط بشكل وثيق للغاية بالطبقة المسيطرة اقتصاديا، تتغذى بجذور هذه الطبقة الاجتماعية، وتبقى ببقائها، وتسقط بسقوطها. إنها تأمر وتحكم وتدير وتوزع، لكنها لا تخلق (بعكس كل طبقة مسيطرة) أساساً اجتماعيا لسيطرتها (بشكل شروط خاصة للملكية).

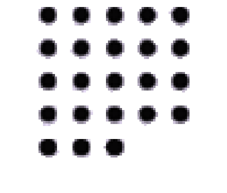
إن ما يميز " البرجوازية البيروقراطية " هو علاقاتها النوعية بالسلطة كمؤسسة وانتمائها الى جهاز الدولة. إنها كما يقول (بولنتزاس) نتاج لعلاقة الدولة بالبنية الاقتصادية من ناحية

وبالطبقات واقسامها المختلفة من ناحية اخرى. إن ما يسمى بالسلطة البيروقراطية ليس في الحقيقة الا ممارسة الدولة لوظائفها، ويتطابق اداء البيروقراطية، في التحليل النهائي، مع المصلحة السياسية للطبقة المهيمنة، وذلك عبر العلاقة المعقدة بين الدولة والسلطة السياسية للطبقة المهيمنة وليس من خلال الانتماءات الطبقية للبيروقراطية. وهذا يتضح في الحالة التي تكون الطبقة التي بيدها مقاليد السلطة غير الطبقة المهيمنة، عندئذ تمارس البيروقراطية السلطة لحساب الطبقة المهيمنة. ومن هنا يتضح خطأ المقاربات التي تؤسس علاقة البيروقراطية بالسلطة السياسية للطبقة المهيمنة على وحدة انتماءاتها الطبقية فنتجت عن علاقات القرابة والمصاهرة التي تربط عناصر البيروقراطية العليا بأعضاء الطبقة المهيمنة. إن هذه العلاقات يمكن ادماجها في التحليل باعتبارها علاقات ناجمة عن مصالح مادية وتنشأ على هذا الاساس وليس على أساس علاقات " مصاهرة أو قرابة " فقط [81].

إن البرجوازية البيروقراطية تتزايد وتتجدد بفضل تراتب اداري، وتأتي امتيازاتها من استغلال " القطاع الحكومي " لا من علاقات انتاج محددة. إن الرأسمال البيروقراطي لا يستمد موارده الرأسمالية من المؤسسات الصناعية والتجارية مباشرة وإنما يستحوذ على فائض القيمة الاجتماعي (العائد للمجتمع ككل). إن هذا الواقع يفسر كيف أن مؤسسات الرأسمالية البيروقراطية تسجل خسائر كبيرة في كثير من الاحيان ولكن البرجوازية البيروقراطية، برغم ذلك تزداد ثراءً !.

ومن جهة اخرى لا تتوقف الوظيفة الخاصة للبيروقراطية كفئة اجتماعية على طبيعة انتماءاتها الطبقية، أو على النشاط السياسي للطبقات التي خرجت من صفوفها، وإنما تتحدد هذه الوظيفة بالدور الملموس الذي يلعبه جهاز الدولة داخل التكوين الاجتماعي ككل وعلاقاته المعقدة بطبقاته. وهذا بالتحديد هو ما يفسر لنا وحدة البيروقراطية وتماسكها بالرغم من اختلاف وتباين منابعها الطبقية، وكذلك لا يمكننا ارجاع هذه الوحدة الى وحدة الطبقة التي بيدها سلطة الدولة.

إن المعيار الذي يحدد انتماء الفرد الى هذه الفئة ليس حجم دخله ولا موقعه أو منصبه، وإنما في الاساس، مدى نفوذه في اتخاذ القرار السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، أي دوره في عملية اعادة الانتاج الاجتماعي. إن البرجوازية البيروقراطية لا تمتلك وسائل الانتاج، إلا أنها بحكم مواقعها تمتلك امكانية التحكم في الانتاج ذاته، كما أنها تسيطر على وسائل الانتاج ليس بالملكية وإنما بالحيازة. وفي ظروف الافتقار الى أبسط قواعد الرقابة وضعف أو إنعدام وجود مؤسسات ديمقراطية تستطيع البرجوازية البيروقراطية أن تمتلك حرية التصرف المطلق بالفائض الاقتصادي العائد للمجتمع. ومن جانب أخر فإن علاقات القرابة والمصاهرة المتشابكة مع " قادة السلطة " تكفل لهم الحماية والاستقرار، وتؤمن لهم حرية التحرك " بدون رقيب أو حسيب في اعمالهم ".



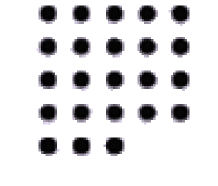
ومن جهة اخرى يمكن القول إن دخول البرجوازية البيروقراطية، في شـروط معينـة مـن تطورها التاريخي، في تناقض مع الطبقات المسيطرة في البلدان الراسمالية المتقدمة، لا ينفي وجود علاقة التبعية التي تربطها بها، ولا يدل هذا على أن قطع هذه العلاقـة هـو منطـق صيرورتها الطبقية، حتى وان توفرت عندها – افتراضاً – الارادة الطبقية للقيام بـذلك، لأن تحقيق ذلك يستلزم بالضرورة تحويلاً جذريا في بنية علاقات الانتاج وبالتالي قلبـاً جـذريا لعلاقات الهيمنة/التبعية، وهذا غير ممكن لهذه الفئة [85].
لننتقل الأن الى " البرجوازية الطفيلية " في محاولة للإجابة على سـؤال مهـم هـو مـدى مشروعية هذا المفهوم أولاً ؟

شهدت العقود الأخيرة كثرة الحديث عن " الطفيلية " وعن "البرجوازية الطفيلية " و " الانشطة الطفيلية "، حتى لقد أصبحت هذه التعبيرات والمصطلحات أكثر التعبيرات شيوعا وإنتـشاراً في القاموس السياسي [86].

هل أن مفهوم "البرجوازية الطفيلية " يرتقي الى المفهوم العلمي الذي يمكن تبنيه فـي فهـم وتحليل الاوضاع الإقتصادية والإجتماعية الراهنة أم هو مفهوم دعائي، لا ينفذ الى جـوهر الظـواهر العينيـة ولا يـصلح أن يكـون أداة تحليليـة سـليمية لتـشخيص الواقـع الاجتماعو/الاقتصادي الراهن.
إن الارتكان الى هذا المفهوم السهل الشائع قد يدفعنا الى قبول توصيف سـطحي للظـواهر السائدة، دون القيام بعمليات " التمحيص العلمي " والتأمل النظري الواجب للمفاهيم المجـردة وعلاقاتها بالظواهر والوقائع العينية المجسدة. وتطرح هذه الملاحظة عدة اسئلة من قبيل: هل اصبحت هذه الفئة جزءا مكونا من بنية طبقية محددة أم أنها مجرد أنشطة وممارسات سياسية واقتصادية وايديولوجية ؟ هل هي شريك في السلطة وما هي حدود هذه الشراكة، وهل يمكن لها أن تهيمن على السلطة ؟ والسؤال الصعب – هل هناك نمط انتاج طفيلي كي نقول أن هذه الفئة لها سند قوي في قوى إنتاجية، ومن ثم تصبح مهيمنة ؟.

في مسعى الاجابة عن هذه الاسئلة، وغيرها، شهدت العقود الثلاثة الاخيرة جدلاً خصباً وثريا لتدقيق هذا المفهوم والتأكد من شرعيته، أو عدمها. وبدون الدخول في التفاصيل يمكن القول أن هناك إتجاهين رئيسيين في المناقشة هما [88] :

الإتجاه الأول، وهو الاتجاه الرافض لإستخدام مفهوم البرجوازية الطفيلية، ويعتقد أنـه غيـر شرعي من الناحية العلمية. فهناك من الباحثين [89] من يعتقد بأن هذا التعبير (الطفيليـة) هـو

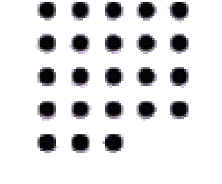


تعبير هلامي، ولهذا فإن الباحثين الذين أنتجوا واستخدموا مفهوم (الطفيلية) كانوا مضطرين الى إضافة جملة من الاستدراكات والتحفظات على تحديداتهم. ولهذا يتساءل هؤلاء عن معنى " الطفيلية "، وهل تشمل نشاطا دون آخر، أو بتعبير أدق هل تعني النشاط الذي لا يساهم في عمليات الإنتاج المادي ؟ وإضافة لذلك هل " الطفيلية " وصف لفئة دون أخرى ؟. ولهذا نراهم يعترضون على تعبير (الطفيلية) لأن المطلوب، بحسب هؤلاء، هو توصيف سمات التطور الرأسمالي في " العالم الثالث " في ظرف مثل هذا وليس صفات الطبقة نفسها. إذا سلمنا بأن البرجوازية تنطلق من تحقيق أقصى ربح ممكن من خلال نشاطها، وإذا كان الإطار العام للنشاط الاقتصادي في بلد ما يجعل من المقاولة، على سبيل المثال، النشاط الأكثر ربحية، اليس هذا النشاط عقلانيا من وجهة نظر البرجوازية ؟ وبالتالي ينطرح تساؤل أخر : من هو الطفيلي ؟ أهو إطار النشاط العام الذي يشترط كل المجتمع عمليا في ظل التبعية ؟ أم هو طبقة معينة ضمن الطبقات الأخرى ؟ [91].

الإتجاه الثاني، وهو الاتجاه الذي يعتقد بمشروعية استخدام هذا المفهوم، كأداة تحليلية، لتوصيف التطور الملموس لفئة اجتماعية محددة وبروزها في البنية الاجتماعية في بلدان عديدة، وتوسع نشاطها ومسعاها للسيطرة على توجيه الاقتصاد والسياسة في هذه البلدان. وينطلق هذا الإتجاه من حقيقة أن ملاحظة الواقع وكذلك من الدراسات التي أجريت في بلدان عدة تبين أن هناك نمواً سريعاً ومتعاظماً لفئة اجتماعية، تقدر ثرواتها بأرقام " فلكية " ومن دون أن يكون لهذه الثروات وجود مادي ملموس في أصول إنتاجية. ومن بين العوامل التي ساعدت على هذا النمو السريع لهذه الفئات يشار الى إرتباطها بالفساد في قمة السلطة وإختراقها لأجهزة الدولة و " القطاع الحكومي " وتمكنها بالفساد والإفساد أن تسخّر موارد الاقتصاد العينية والمالية لخدمتها وتحقيق ثرائها، إضافة الى الإستفادة من الإختلالات في الاقتصاد وانتشار المضاربات والتهرب من الضرائب الجمركية والضرائب على الدخول. وقد تمكنت هذه الفئات بحكم نفوذها السياسي المتزايد من ناحية، وبفضل ثرائها الاسطوري المتزايد، وسيطرتها على بعض أوجه النشاط الاقتصادي من ناحية أخرى أن تهيمن على المفاصل الاساسية للإقتصاد والمجتمع في العديد من البلدان.

وبهدف تعميق المعرفة بالظاهرة الطفيلية في الاقتصاد يلح أنصار هذا الاتجاه على ضرورة التفرقة بين مفاهيم عديدة، الأول ما يمكن تسميته بـ " الأنشطة الطفيلية " والثاني ما يمكن تسميته بـ " الدخول الطفيلية " والثالث ما يمكن تسميته بـ " عناصر وفئات الرأسمالية الطفيلية ".

ويجري تعريف " النشاط الطفيلي " على أنه " نشاط ناقل للثروة ومجاله الاساسي التبادل.... فهو نشاط غير منتج للثروة أو القيمة، وممارسته تتم في المقام الاول خارج الانتاج " [94]. إن مصطلح " الأنشطة الطفيلية " يعد مفهوما أعم وأوسع، ويغطي عددا من الأنشطة الاقتصاديات



والممارسات الاجتماعية التي ينخرط فيها أقسام واسعة من الناس علـى اخـتلاف مـواقعهم الاجتماعية.

أما " الدخول الطفيلية " فتعرف على أنها تلك الدخول التي تتولد " .... من اعمال وساطة في معاملات يكون طرفها القطاع العام من جانب والقطاع الخاص من جانب آخر، فقـد يكـون طرفها الأخر مؤسسة أجنبية في الخارج تتعامل مع القطاع عن طريق هذه الوسـاطة ..... وقد تنشأ هذه الدخول عن اعمال (مقاولات الباطن) التي يعهد بها القطاع العام الى القطـاع الخاص " [95].

وحين يجري الحديث عن " الرأسمالية الطفيلية " فيجب تركيز الانتباه وبذل جهود أكبر لجهة تمحيص واختيار هذا المفهوم وماذا يقصد به تحديدا. ويجري التساؤل حول هل برزت فئـة رأسمالية جديدة ومتميزة عن كافة الفئات والشرائح الرأسمالية التقليديـة المتعـارف عليهـا بالتصنيفات الطبقية (رأسمالية زراعية، رأسمالية تجارية، رأسمالية صناعية .... الخ) أم أن مصطلح " الرأسمالية الطفيلية " هو تسمية جديدة لفئات رأسمالية قديمة نعرفها جيدا ونتعايش معها منذ فترة غير وجيزة.

وإذا تم توصيف " الرأسمالية الطفيلية " على أنها فئة لها خصائصها التكوينيـة والتـشريحية المتميزة، يبرز على الفور سؤال اخر : هل هذه الفئة (الرأسمالية الطفيلية)هي الفئة المسيطرة (أو المهيمنة) على الاقتصاد والمجتمع أم لا ؟، إذ كما تشير التجربة فقد توجد وتتبلور فـي المجتمع فئات " رأسمالية طفيلية " يمكن رؤيتها بالعين المجردة، دون حاجة لمجهر، ولكن قد تظل فئات هامشية (غير مركزية) في تبيان مجمل التشكيل الاجتماعي القائم. عندها ينطـرح تساؤل أخر : أين توجد " الرأسمالية الطفيلية " بالدقة ؟ هل هي تقع خارج " العملية الانتاجية " ؟ وما هي حدود هذه العملية ؟

في مسعى الاجابة عن هذه الأسئلة يمكن القول إن المجال الرئيس لنشاط " الرأسمالية الطفيلية " يكمن في مجال التداول وليس في مجال الانتاج وخلق القيم. إن الأنشطة والدخول الطفيلية لا ترتبط بالعملية الانتاجية، وإنما ترتبط بعمليات الوساطة والتوزيع والتداول. ويعني ذلك أن الارباح التي تجنيها " البرجوازية الطفيلية " ناتجة عن نشاط لا يضيف شيئاً الـى الانتـاج، ويجب أن لا نخلط بين هذه وبين التجارة. التجارة هي القيام بوظيفة محددة، ولكـن هنـاك أنشطة طفيلية بمعنى أنها لا تضيف شيئا الى عملية الانتاج والتوزيع ولا تقوم بـأي وظيفـة اقتصادية [96]. وهذا يستحث بدوره ضرورة تعريف " العمل المنتج " و " العمل غير المنـتج " من وجهة نظر تطور المجتمع والجماعة في لحظة تاريخية من تطورها، وقد قمت بتنـاول هذه الاشكالية بشكل تفصيلي في عمل أخر [97] وبالتالي لن ندخل في تفاصيل ذلك.

يتخذ رأس المال العامل في المجالات التي تنشط فيها الرأسمالية الطفيلية سمات محددة، ويقوم على استغلال النفوذ والفساد، وإستخدام قوى " غير اقتصادية " في التعامل وتحقيق الـدخول والارباح الطائلة، ويهيمن عليه طابع المضاربة الواسعة. ويلاحظ أن هناك درجة عالية مـن

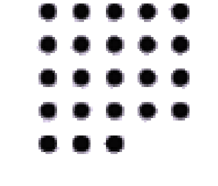
السيولة في حركة رأس المال التجاري والمضارباتي، إذ ينتقل أصـــحاب رؤوس الامـــوال الطفيلية من نشاط الى اخر بسرعة شديدة سعيا، وراء أعلى ربح ممكن وأعلى معدل سرعة لدورة رأس المال، وهنا ظهر مصطلح " الارانب " في مصر للتدليل على هذا الثراء السريع لاعضاء هذه المجموعات والذي تنامي بمتوالية هندسية !. وثمة ظاهرة متميزة يجب ابرازها وهي " السيولة البالغة " التي تنتقل بها بعض العناصر من مراتب " البروليتاريا الرثة " الـــى مراتب الرأسمالية الطفيلية. ويلاحظ كذلك أن الدخول والثروات الطفيلية لا تتولد عادة مـــن خلال الاساليب " المألوفة " في المجتمعات المتقدمة، بل هي تقـــوم علـــى عمليـــات للنهـــب والاغتصاب المنظم الذي تقوم به عناصر ومجموعات منظمة هي أشبه ما تكـــون بعناصـــر المافيا التقليدية.

وهكذا يمكن الاستنتاج بأن الفئات الرأسمالية الطفيلية يمكن أن تكون حلقة وصل بين أقـــسام مهمة من رأس المال الدولي في الخارج، وبين عمليات تفكيك وتـــصفية ركـــائز العمليـــات الانتاجية وانتشار الفساد الاقتصادي الواسع وقيم السلب والنهب في الداخل. ومن جهة أخرى يتعين التأكيد على أن الطفيلية ليست ظاهرة قاصرة على القطاع الخاص أو النشاط الخاص، بل إنها تمتد الى القطاع الاقتصادي للدولة، ويعني ذلك أن الطفيلية مرتبطة بالشرائح المختلفة للبرجوازية. كما يمكن الحديث عن نمو " الطفيلية " من خلال القطاع العسكري، وخاصة في البلدان التي تتمتع بموارد اقتصادية كبيرة وتجنح نحو بناء قدرات عسكرية " غير عادية " !. ولهذا يجري التأكيد على أن ثمة برجوازية طفيلية، وهذا لا يشمل كل البرجوازية. كما أنـــه ليس حكما اخلاقيا، بل إنه نابع من التأمل العميق في طبيعة الفئات، التي بدأت خلال السنوات الاخيرة تحتل " مواقع ريادية " في هرمية التشكيل الاجتماعي، ولكن خاصيتها الأساسية ليس المساهمة في تحقيق التراكم الرأسمالي المطلوب وبالتالي تقدم المجتمع، بل إنهـــا، ببـــساطة، تعيش عالة عليه وتمتص ثرواته وتستنزف قواه الانتاجية.

المبحث الرابع

الاصول الاجتماعية والجذور الطبقية للسلطة السائدة في العراق
خلال الفترة (1968- 2003)
المنطقي والتاريخي – جدل أم اختلاف ؟

ها نحن، إذن، ننتقل الى الملموس، الى تحليل اشكاليات نشوء وتطور الائتلاف الـــسائد فـــي بلادنا خلال المدة 1968- 2003 وطبيعة تكوينه وقواه المحركة. لذا تأتي هـــذه الفقـــرة كمحاولة لمقاربة القوى المسيطرة على السلطة خلال هذه الفترة، بحيث يمكن فهم جـــذورها، وبالتالي تدقيق تسمياتها المختلفة. وهذا يستلزم طرح جملة من الاسئلة من بينها واهمها: مـــا هي طبيعة السلطة التي سادت في السنوات الاخيرة قبل انهيارها ؟ وهل كانـــت اســـتمراراً مباشراً للمرحلة التي سبقت اجتياح قوات النظام السابق للكويت ؟ أم أن هناك اختلافـــا فـــي ممارساتها السياسية والاقتصادية والايديولوجية ؟ وإذا وجد هذا الاختلاف فما هي حدوده وما هي دلالاته ؟



بداية، يتعين التأكيد على أن الخطاب السياسي/الاقتصادي للعديد من القوى والاحزاب السياسية العراقية كان يعج بتوصيفات من قبيل : البيروقراطية، الطفيلية، دكتاتورية فاشية، رأسمالية الدولة البيروقراطية، الطغمة الحاكمة..... الخ. وعلى الرغم من أهمية هذه المفاهيم كأدوات تحليلية لتوصيف جوانب من السلطة السائدة، غير أن هذا الاشكال ظل يكمن في أن العديد من هذه التحاليل لم يتقدم الى الامام وفي العمق، بل أن بعض المفاهيم استخدم ليس لإنتاج معرفة صادقة بالتشكيل الذي كان سائدا، بل كانت كأدوات تجريم وإدانة أخلاقية، ومن دون محاولة جادة لإعمال العقل في مسعى لتجاوز هذه الحالة والبدء في تحديد الاليات و " الملابسات التاريخية " التي سمحت بنشوء وتغلغل الانشطة والفئات البرجوازية البيروقراطية والطفيلية في الحياة الإجتما-اقتصادية خلال العقود الأخيرة. ويتعين الاتفاق مع الاطروحة القائلة بأن " هناك أدب سوسيو/اقتصادي مزدهر، لكنه لم يقدم معرفتنا، إذ لا تزال في إطار وصف الواقع المعاش، ولم نتقدم إلا قليلاً نحو تحليل وتفسير وتنظير هذا الواقع "[99]. ولهذا يتعين تجاوز إعادة إنتاج خطاب تأملي مستهلك حول هذه الفئات يسعى الى صياغة مقولات وصفية ويبتعد عن أي تحليل ملموس للوضع الملموس.

جرت الاشارة في مكان أخر من الدراسة الى أن الحديث عن السلطة السياسية في مستواه الاكثر تركيزا هو حديث عن الدولة بوصفها التجسيد الرسمي للسلطة السياسية. وستكون هذه الاطروحة بمثابة المنطلق ذلك لأن الحديث عن الدولة وطبيعتها سيكشف لنا طبيعة التشابك مع الفئات موضوع البحث.

تاريخيا، ولأسباب متنوعة لا مجال للدخول في تفاصيلها " الملتبسة "، هيمنت الدولة في العراق على المجتمع المدني. غير أن هذه الهيمنة اتخذت صيغتها الصارخة بسيطرة الإئتلاف العسكري/الحزبي الذي جاء الى السلطة في 17/تموز/1968. ولأسباب تاريخية/سياسية معروفة أيضا، إنتهت هذه الهيمنة بسيطرة العائلة الحاكمة على كل شيء. ويمكن اختصار هذه " المفارقات التاريخية " بما يلي :

- الصراع بين الدولة تبتلع والمجتمع المدني يؤدي ابتلاع الدولة لهذا المجتمع في المرحلة الاولى،
- في مرحلة ثانية، وعبر سلسة من العمليات يتنامى وبشكل متعاظم دور الحزب الحاكم موظفا الريوع البترولية ليهيمن ويقوم بابتلاع الدولة،
- ثم تحدث سلسلة من التمايزات داخل الحزب الحاكم، تكون معظمها ممهورة بالدم، فتؤدي الى بروز العائلة/العشيرة لتبتلع الدولة والحزب معا.

ولفهم هذه " المفارقات " لابد من تتبع التطور التاريخي لعمليات التمايز التي حدثت في النظام السابق منذ 17 تموز 1968.

لبناء أسس السلطة الجديدة، التي ولدت بعملية ملتبسة وتحالف تلاحقه اسئلة حارقة، ولضمان إعادة إنتاج سيطرته، على مختلف الصعد، لجأ الإئتلاف الطبقي/السياسي الجديد وبعد ان

صفى شركاءه في 1968/7/30، الى الإستيلاء السريع على المفاصل الأساسية لسلطة الدولة وأجهزتها المختلفة، مبتدأ بتأمين السيطرة الاقتصادية وشروطها عبر الهيمنة على الحقول الاساسية لانتاج الثروة وتحديدا القطاع النفطي، وإستخدام هذه العناصر، وأساسا الريوع النفطية، كأداة لـ " توليد " الفئات الجديدة التي ارتكز عليها فيما بعد لبناء " السلطة الجديدة ". غير إن السيطرة الاقتصادية لم تكن كافية لإعادة إنتاج السلطة الجديدة في حينها، بل إن ذلك تطلب تعزيز هذه السيطرة بإحكام القبضة على مواقع إعادة إنتاج السيطرة السياسية والايديولوجية واحكام الهيمنة على " طابقي القمع والايديولوجيا " في البناء الفوقي الجديد الذي كان يشهد مخاضات وصراع عديدة، بعضها خفي وبعضها مكشوف ولكنها كانت غالبا ممهورة بالدم.

وأثناء عملية بلورة شروط وعناصر الهيمنة الطبقية بتجلياتها الاقتصادية والسياسية والايديولوجية، كانت تجري عملية استقطاب وتركز عالية الحدة وتمازج بين الارغام الاقتصادي والعنف المادي واللفظي، والاشكال " الاعتيادية " لتحقيق هيمنة الائتلاف الجديد، الطامح لتذويب الجميع في " بوتقة واحدة ". فعلى المستوى السياسي بدأت كل العلائم تشير الى جنوح طاغ لدى " السلطة الجديدة " لضمان سيطرة الحزب الواحد على مقاليد الحياة الاجتماعية بكل ابعادها وفروعها، بدون منازع، وخلق حالة من الوعي المفوت بأهمية وضرورة حزب واحد ووحيد، الى حد الاعلان عن دور قيادي للحزب الحاكم بنص دستوري . وبموازاة الجنوح نحو احادية حزبية صارخة كانت تجري عملية اخرى بالغة التعقيد داخل " الائتلاف المسيطر " تسعى لضمان تركز للسلطة وحصر عملية اتخاذ القرار في أيدي جماعة قرابية من منطقة جغرافية واحدة (بل وحتى من قرية واحدة !). ويتعين التأكيد على أن هذه السيرورات لم تتم بدفعة واحدة، بل شهدت مراحل عدة، كما أنها كانت معمدة، كإتجاه عام، بالعنف بشكل أساسي. يشير الباحث فالح عبد الجبار الى أن هذه العملية مرت، تقريبا، بثلاثة أطوار [103]:

1. الطور الأول ويمتد من لحظة سيطرة هذا الائتلاف في عام 1968 وحتى عام 1973. وعلى الرغم من عدم إشارته الى المعيار الذي اعتمده للتحقيب، الا أنه يشير الى أن هذه المرحلة يمكن تسميتها بمرحلة التشارك، وتمتاز بسيطرة الحزب، وبتنازع بين العسكريين والمدنيين إنتهى بفرض السيطرة المدنية على المؤسسة العسكرية بهدف قطع الطريق على أية محاولة انقلابية لاحقاً، وخلق جيل جديد من العسكريين في إطار ما سمي ّ بالجيش العقائدي.
2. الطور الثاني ويشمل المدة 1973-1979 ويمثل مرحلة نمو السيطرة القرابية بلا منازع وخلق مجموعة من التشابكات الجديدة.
3. الطور الثالث ويشمل المدة التي تلت سيطرة رئيس النظام السابق صدام حسين على السلطة في عام 1979، حيث تم حسم الأمور لصالح أحادية مطلقة، ويسمي هذه المرحلة بمرحلة نمو السيطرة العائلية (وأشقاء

الرئيس، أبنائه، أبناء عمومته) كنواة للقيادة الجماعية. في هذه المرحلـة، وكما يشير الباحث زهير الجزائري بصواب [105] تصبح قرابة الدم المتراس الامني أمام قرابة العقيدة. نحن هنا شهود تضاءل دور الحزب ككيان سياسي محدد ويتشـضى ويـضمحل دوره لصالح توطد مواقع القرابة، التي تصبح قادرة علـى الـصياح بأعلى صوتها – إنها الحزب !!. تشهد هذه الفترة إعادة هيكلـة للمناصب الامنية الحساسة بين أقرباء الدرجة الاولى والثانيـة، وفي فترة لاحقة جرى تعزيز وترسيخ العلاقات العائليـة فـي السلطة بسلسلة من الزيجات، وبهذا نـشأت تحالفـات جديـدة واتسعت دائرة الماسكين بالسلطة أفقيا ولكن الجميـع يـضمنون الولاء لرأس واحد ، للأب الرئيس – عم الجميع !.

هكذا، إذن، نحن شهود عملية أو مشهد رباعي الابعاد :

- هيمنة متعاظمة للحزب على الدولة،
- تمركز مفاصل السلطة الاساسية بيد الجماعة القرابية الاوسع،
- تمركز القرار بين النخبة العائلية،
- هيمنة كل مفاصل صناعة القرارات السياسية الكبرى وتوزيـع الثـروة وصناعة الموت بيد رئيس كلي القدرة والجبروت !.

قادت عمليات التركز والهيمنة العمودية الى " التحام " شديد البلاغة بـين نظـام الحزب الواحد ونظام الاسرة الواحدة. وقد افضى ذلك الى نتيجة بالغة الاهميـة والدلالة تمثلت بإندماج التمركز/التراتب البطرياركي، وهو ما شـجعته " نخبـة السلطة "، وذلك لأن مثل هذا الاندماج يضفي عليها تماسكا شديدا ويكسبها قـوة استثنائية تحتاجها وبشكل دائم لضمان اعادة انتاج سيطرتها من دون عوائق. كما أن هذا الاندماج كان ضروريا، على مـا يبـدو، لتعـويض تقلـيص القاعـدة الاجتماعية عن طريق توسيع قاعدة الحزب والترويج لإيديولوجيا شعبوية تساهم في خلق ولاءات أوسع [106].

إن التراتب البيروقراطي يتوطد ويتطور بمقدار توطد سلطة " دولة الإستثناء "، وذلك لأن نظام معادي للديمقراطية يعتبر شرطا ضروريا لضمان انتزاع الجزء الاكبر من " الكعكة " الاتي معظمها من الريوع النفطية. لذلك نرى هذا التراتب غير ميال الى ترسيخ أي " تقاليد ليبرالية ". تدرك البرجوازية البيروقراطية بأن علاقاتها بشروط الانتاج المادي رهن بالموقع الذي تحتله في الدولة، لهذا نراهـا حريصة على " الاحتفاظ " بتماسك السلطة بالقدر الذي يسمح لها بمواصلة عملية النهب المنظم للفائض الاقتصادي، وحريـصة علـى اعـادة انتـاج التـشكيلة الاقتصادية/الاجتماعية وضمان التوازنات الطبقية السائدة. ويتعين التأكيد على أن تنامي البرجوازية البيروقراطية وتحولها، في مرحلة محددة، الى فئة مهيمنة في الائتلاف السائد خلال الفترة موضوعة الدراسة، لا يعود فقط الى التنامي الكبير في الوظائف الاقتصادية/الاجتماعية التي باتت تؤديها الدولة في العراق، وإنمـا

يعود أيضا الى عوامل أخرى ترتبط بطبيعة وتركيب الحزب الحاكم أنذاك واستراتيجاته التي اختارها لتحويل البلاد. فاتجاه هذا الحزب الى فرض سلطاته من الاعلى وممارسة القمع على نطاق واسع واشاعة الروح العسكرية مقرونة بالديماغوجيا استحث ضرورة خلق الأجهـــزة " الضرورية " لإنجاز هذه " التحولات ". وقد أدى ذلك الى توسيع كبير فـــي أجهـــزة القمـــع والمؤسسة العسكرية والإدارة والأجهزة الايديولوجية، هذا الى جانـــب التوســـع فـــي الإدارة الاقتصادية [107].

ولكن يتعين الانتباه الى خصائص نمو البرجوازية البيروقراطية التي تحمل، على الاقل فـــي قشرتها العليا، ملامح العشائرية–الاقليمية–الطائفية من جهة، وأن مراكزها الوظيفية محكومة بعلاقاتها الحزبية. وبنتيجة أن عملية اعادة انتاج النظام كانت، في الحالات العادية، تمر عبر تصفيات متواصلة، فقد شهدت هذه الفئة تحولات " راديكالية " في بنيتها، وبدت تتخذ طابعـــا عشائرياً (من عشيرة واحدة)، وأصبح تماسكها الداخلي يقوم على رابطة القرابة وأواصر الدم بدلاً من رابطة الانتماء الاقتصادي والحزبي، الذي كان ضرورياً في المراحل الاولى. ولكن لا ينبغي استخلاص استنتاج خاطئ يقوم على فرضية وجود قطيعة بـــين التحليـــل الطبقـــي والتحليل المستند على مدخل " القرابة/المصاهرة ". إذ يمكن عد هـــذه العلاقـــات (القرابـــة، المصاهرة)، التي تنسج هنا، كعلاقات طبقية لأنها تقوم على أسس مادية وتـــستخدم لتعزيـــز السيطرة والنفوذ المتعدد الصعد.
هكذا، إذن، فإن رأسمال " القطاع الحكومي " الـــذي كـــان يخـــضع لإشـــراف " النخبـــة " البيروقراطية ذات السمات العشائرية يتحد، في السوق، مع جزء مـــن رأس المـــال العامـــل (الناشط) في حقول التجارة والمضاربة، وتكون النتيجة المنطقية اندماج الدولة، وتمثلها هنا " النخبة " البيروقراطية، مع رأس المال الطفيلي الخاص.

شهدت سنوات التسعينات من القرن العشرين، وتحديدا بعد اجتياح قـــوات النظـــام العراقـــي للكويت وما ترتب عليه من قرارات دولية وما تبعها من نتائج كارثية، شهدت بروز المزيـــد من المعالم والسمات الجديدة من الضروري التوقف عندها وبتكثيف بهدف استكمال صورة " التحولات " الفعلية التي شهدها الائتلاف الـــذي كـــان ســـائدا حتـــى لحظـــة ســـقوطه فـــي 2003/4/9.

كانت أولى " ثمار " غزوة الكويت تلك التوليفة الواسعة من القرارات الدولية واهمها الحصار الاقتصادي الذي بدأت آثاره التدميرية على الاقتصاد والمجتمع تظهر بوضـــوح بعـــد وقـــت قصير من اعلانه. كان أحد الاجراءات المرتبطة بالحصار إيقاف تصدير النفط الخام، المورد الاساسي الذي تعتمد عليه السلطة السابقة في اعادة إنتاج هيمنتها من دون عوائق، من خلال إعالة نفسها وكذلك " رشوة " قسم كبير من الفئات الاجتماعية اعتماداً على الريوع النفطيـــة. وقد تسبب هذا الواقع في تقليص مستمر للقاعدة الاجتماعية للنظـــام، الـــذي ســـعى جاهـــدا لتعويضها بوسائل عديدة لم تكن كافية لضمان اعادة انتاج تلك الهيمنـــة مـــن دون عوائـــق. وبمقابل تقلص العوائد النفطية، وبسبب الحصار الظالم وعلى هامشه، بدأت تنشأ مجموعة من المصالح الاقتصادية تدور حول الاستيرادات من مختلف السلع ومن خارج ســـيطرة الامـــم المتحدة التي تعتبرها " غير شرعية ". ونشأت على هذه الخلفية تجارة رائجـــة وتبلـــورت " شريحة جديدة " حول النظام، طابعها الأساسي طفيلي، نمت بقوة تحت مظلة الحمايـــة التـــي

---

* حسن مخافي . ناقد وأستاذ جامعي بكلية الآداب مكناس ، المغرب.

وفرها أقطاب " الائتلاف العائلي الحاكم " الذي ارتبطت معه بوشائج متنوعة، تعززت على الدوام، رابطة مصيرها بمصيرة بشكل مطلق، هذا مع العلم أن النظام كان يجري بشكل متواصل " إعادة هيكلة " داخل هذه الفئة مستخدما وسائل متنوعة من بينها الحل الحاسم – الاعدام لأقطاب منها تحت ذرائع مختلفة !!.

ويدلل على طبيعة هذه الفئة و " السرعة الصاروخية " لتطور ثروات بعض أعضائها تلك الفضائح المرتبطة بـ " نموها "، والتي ما كانت تحدث لولا " متانة " تلك الصلات بأقطاب النظام المذكور. فقد شهدنا خلال السنوات الاخيرة التي سبقت انهيار هذا النظام العديد من الفضائح المالية التي أداها بـ " إيقاع بالغ " شباب كانوا، ولفترة قصيرة، لا يملكون شيئا، ثم أصبحوا بسرعة صاروخية أثرياء يمتلكون المليارات، وفجأة يعلنون إفلاسهم أو " يختفون " بعد أن يكونوا قد " بلعوا " تلك الاموال التي جمعوها من خلال " الشركات " التي أقاموها على عجل لإنجاز أعمال قذرة [109]. هكذا توطدت مواقع هذه " البرجوازية الطفيلية " متحولة الى قاعدة اجتماعية " وطيدة " ارتكزت عليها السلطة. ويتعين التأكيد على حقيقة أن هذه الفئة تضم شرائح متنوعة من التجار والممولين والمقاولين والوكلاء في مجالات التصدير والاستيراد، وكان لها دور ملحوظ خلال الفترة المنصرمة. وقد تعزز هذا الدور خلال الحصار الاقتصادي واتخذ طابعا صارخا من خلال تركز نشاطاتها على المضاربات وأعمال الوساطة والتهريب والسوق السوداء، ولديها رغبة عارمة في المتاجرة بكل شيء، بما فيها الوطن !!.

على خلفية هذه الاوضاع ظهرت كتل متوازية ومتعارضة داخل العائلة الحاكمة، ولضمان ضبط ايقاعها سعى النظام لإعادة هيكلة وتوزيع المناصب والمغانم. غير أن هذا التوزيع امتاز بالحركية ولم يثبت على صيغة محددة، وتمت صياغة هذه الهرمية بحسب ظروف المرحلة المعينة، غير أنه كانت هناك قناعة عند رأس النظام تقوم على حقيقة أن " التوازن القلق " هو الذي يجب أن يسود، وأن القانون السائد هو قانون هدم/اعادة بناء الكتل دون توقف.

وعلى " هامش " غزوة الكويت ايضا اندلعت انتفاضة أذار/1991، وكان لها المزيد من التداعيات أهمها ذلك " التفجر " الداخلي الذي شهدته قاعدة الحزب الحاكم انذاك. وكان أبرز معالم هذا " التفجر " قد تمثل في " انفلات " هذه القاعدة على قياداتها ومشاركة قطاعات واسعة منها، في معظم المدن، في الانتفاضة ذاتها. وقد شهدت الفترة التالية التي تلت " أم المعارك " مزيدا من التداعيات أبرزها تزعزع الثقة بأجهزة الحزب الحاكم والدولة، والذي قابله انغلاق النظام داخل الكتلة القبلية وتحديداً قرابات الدرجة الاولى، والتي تصدعت بعد حادثة اعدام حسين كامل وشقيقه صدام كامل وبعض أفراد عائلته، والتي طرحت أسئلة جادة على مدى قدرة هذه العلاقات (العائلية) على اعادة انتاج السيطرة ومن دون الارتكاز على علاقات مادية أخرى.

هكذا، إذن وبتعبير آخر، انفجرت في " أم المعارك " ، أزمة النظام السائد انذاك وأزمة سيطرته. في هذا الوقت بالذات دخلت البنية الاجتماعية في بلادنا مرحلة جديدة هي، بالتحديد، مرحلة انفكاك أوسع لـ " الفئات الوسطى " عن " الطغمة الحاكمة " ، أي مرحلة فك " التحالف الطبقي "، الذي كانت هذه الفئات خاضعة لهيمنته. فبعد الصدمة العنيفة التي واجهته والمتمثلة بالحصار الاقتصادي والتوليفة الواسعة من إجراءات المقاطعة والدمار

الشامل الذي لحق بالبلاد بسبب اجتياح الكويت، لم يعد ذلك النظام قادراً على أن يهيئ للفئات الواسعة من البرجوازية التي ارتبطت به ظروفاً تجعلها تقبل بهيمنة " الطغمة " وبخضوعها لسيطرتها.

لقد أدت ظروف الحصار، والتي كانت نتيجة منطقية لنهج النظام وسياساته، الى " تحولات " عميقة في البنية الطبقية، معلمها الاول اضمحلال " الفئات الوسطى " من جهة، وكذلك التهميش الواسع لعموم المجتمع. نحن إذن شهود ظاهرة تركز شديد للسلطة خلال هذه الفترة مقرون به ويقوم عليه تركز شديد للثروة، يقابله تهميش قطاعات واسعة من المجتمع بسبب الركود الاقتصادي الهائل، والذي قاد بدوره الى اثار سلبية هائلة، في مقدمتها تدمير منظومة كاملة من القيم الاجتماعية مقرونة بـ " نهوض " قيم جديدة (إن صح تسميتها بالقيم)، هي بحاجة الى معالجة جادة من قبل علماء الاجتماع والاقتصاديين اذ قد تساعد في تفسير العديد من الظواهر التي شهدها العراق بعد انهيار النظام المذكور في 2003/4/9.

لقد أدت عملية " الابتلاع " الدائمة، التي جرى الحديث عنها في مكان سابق من الدراسة، الى نهايتها المعروفة – ابتلاع العشيرة للدولة والحزب في آن !. وينطرح سؤال بسيط : كيف تمت عملية اعادة انتاج النظام في ضوء هذه الصيغة الملتبسة ؟ أدت " العشيرة الحاكمة " وظيفة " الطغمة "، وذلك عبر توزيع الادوار داخلها بصيغة تكفل ضمان التوازن بين كتلها المعروفة. ولكي يتم " ضبط إيقاع " الجميع، ومن أجل خلق التشابكات المطلوبة تم تجزئة السيطرة من جهة واعادة تجميعها لتبقى تحت قبضة النواة القيادية العليا. ونظراً للأهمية التي تتمتع بها المؤسسة الامنية في منظومة أجهزة السيطرة، وكذلك السلطة الاقتصادية، تم نشر أفراد العشيرة على مختلف المفاصل الاساسية لهاتين المؤسستين، بما تملكه كل منهما من قوة للسيطرة، وبما يؤدي الى خلق أقطاب قادرة على النهوض بأدوارها، كل حسب منطقة السيطرة التي بحوزته. كل قطب في الحكم شاركه قطب في الاقتصاد من أقارب الدرجة الاولى، يمثل امتداده في عالم التجارة والمقاولات. قطب الاقتصاد يراكم الثروة، التي تحضى بدعم وحماية قطب الامن أو الاستخبارات. هكذا تمت " صناعة " الاثرياء الجدد الخارجين من معطف شيخ العشيرة: رئيس الدولة، واستخدم البيروقراطي إبن العشيرة القادم من الريف، الماسك بالسلطة، استخدم الثروة الاجتماعية التي بحوزته لصناعة أثرياء العشيرة من خلال المشاريع والمقاولات الكبرى ومن دون الخضوع للاجراءات الطبيعية في منح هذه المقاولات، وكذلك من خلال الهيمنة على التجارة تصديراً واستيراداً.

إن هذا الموقع الذي احتلته هذه القوى في الاقتصاد هو، في وجه رئيسي منه، ثمن أو " ريع " إن جاز لنا التعبير – تتقاضاه لقاء " جهودها " في الحفاظ على النظام، والمساعمة في اعادة انتاجه دون عوائق. ولقاء هذه " الجهود والخدمات المحددة " تحضى هذه " القطاعات " بمواقع نفوذ لها في الاقتصاد والدولة، تسخرها لخدمة مصالحها الجديدة المتبلورة.

ويعني ذلك أن دور الدولة يكتسي معنى آخر أو يزداد تحديدا، بحيث أن دولة " الجماعة القرابية " – بحسب تسمية فالح عبد الجبار – باتت تتحدد بسبب احتلال أفراد " العشيرة " الحاكمة فيها موقع الفئة المهيمنة، لمجموعة من مواقع النفوذ التي يعود لمن هو فيها حق الانتفاع الخاص المباشر، من حيث هو حق انتفاع عائلي أو وظائفي. بهذا المعنى يصح على هذه " الدولة/العشيرة " القول الشائع بأنها " مزرعة " يخرج منها متخم الجيبين من يدخلها خاوي الجيب [112]. ينشأ هنا تناقض بين الدور السياسي التقليدي للدولة المتمثل في تأمين ديمومة القوى المسيطرة دون عوائق وبين دورها الاقتصادي المتمثل في تأمين ذلك " الريع " لـ " الاقطاعات العشائرية " الطامحة بلا حدود للسلطة والثروة، والتي بدأت تحتل مواقع السيطرة على المفاصل الاقتصادية الاساسية.

إن هذه الرابطة الوثيقة بين السلطتين الامنية والاقتصادية ازدادت لحمة في ظروف الحصار الاقتصادي. فقد تحقق اندماج كبير وتداخل بين الاثنين عبر تحكم العشيرة بالاقتصاد حسب التراتبية الامنية ابتداء من فوق. وخلال السنوات التي تلت " عاصفة الصحراء " و " أم المعارك " السيئتي الصيت امسكت " العائلة الحاكمة " انذاك بكافة حلقات الاقتصاد، وباتت تسيطر على كافة جوانبه الرئيسية محولة إياه الى اقطاعيات مغلقة. وبرز بوضوح صارخ الثراء الفاحش لفئة ضئيلة مقابل اغلبية مطلقة من المجتمع كانت تتضور جوعا، وجاهدت من أجل الحصول على لقمة العيش.

إن هناك عدداً قليلاً من العوائل التي تنتمي الى مدينة واحدة (تكريت) كانت تسيطر تماماً على الاقتصاد، أغلب ابنائها كانوا اعضاء قياديين في الحزب الحاكم انذاك أو تولوا مناصب قيادية في مؤسسات قيادية في مؤسسات الدولة كالجيش والمخابرات وتحولوا الى النشاط الاقتصادي. وكما تشير المعطيات الاحصائية فإن هناك 130 اسما من " الشريحة القيادية العليا " كانوا يتحكمون باقتصاد البلاد، حيث اصبح التحكم بـ 17 مادة أساسية من طعام الناس من قبل نفس العشيرة عامل اضافي بعد الهيمنة على اجهزة القمع والاجهزة الايديولوجية [113].

وبموازاة ذلك كانت تجري عملية تخصص عميقة وتوزيع أدوار. فعلى سبيل المثال سيطر الابن الأكبر لرأس النظام السابق (عدي) على قطاعات واسعة، وتكاد كل الدلائل تشير الى أنه كانت بحوزته امبراطورية هائلة، فلا أحد كان ينافسه في مجال التجارة الخارجية، كما أنه كان " اللاعب الوحيد " في تجارة تهريب النفط الخام (حوالي 400 ألف برميل يوميا، حيث استطاع انشاء نظام سري لتصدير النفط ومشتقاته لتفادي الحظر على تصدير النفط الذي فرضه مجلس الامن. ومقابل ذلك أعيد تنظيم الاجهزة القمعية ومركزتها بحيث أصبح الابن الاصغر لرأس هذا النظام (قصي) يتحكم بكل خيوط المؤسسة الامنية وأجهزتها المتنوعة.

بعض التعميمات

---

1. وجود تناقض بنيوي مستحكم في السيرورة الاجتماعية الفاعلة في هـذه التـشكيلة الاجتماعيـة موضوع الدراسة، أي صعود الفئات الجديدة القادمة من العـشيرة الحاكمـة وتحالفاتهـا المتنوعة الى مرتبة الفئة الحاكمة، من ناحية، والايديولوجيا والممارسات الاقتصادية التي تبرز من خلالها هذه المسيرة من ناحية ثانية.

2. إن شكل الدولة (استبدادية) والدور المنوط بسلطتها يجسدان طريقة جديدة للاسـتبداد السياسي مؤقلمة مع " ظروف العصر " عبر التزاوج بين السلطة القمعية والسلطة المالية، وينشأ أشبه بـ " المجمع القمعي – المالي "، لا تتحدد المواقع فيه علـى أسـاس القـوة الاقتصادية، بل على أساس القرابة العائلية ومدى " الخدمة " التي يقدمها المنضوي لهـذا المجتمع الى السلطة. ومن هنا يتعين فهم المؤسسة العسكرية كذلك وتحليلها في كل عمقها. إنها ليس مظهراً من مظاهر فرض إكراه الطبقة السائدة (أو الائتلاف الطبقـي المهـيمن) على بقية السكان (نموذج الدكتاتورية العسكرية التقليدية) بل وعلى الاصح، إنها جزء من تشكل " العنف الشرعي " في سيرورة نشأة الفئـات الحاكمـة الحاملـة لقـيم العـشيرة وتصوراتها.

3. ينبغي تعليل أشمل لدلالة المؤسسات السياسية الخاصة بهذه الدولة الاستبدادية. علـى هذا النحو ندرك أن شكل الدولة هذا نشأ عبـر التحطـيم الـشامل للممارسـة الـسياسية الجماعية، وعبر ابعاد القوى الاجتماعية غير وثيقة الصلة بالدولة والحزب الحـاكم مـن الاهتمام بالسياسة، وعبر نظام الفروض الملزمة (أنواع التعبئة العسكرية، جيش شـعبي، كتائب شباب، طلائع ..... الخ)الذي تفرضه السلطة على التشكيلة الاجتماعية. بإختـصار عبر قطع الطريق جذريا أمام مسار الثروة الديمقراطية/على المستوى الـسياسي، والتـي كانت ينبغي أن تواكب كل ثورة اقتصادية.

4. إن الائتلاف الطبقي/العشائري والدولة الاستبدادية الجديدة التي ارتبطت به، الذي ساد لأكثر من ثلاثة عقود وشهد تحولات متنوعة في تناسباته الداخلية، بقطـع النظـر عـن الايديولوجيا التنموية التي روج لها لفترة طويلة، وبقطع النظر عن مناهضته الظاهريـة للنظام الرأسمالي العالمي، كان أثره الاساسي على الدوام تعطيل الجدلية الاجتماعيـة، أي الالغاء التسلطي للصراعات الاجتماعية من أجل تأمين الظروف الاكثر ملائمة للفئات التي صعدت الى السلطة بفعل " انقلاب القصر " حتى تتحول الى فئات سائدة. وقد تعلق الامر باعتماد منظومة من الاجراءات والترتيبات الحاسمة تمثلت في :

- مصادرة الوظيفة السياسية في التشكيلة الاجتماعية، بشكل استبدادي قمعي فـاقع الحدة؛
- ابعاد الشرائح القديمة من البرجوازية الصناعية وكذلك المجموعات الأكثر فقرا في الحركة العمالية، ومجمل الجماهير الريفية والمدينية غيـر المرتبطـة بـسيرورة الإنتاج، عن حقل اتخاذ القرارات الإستراتيجية.

5.لقد أدى هذا الوضع الى ترجيح وزن الدولـة ومؤسـساتها القمعيـة فـي التـشكيلة الإجتماعية، والى تفتيت مجموعات كاملة من القوى الإجتماعية، والـى إعـادة الإنتـاج الموسع لعملية تحطيم العلاقات الإجتماعية. وبعبارة أخرى، يمكن القول أن فشل الدولـة من هذا النمط لا يكمن في السياسات الإقتصادية المنتهجة ولا فـي النوايـا الواعيـة أو اللاعقلانية لدى الماسكين بمقاليد السلطة السياسية فحسب، بل في شكل الدولة نفسه وفـي

محتواها الإجتماعي وعلاقته بالمسار التاريخي لتشكل الطبقات الحاكمة. ومن هنا أهمية النشاط المتعدد الصُعد وراهنيته من أجل فك الاشتباك بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي، بما يسمح بخلق الشروط لتطور الأول وتحرره من سطوة الدولة الاستبدادية وعسفها وقمعها في أن.

الهوامش

[114] قارن: د.صالح ياسر حسن: بعض الاشكاليات المرتبطة بمفهوم "الفئات الهامشية" في البلدان النامية. نحو معالجة منهجية منتظمة. " جدل " – كتاب العلوم الاجتماعية. العدد 1993/4، ص 39 ولاحقاً.

[2] راجع: ك. ماركس: **بؤس الفلسفة. رد على " فلسفة البؤس " لبرودون**. ترجمة حنا عبود. دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق 1972، ص 103.

[3] قارن: عادل غنيم: **النموذج المصري لرأسمالية الدولة التابعة. دراسة في التغييرات الاقتصادية والطبقية في مصر 1974 – 1982**، دار المستقبل العربي، الطبعة الاولى، القاهرة 1986، ص 129.

[4] قارن على سبيل المثال: نيكوس بولانتزاس: **الايديولوجية والسلطة. نموذج الدولة الفاشية**. بيروت 1979؛ كذلك لنفس الكاتب: أزمة الديكتاتوريات. دار ابن خلدون، بيروت 1981.

[5] قارن: عادل غنيم: ***النموذج المصري لرأسمالية الدولة التابعة*** .....، مصدر سابق، ص 103؛ كذلك د.صاحب ياسين العلي: **موضوعات حول مفهوم البرجوازية البيروقراطية**، " النهج " العدد 7/شباط 1985، ص 131 ولاحقاً.

[6] قارن: د.صاحب ياسين العلي: **موضوعات حول مفهوم البرجوازية** .....، مصدر سابق، ص 130 – 134.

[7] لمزيد من التفاصيل قارن: د.صاحب ياسين العلي: **موضوعات حول مفهوم** .....، مصدر سابق، ص 126؛ كذلك د.صالح ياسر حسن: **اقتصاد السوق – الخوصصة – الدولة. بين أوهام الخطاب الليبرالي الجديد وحقائق الواقع**. " الثقافة الجديدة "، العدد 1995/262، ص 30 ولاحقاً؛ كذلك د.خلدون حسن النقيب: **المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية (من منظور مختلف)**. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت 1989، وخصوصاً الفصلين الخامس والسادس.

[8] قارن على سبيل المثال: عادل غنيم: **النموذج المصري** .....، مصدر سابق؛ كذلك عصام الخفاجي: **البرجوازية المعاصرة والدولة المشرقية. دراسة مقارنة لمصر والعراق**. " جدل "، الطبعة الاولى، أب/1991، ص 173 ولاحقاً.

[9] كما ورد عند ن. بولنتزاس: **الايديولوجية والسلطة** ....، مصدر سابق. دار ابن خلدون، بيروت 1979، ص 6.

[10] قارن: يوران ثربورن: سلطة الدولة. **حول ديالكتيك الحكم الطبقي**، دار المروج، بيروت 1985، ص 40.

[11] لمزيد من التفاصيل حول هذه الاشكالية قارن: يوران ثربورن: **سلطة الدولة** ....، مصدر سابق؛ كذلك د.صالح ياسر حسن: **اقتصاد السوق – الخوصصة- الدولة** ......، مصدر سابق.

[12] قارن: عصام الخفاجي: **البرجوازية المعاصرة والدولة المشرقية**......، مصدر سابق، ص 187.

[13] قارن: يوران ثربورن: **سلطة الدولة** .....، مصدر سابق، ص 22 ولاحقا؛ د.صالح ياسر حسن: **اقتصاد السوق – الخوصصة- الدولة** ......، مصدر سابق، ص 46 ولاحقاً؛ ف.فيسووفسكي: الطبقات، الفئات والسلطة. مطبعة الدولة العلمية PWN، وارشو 1980، ص 80 ولاحقاً(بالبولونية).

[14] قارن: يوران ثربورن: **سلطة الدولة** ....، مصدر سابق، ص 25.

[15] قارن: محمد فرج: **الدولة وتشكيل الوعي الاجتماعي. دراسة في الدور الايديولوجي للدولة**. "*قضايا فكرية* "، العدد الاول، ص 142.

[16] قارن: د.صاحب ياسين العلي: **موضوعات حول مفهوم البرجوازية ......**، مصدر سابق، ص 138.

[17] لمزيد من التفاصيل قارن: يرزي فياتر: **الماركسية والسياسة**. " الكتاب والمعرفة "، وارشو 1987 (باللغة البولونية)؛ س.ر.ميلز: **نخبة السلطة**. وارشو 1961(بالبولونية)؛ كذلك: G.Mosca, **The**
Ruling Glass, New York[18]
V.Pareto, **The Mind and Society: A Treatise on General Sociology**, New[19] York 1963.

[20] قارن: ف.فيسووفسكي: **الطبقات، الفئات والسلطة**.........، مصدر سابق، ص 99.

[21] قارن على سبيل المثال: د.صاحب ياسين العلي: **موضوعات حول مفهوم البرجوازية البيروقراطية**......، مصدر سبق ذكره، ص 126 ولاحقاً؛ كذلك:د.صالح ياسر حسن: **بعض الاشكاليات المرتبطة بمفهوم "الفئات الهامشية" في البلدان النامية**.........، مصدر سابق، ص 39 ولاحقاً.

[22] راجع: عصام الخفاجي: **بعض اشكاليات دراسة الطبقات والتطور الاقتصادي الاجتماعي في البلدان العربية**. دراسة غير منشورة، ص 2.

[23] قارن: ايتين باليبار: **حول المفهومات الاساسية للمادية التاريخية: (في:) قراءة " رأس المال "**، الجزء الثاني، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق 1974، ص 241 ولاحقاً؛ كذلك: ستانسلاف كوزير كوفالسكي: **البنية الاقتصادية وتشكيلة المجتمع**. " الكتاب والمعرفة " وارشو 1988، ص 395؛ د.فيصل دراج: **الثقافة والطبقات الاجتماعية**. " الهدف "، العدد 815، 1986/4/22، ص 45 ولاحقاً.

[24] قارن: جورج لاباسا، رينيه لورو: **مقدمة في علم الاجتماع**. ترجمة هادي ربيع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1982، ص 140.

[25] قارن:د.صاحب ياسين العلي: **موضوعات حول مفهوم** ....، مصدر سابق، ص 158 ولاحقاً؛ [26]د.صالح ياسر حسن: **بعض الاشكاليات المرتبطة بمفهوم**.......، مصدر سابق، ص 54 ولاحقاً ؛ [27]ف.فيسووفسكي: **الطبقات والسلطة** ....، مصدر سابق، ص 172 ولاحقاً (باللغة البولونية).

[28] راجع: ك.ماركس، ف.أنجلس**: الاعمال الكاملة، المجلد 13**، ص 721 – 722 (باللغة البولونية).

[29] قارن: نيكوس بولنتزاس: **الماركسية والطبقات الاجتماعية**. ترجمة عمر حازم، دار إبن خلدون، الطبعة الاولى، بيروت 1975، ص 95 ولاحقاً.

[30] قارن: عادل غنيم: **النموذج المصري** ......، مصدر سابق، ص 121-124.
[31] قارن: ي.فياتر: المجتمع. **مقدمة للسوسيولوجيا المنظومية (النسقية)**. مطبعة الدولة العلمية، وارشو 1981، ص 255 ولاحقاً ؛ كذلك ف.فيسووفسكي: الطبقات، الفئات ......، مصدر سابق، ص 129 ولاحقاً.
[32] قارن: يوليان هوخفيلد: الماركسية، السوسيولوجيا، الاشتراكية. كتابات مختارة. مطبعة الدولة العلمية، وارشو 1982، ص 578 (باللغة البولونية).
[33] قارن على سبيل المثال: ف.فيسووفسكي: **النظرية، الابحاث، الممارسة. عن اشكال البنية الطبقية**. " الكتاب والمعرفة "، وارشو 1978، ص 285 (باللغة البولونية).
[34] قارن:د.صاحب ياسين العلي: **موضوعات حول مفهوم** ....، مصدر سابق، ص 126 ولاحقاً ؛ كذلك: ي. كونتزة: **البرجوازية البيروقراطية ودورها في البلدان المتخلفة**. " دراسات عربية "، العدد 1979/12، ص 119 ولاحقاً ؛ كذلك: توني كليف: **رأسمالية الدولة في روسيا من ستالين الى غوربوتشوف**. وارشو 1991، وخصوصاً الفصل السادس(باللغة البولونية).
[35] قارن: ط.ث. شاكر: **قضايا التحرر الوطني والثورة الاشتراكية في مصر**. دار الفارابي، بيروت بدون تاريخ، ص 110.
[36] قارن: خيري عزيز: **الاستنتاجات العلمية للمفهوم الماركسي للتنمية في مصر**. " *دراسات عربية* "، عدد 1981/7، ص 72 ولاحقاً؛ كذلك د.صاحب ياسين العلي: **موضوعات حول مفهوم** ......، مصدر سبق ذكره، ص 154 ولاحقاً.
[37] كما ورد عند العديد من الكتاب المصريين، ولكنه ليس فقط، حيث شهدت العقود السابقة سيادة مفهوم " الطبقة الجديدة " ودورها البالغ السطوة في الاقتصاد والمجتمع.
[38] قارن: عادل غنيم: **النموذج المصري** ....، مصدر سابق، ص 132-133

[39] لمزيد من التفاصيل قارن : مهدي عامل: **مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني**. الطبعة الثالثة، دار الفارابي، بيروت 1980.
[40] قارن: د.محمود عبد الفضيل: **مفهوم الراسمالية الطفيلية في ظل سياسة الانفتاح الاقتصادي**. " الطليعة "، العدد 1968/4، ص 49
[41] قارن على سبيل المثال: د.محمد عبد الشفيع عيسى: **الرأسمالية الطفيلية في مصر ..... هل هي مفهوم علمي؟** " الطليعة " العدد 1968/4، مصدر سابق، ص 59 ولاحقاً ؛ كذلك: د.محمود عبد الفضيل: **[42]مفهوم الراسمالية الطفيلية**.......، مصدر سابق، ص 49 ولاحقاً ؛ كذلك: عصام الخفاجي: **[43]البرجوازية المعاصرة والدولة المشرقية**.......، مصدر سابق، ص 173 ولاحقاً.
[44] قارن على سبيل المثال: عصام الخفاجي، عادل غنيم. وقد وردت عناوين ابحاثهم في هوامش سابقة.
[45] قارن: **البرجوازية، الدولة ومستقبل الوطن العربي**. حلقة نقاش. " جدل " الطبعة الاولى، أب/1991، مصدر سابق، ص 161.
[46] راجع: د.ابراهيم العيسوي: **في اصلاح ما أفسده الانفتاح**. كتاب الاهالي رقم (3)/سبتمبر 1984، ص 191.
[47] راجع: د. جمال العطيفي: **حول الدخول غير المشروعة والطفيلية والمتهربة**. " الاهرام " العدد الصادر بتاريخ 28 يونيو/1973، وقد ورد الاقتباس عند د. محمود عبد الفضيل: **مفهوم الرأسمالية الطفيلية** ......، مصدر سابق، ص 50.
[48] قارن: **البرجوازية، الدولة ومستقبل الوطن العربي**. حلقة نقاش، مصدر سابق، ص 162.
[49] قارن: د.صالح ياسر حسن: **بعض الاشكاليات المرتبطة بمفهوم " الفئات الهامشية "**.....، مصدر سابق/ ص 60 ولاحقاً.

[50] راجع: عصام الخفاجي: **البرجوازية المعاصرة والدولة المشرقية**......، مصدر سابق، ص 177.
[51] قارن: فالح عبد الجبار: **من دولة الحزب الواحد الى دولة الحزب/الاسرة**. " الثقافة الجديدة "، العدد 267، كانون الاول/1995 – كانون الثاني/1996، ص 7 ولاحقاً.
[52] قارن: زهير الجزائري: **الدولة والحزب والقبيلة**. " الثقافة الجديدة "، العدد 259/حزيران 1994، ص 62.
[53] قارن: فالح عبد الجبار: **من دولة الحزب الواحد** .....، مصدر سابق، ص 12.
[54] لمزيد من التفاصيل قارن: د.صاحب ياسين العلي: **موضوعات حول مفهوم** ......، مصدر سابق ؛ كذلك: نصير سعيد الكاظمي: **رأسمالية الدولة البيروقراطية بين الفكر والممارسة**. " الثقافة الجديدة "، العدد 1983/144، ص 93 ولاحقاً.
[55] يلاحظ أن السنوات الاخيرة من عمر النظام العراقي السابق شهدت بروز ظاهرة الشركات الوهمية وما يترتب عليها من نهب لأموال المواطنين، شركات كانت تظهر فجأة وتختفي فجأة، وكانت تحمل أسماء غريبة (سامكو، علائكو، نهادكو .... الخ) كغرابة ظهورها واختفائها الملتبس !!.
[56] قارن: مهدي عامل: **النظرية في الممارسة السياسية** ......، مصدر سابق، ص 232.
[57] قارن: زهير الجزائري: **الدولة والحزب والقبيلة**........، مصدر سبق ذكره، ص 66.

مراجعة التاريخ بين تمجيد العدوان وإدانة الروح الوطنية

أ. لطفي حاتم
عميد كلية القانون والسياسة
الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك

1 : ـــــ المقدمة

شهد العالم بعد انهيار الدول الاشتراكية وسيادة العولمة الرأسمالية كثرة من الدراسات والبحوث التي تمجد الليبرالية الجديدة بعد ربطها بالديمقراطية وحرية الأسواق. وفي هذا السياق حـاول كثرة من الباحثين تصوير انهيار ازدواجية خيار التطور الاجتماعي على انـه انتـصاراً باهراً للرأسمالية التي وحدت العالم بطورها الجديد المتسم بالعولمة المرتكزة إلـى وحـدة نمط أسلوب الإنتاج الرأسمالي.

لقد سارع بعض الباحثين لتقييم طبيعة العولمة الرأسمالية وعدها نهايـة التـاريخ. بينمـا استبدل البعض الأخر طبيعة الصراع الدائر بين العدالة واللامساواة إلـى صـراع بـين الحضارات وانتقل فريق ثالث إلى مراجعة التاريخ بما يضمن إعادة الاعتبار لممارسات الحقبة الكولونيالية وجرائم الغزاة المحتلين.

في خضم المشهد الفكري / الثقافي السائد المتسم بانعدام الرؤيـة الفكريـة يتحـتم علـى الباحثين والأكاديميين الحريصين على البحث العلمي والراغبين بإخصاب الفكر العلمـي بالثقافة الديمقراطية ذات البعد الإنساني مواصلة تطوير الدراسات النقدية الهادفة إلى كشف الجذور الحقيقية الكامنة وراء هذه الموجة الفكرية الصاخبة الرامية إلى تكريس علاقـات التناحر والكراهية بين الناس على أسس دينية / أو عرقية / أو سايكلوجية.

2: ـــ مشكلة البحث

إن الصعوبات الأساسية التي تواجه الباحث الناقد لمضامين الليبرالية الجديـدة وتجلياتهـا السياسية والاقتصادية تكمن في ثلاث مشكلات أساسية الأول منها يتحدد في أن البحـث النقدي في ظروفنا المعاصرة يعتبر ضرباً من العبثية بسبب الأفكار الجذابة التي تحملهـا الليبرالية الجديدة واصطفاف كثرة كاثرة من المثقفين مع شعاراتها البراقة. والثـاني هـو ندرة المؤسسات البحثية / الأكاديمية الحاضنة والمشجعة على إصـدار تلـك الدراسـات النقدية الناقدة لطبيعة المرحلة الجديدة من التوسع الرأسمالي . واخيراً أدى انهيار وتراجع الفكر الديمقراطي المناهض لسياسية النهب والقوة العسكرية أدى إلى محاصرة الدراسات و الأفكار الجديدة المناهضة للموجة الفكرية السائدة باعتبارها بضاعة فاسدة.

3 : ـــ أهداف البحث

إن المشكلة الأساسية التي تتعرض لها دراسة الباحث لا تكمن فـي محاربـة الليبراليـة وأفكارها الإنسانية بل في تعرية الدوافع الحقيقية وراء توظيف مضامينها الفعلية الـساعية إلى تكريس روح اللامساواة من خلال استخدام القوة وشـرعنة العـدوان علـى صـعيد العلاقات الدولية. لهذا حاول الباحث جاهداً كشف الجذور الحقيقية للنزعات السلبية للطور الجديد من الرأسمالية المعولمة وتبيان أن شعارات الليبرالية الجديدة هي شعارات تـستند إلى مصالح الشركات الكبرى وإنها ــ النزعات ــ ستقود بلا شك إلى إعاقة تطور البلدان المخلفة وتحويلها إلى شركات فرعية تابعة لها تشتد فـي ممارسـتها الـسياسية النزعـة الإرهابية والتناحرات الطائفية / العرقية. الأمر الذي يعني خـراب الحقـوق الأساسـية للإنسان وبالأخص منها حق الحياة والعمل والكرامة الإنسانية.

في هذا الإطار فإن أهداف البحث كما يزعم الباحث تكمن في محاولة إيجاد مجموعة من التوصيات التي تفتح الطريق أمام بناء علاقات دولية جديدة تستند إلى موازنة المـصالح بين مستويات التشكيلة الرأسمالية العالمية بما يضمن صيانة حقوق الإنسان الأساسية فـي إطاراتها الوطنية.

4 : ـــ أهمية البحث

على أساس أهداف البحث فإن هذه الدراسة تستمد أهميتها مـن خـلال التأكيـد علـى ضرورة دراسة الماضي ووقائعه التاريخية بالترابط مع القوى الاجتماعية الـصانعة لـه

ومتابعة نمو تلك القوى وتطورها وصولاً الى انطفائها بروح علمية بعيدة عن النزعة الأيديولوجيــة التي تسم بحوث المحافظين الجدد الممجدة لشعارات الليبرالية الجديدة.

*عميد كلية القانون والعلوم السياسية في الأكاديمية العربية المفتوحة .

في هذا السياق يرى الباحث أن هذه الدراسة تستهدف تعبيد الطريــق أمــام الإصــلاح الديمقراطي العربي المرتكز على تعزيز وتطوير المصالح السياسية / الاجتماعية للإنسان المواطن وذلك من خلال مناهضة فرض الديمقراطية بنسختها الأمريكية المتسمة بنزعات التفكك والتخريب والحروب الداخلية كما هو جار في العراق.

5 : ـــ خطة البحث

لقد اعتمد الباحث منهجية وصفيةــ تاريخية حاول من خلالها تأكيد رؤيته النقدية للتجليات الفكرية و المضامين السياسية لتيار المراجعة التاريخية عبر المفاصل التالية : ـــ

المبحث الأول: الليبرالية الجديدة وتطور العلاقات الدولية

أ : ـــ التيارات الفكرية وتخومها التاريخية: ـــ

لقد تناول الباحث في هذا المفصل الطبيعة التاريخية للآراء والأفكار كونها نتاج للوقــائع الاجتماعية الاقتصادية في المرحلة التاريخية الملموسة وبهذا المعنى يمكــن القــول إن لا توجد أفكار ثابتة ومقدسة.

ب : ـــ تيار المراجعة التاريخية ومراكزه الثقافية: ـ

تضمن هذا المفصل استعراض لأهم المراكز الثقافية والمعاهد الحاضنة لليبرالية الجديدة وكذلك تيار المراجعة التاريخية وأوضح الباحث في هذا المجال ضخامة الــدعم المــالي والكم الهائل من المطبوعات التي تصدرها هذه المعاهد بحيث يمكن التأكيد على أن هــذه المعاهد مجتمعة تشكل كارتيلاً ثقافياً بحثياً لا يوجد منافس حقيقي له في عالمنا المعاصر.

ج ـــ المراجعة العدمية للتاريخ : ـــ

تناول الباحث في هذا القسم أهم المفاصل الأساسية لتيار المراجعة التاريخية متوقفاً عنــد ازدواجية المعايير التي تستخدمها المؤسسات الثقافية الليبرالية عند تناولهم لهذا القــضايا التاريخية وتأثيراتها على سير التطور اللاحق .

المبحث الثاني : ـــ الليبرالية العربية الجديدة وجذورها الفكرية: ـ

تناول الباحث في هذا المفصل متابعة الجذور الفكرية / السياسية لليبرالية العربية وكذلك مواقعها في العملية التاريخية الجارية في بلداننا العربية وتوصل إلى أن هذا التيار الليبرالي العربي الناهض يفتقد إلى ميزتين أساسيتين أولهما غياب المرجعية الفكرية الوطنية / العربية لنشاطه الوطني وثانيهما غياب القاعدة الاجتماعية الساندة لنشاطه السياسي وبالتالي فان فعاليته العملية لا تتعدى سوى مظهراً من مظاهر النشاط الفكري .

الاستنتاجات والتوصيات :ـــ

في هذا المفصل يطرح الباحث رؤيته الهادفة الى تطوير العلاقات الدولية وبنائها على أساس توازن المصالح الدولية الأمر الذي يفتح الطريق أمام الشعوب لدمج كفاحها الوطني بكفاحها الخارجي من خلال ربط الشرعية الوطنية الديمقراطية للحكم بالشرعية الدولية الديمقراطية وما يعنيه ذلك من بناء الحقوق الأساسية للإنسان المواطن على قاعدة وطنية / دولية ملموسة.

الهوامش والمراجع

المبحث الأول: الليبرالية الجديدة وتطور العلاقات الدولية

حملت الليبرالية الجديدة بنسختها الأمريكية الكثير من المنتجات الفكرية / السياسية / الاقتصادية التي رافقت الطور الجديد من التوسع الرأسمالي وقد تمثلت تلك المنتجات بجملة من المفاهيم الفكرية منها صراع الحضارات ، نهاية التاريخ ، نشر الديمقراطية . وشعارات سياسية أهمها حق تقرير المصير السياسي المرادف لحق الانفصال ومنها حقوق الإنسان ورفعها إلى مستويات عالمية، وأخري اقتصادية تمثلت بالدعوة إلى تأييد وحدة العالم الرأسمالي المستندة إلى وحدانية خيار التطور الرأسمالي وعولمته المتمثلة بحرية الأسواق والتجارة الدولية الحرة بعد تجريد الدولة من وظائفها الاقتصادية /الاجتماعية وأخيراً علاقات دولية جديدة تجسدت في التركيز على إضعاف مبدأ السيادة الوطنية وإعلاء شأن العقوبات الاقتصادية الدولية فضلاً عن مباركة العدوان والتدخل في الشئون الداخلية........ الخ من الموضوعات الفكرية السياسية المثيرة للجدل السياسي والفكري في حقول الثقافة الوطنية وبناء السياسة الدولية.

إن المنتجات الفكرية التي أفرزتها الليبرالية الجديدة تمحورت في مدرسة بحثية جديدة حملتها وروجت لها أوساط أكاديمية وسياسية ليبرالية وأعني بها مدرسة المراجعة التاريخية والتي عبرت عن تشكيل موجة جديدة من الدراسات التاريخية الهادفة إلى تبرير الحاضر انطلاقاً من تجاهل الجذور الاقتصادية / الاجتماعية لمنتجات الماضي الفكرية سياسية كانت ام اقتصادية .

بهدف حصر الرؤية النقدية الحالية لمضامين تلك المدرسة التاريخية يحاول الباحث متابعة المرتكزات الفكرية / السياسية / الاجتماعية لفكر المراجعين الجدد معتمداً في دراستها على ثلاث محاور أساسية يراها في المستويات التالية: ـــ

المستوى الأول: ـــ تاريخية منجزات القرن العشرين والجدل الفكري الصاخب الذي أحاط بمساراته.

المستوى الثاني: ـــ طبيعة القوى الاجتماعية المحركة لروح المراجعة التاريخية.

المستوى الثالث: ـــ المفاصل الأساسية التي تجري مراجعتها ارتباطاً بالطور الجديد من التوسع الرأسمالي.

وقبل التعرض إلى مضامين تلك المستويات دعونا نتوقف عند أهم المنتجات الفكرية التي تسعى العولمة الرأسمالية إلى ترسيخها في العلاقات الدولية والتي تعكس بدورها سمات المرحلة التاريخية السائدة في ظروفنا المعاصرة والتي يمكن تلخيصها بالمحددات التالية: ـ

أولاً: ـــ تراجع العلاقات الدولية إلى مرحلة يمكن تسميتها بالكولونيالية الجديدة المتسمة باستخدام القوة العسكرية الرامية إلى فرض التوجهات السياسية / الاقتصادية المتوافقة ومصالح الاحتكارات الدولية. وما نتج عن ذلك من أثار سلبية يتصدرها تفتيت الدول الوطنية وتحويل تناقضاتها الداخلية إلى صراعات طائفية / عرقية.
إن النتائج السياسية / الاجتماعية لمرحلة الكولونيالية الجديدة والتي شكلت نقيضاً لسمات المرحلة الاستعمارية الأولى يمكن تلمسها في كثرة من المعطيات منها: ـــ
ــــ اختلاف طورا الكولونيالية القديمة والجديدة الناتج عن تباين مراحل تطور حركة رأس المال الدولية المتسمة بطور المنافسة من جهة, والعولمة المرتكزة على تداخل وترابط المصالح بين المراكز الرأسمالية واحتكاراتها الدولية من جهة أخرى ما أفضى إلى تبدل طبيعة التناقضات بين المراكز الرأسمالية ونقل تلك الصراعات من مستوى التناحر إلى مستوى التحاور والتنسيق المشترك.
ــــ بسبب ترابط مستويات التشكيلة الرأسمالية الدولية / الإقليمية / الوطنية أفرزت العولمة الرأسمالية واقعاً جديداً تجسد في أن العامل الخارجي المتمثل في مصالح المراكز الدولية الكبرى والشركات الاحتكارية أصبح جزءاً من الصراعات الاجتماعية الداخلية للتشكيلات الوطنية.
ـــ تتبدى تشابكات الخارج / الداخل من خلال انحياز قوى الخارج لصالح أحد الأطراف المتصارعة في التشكيلة الاجتماعية الوطنية الأمر الذي أضفي على الصراع الداخلي سمتين أساسيتين واحدة منهما داخلية بمعنى عجز الصراعات الوطنية عن حل التناقضات الاجتماعية لصالح هذا الطرف الوطني أو ذاك وما ينتج عن ذلك من ضرورة الأخذ بمبدأ التوافق المرتكز على توازن المصالح الوطنية. أما السمة الثانية والتي يمكن تسميتها بالخارجية المستندة إلى تجذر المصالح الدولية في التشكيلة الوطنية وما يشترطه هذا الواقع الجديد من مشاركة الخارج في تقرير مسار التطورات الوطنية .
ثانياً: ـــ غياب المرجعية الدولية القادرة على حل الأزمات الدولية وذلك بسبب هيمنة الدول الكبرى على صياغة القرارات الدولية، وانتقال مجلس الأمن من مؤسسة دولية عاملة على حل النزاعات الدولية بما يضمن السلام والأمن إلى غطاء سياسي (شرعي) لفرض التوجهات الاستراتيجية للمراكز الرأسمالية.
ثالثاً: ـــ صياغة القوانين الدولية الجديدة وإعادة تفسير القديم منها بما يتناسب والطور الجديد من العولمة الرأسمالية وما يفرزه ذلك من مخاطر جدية على أنشطة المنظمة الدولية وفعاليتها في ترسيخ التوازنات بين الدول في العلاقات الدولية.

أ : ـــ التيارات الفكرية وتخومها التاريخية: ـــ

بات معروفاً أن الجدل الفكري المحتدم دار ومازال حول مهام كبرى واجهت وتواجه البشرية حيث انخرط في هذا السجال ممثلون عن كافة القوى الاجتماعية في هذا البلد أو ذاك، بمعنى أن التعارضات الفكرية لم تشتعل نتيجة لأسباب إرادية بل اشترطتها الوقائع

الاجتماعية / الاقتصادية الناظمة لسير التطور في هذه المرحلة الاجتماعية أو تلك من التطور الإنساني.

استناداً إلى تلك الفرضية العلمية نقول أن الصراع الفكري بين الأيدلوجية الليبرالية والنظرية الاشتراكية المناهضة لها احتل الساحة الثقافية الدولية فضلاً عن انعكاسات ذلك الصراع الفكري على المستويات الثقافية الوطنية.

لقد اتخذ الصراع المشار إليه شكلاً استقطابياً خاصة بعد انتقال العالم إلى ثنائية خيار التطور الاجتماعي رأسمالي / اشتراكي حيث عكس هذا الاستقطاب طبيعة الصراع الرئيسي الدائر بين النظامين الاقتصاديين وتجلياتهما الفكرية / السياسية. في هذا السياق نشير إلى أن حدة الصراع الأيديولوجي لم تمنع الحياة الثقافية من احتضان تيارات فكرية / سياسية شكلت نتائج فرعية لطبيعة الصراع الاجتماعي / السياسي بين النظاميين الاجتماعيين السائدين, منها الصراع بين الديمقراطية البرجوازية والفاشية التي عبرت عن روح عنصرية هجومية لرأس المال المتوحش ومنها الصراع بين أطراف الحركة الاشتراكية الأوربية وبين بناء الدولة الاشتراكية السوفيتية. ومنها الصراع الدائر بين الفكر الكولونيالي وفكر حركة التحرر الوطني الهادف إلى الاستقلال والسيادة الوطنية.

إن التيارات الفكرية الفرعية تحيلنا إلى عناوين النقاشات الفكرية الكبرى التي استعر أوارها ولازال متمثلاً برؤىً فكرية كثيرة منها ما هو مناهض للعنف (الثوري) الذي بشرت به ثورة أكتوبر الاشتراكية كما هو حال الاشتراكية الديمقراطية التي نادت بالشرعية الديمقراطية للوصول إلى السلطة السياسية. ومنها من ناهض البناء السوفيتي للاشتراكية واعتبار دولته رأسمالية بيروقراطية. وكذلك الصراع الدائر اليوم داخل تيار الليبرالية الجديدة وعلاقتها بنظام السوق حيث تركز السجال ما بين السوق الحرة المنفلتة من رقابة الدولة ونظمها الوطنية وبين السوق الاجتماعي المرتكز على التوازنات الاجتماعية.

إن الصراع الفكري الذي اشتعل أواره في القرن العشرين لا يمكن فصله عن الصراعات الفكرية التي كانت سائدة في القرن الذي سبقه والتي شكلت بدورها نزاعات فكرية كانت تدور حول القضايا الأساسية لمصير الإنسان وكرامته وخبزه وأمنه الاجتماعي.

انطلاقاً من تلك الرؤية المكثفة نحاول تثبت بعض الملاحظات الأساسية التي تشكل لنا منطلقات فكرية تحدد بنية التحليل اللاحق منها: ــــ

أولاً: ــــــ بات متعذراً مراجعة منجزات الماضي الفكرية بعقلية الحاضر استناداً إلى أن الظروف التاريخية التي اشترطت مضامين النزاعات الاجتماعية هي التي أفضت إلى صياغة التيارات الفكرية المتصارعة ورؤاها السياسية / الاجتماعية.

ثانياً: ــــ أصبح من غير المجدي إثارة الجدل حول الشرعية التاريخية لموديل فكري اشترطته ضرورات اقتصادية / سياسية سابقة بهدف تزكية موديل فكري آخر هو في المحصلة الأخيرة نتيجة لتطورات اقتصادية / سياسية معاصرة.

ثالثاً: ــــ إن تواصل السجال الفكري بين التيارات الفكرية المختلفة لا يمكن عزله عن المصالح الاقتصادية/ السياسية للقوى الاجتماعية الداخلية المتصارعة والمتشابكة مع المصالح الوطنية / الدولية.

ب : ــــ تيار المراجعة التاريخية ومراكزه الثقافية: ــ

بداية نشير إلى أن تيار المراجعة التاريخية الذي تحتضن نشاطه مؤسسات بحثية ومواقع فكرية / ثقافية هو أحد التيارات الرئيسية لليبرالية الجديدة.وهنا يواجهنا السؤال التالي ما هي الركائز الفكرية والأعمدة الثقافية لدعاة مراجعة التاريخ ؟ . وما هي السمات الأساسية لتلك الركائز ؟ .

محاولة التقرب من تلك الأسئلة لابد من حصرها بالعناوين التالية: ــــ

أولاً: ــــ الروح المثالية الرافضة لدراسة الموروث التاريخي انطلاقاً من تحديد قواه الفاعلة والصانعة لمنجزاته الاقتصادية / السياسية وتجلياتها الفكرية.

ثانياً: ــــ النبرة الأيديولوجية الصاخبة والروح العدمية المتلازمة ونفي الفكر الاشتراكي ومنجزاته الاقتصادية / الاجتماعية وتراثه الثقافي.

ثالثاً: ــــ التبشير بكونية الثقافة الأمريكية وتقاليدها الديمقراطية والدعوة إلى سيادتها في العلاقات الدولية.

إن السمات المشار إليها تشترط معاينة طبيعة المؤسسات البحثية الحاملة لتيار المراجعة التاريخية ومواقعها في الحياة الثقافية وتأثيراتها على مسار السياسية الدولية.

بداية نقول إن التغيرات التي طرأت على الفكر الليبرالي في مراحله التاريخية تقودنا إلى وضع تلك التحولات في إطارها الملموس بهدف معالجتها تاريخياً لذلك وبهدف حصر البحث في إطاره الزمني نعمد إلى متابعة تلك المتغيرات بمؤشرات عامة تاركين التعرض إلى التفاصيل لمعالجات لاحقة. وبهذا النسق التاريخي نعتمد الموضوعات التالية: ــ

1ــــ تلازم تطور الفكر الليبرالي مع تطور المنظومة السياسية للدولة الرأسمالية حيث اقترن ذلك التطور بهيمنة الطبقة البرجوازية المتحركة والمتكيفة على الحياة الاقتصادية / السياسية من جهة، وبمضامين وأشكال الصراعات الاجتماعية السائدة في اللحظة التاريخية الملموسة من جهةٌ ثانية. وبهذا المعنى نشير إلى أن الدولة القومية بوصفها المنتج السياسي الأبرز للطبقة البرجوازية كانت الحاضنة السياسية والقوة العسكرية المدافعة عن حركة راس المال الفكرية وشعاراته التاريخية.

2ــــ إن بناء الدولة القومية ترافق والتطورات الحاصلة على صعيد البناء الاجتماعي / السياسي المستند على القانون، الشرعية الديمقراطية، المواطنة وحقوق الإنسان.

3ــــ أفضت الصراعات الاجتماعية بين العمل ورأس المال إلى ظهور نماذج رأسمالية متعددة منها رأسمالية السوق الاجتماعي التي أملتها التوازنات الطبقية والسلم الاجتماعي كما هو الحال في ألمانيا وفرنسا. ومنها دولة الرفاه الاجتماعي كموديل للتضامن الطبقي كما في الدول الاسكندنافية . ومنها النموذج الليبرالي المعتمد على السوق الحرة للرأسمالية الأمريكية.

إن تعدد نماذج أنظمة السوق الرأسمالية المرتبطة بسياسة التوازنات الاجتماعية لا يمكن عزلها عن ازدواجية خيار التطور الاجتماعي التي فرضته الدولة الاشتراكية السوفيتية بعد الحرب العالمية الأولى.

4ــــ أدى التطور اللاحق لحركة رأس المال إلى ظهور نموذج الدولة الرأسمالية الاحتكارية التي اتسمت بتداخل وظائفها الاقتصادية / العسكرية مع حركة رأس المال التوسعية وبهذا المعنى فقد أصبحت مؤسسات الدولة الاقتصادية والعسكرية ورشاً حقيقية لتطور رأس المال الوطني فضلاً عن حماية ممراته الدولية بالقوة الدبلوماسية / العسكرية.

إن المنجزات الاجتماعية / السياسية الكبرى التي أفرزتها حركة رأس المال التاريخية تجري مساءلتها فكرياً في الظروف التاريخية المعاصرة وذلك بعد انهيار نموذج التطور الاشتراكي حيث تتعرض ركائزها (المنجزات) للتآكل بسبب انتقال حركة التوسع الرأسمالي من طوري المنافسة والاحتكار المبنية على قوة الاحتكارات الوطنية إلى طور

العولمة الرأسمالية المتسمة بتزايد حركة الاندماج والتركز والتمركز بين الاحتكارات الدولية.
5ـــ فرض الطور الجديد من العولمة الرأسمالية تحولات جدية على وظائف الدولة في المراكز الرأسمالية تتمثل في هيمنة الاحتكارات الدولية على الوظائف الأساسية للدولة (خصخصة الوظائف الأمنية والتشريعية) ووضعها في خدمة مصالحها الكونية. (1)
هذا الواقع المعاش يمثل مرحلة تاريخية جديدة في تجليات حركة رأس المال التوسعية حيث تتشابك وتتداخل أنشطة وحركة الطواقم البيروقراطية للدولة مع توجهات وحركة القمم القيادية للشركات الاحتكارية لتشكل في نهاية المطاف حركة واحدة تتماشى والمصلحة الدولية لحركة راس المال.
إن انتقال حركة رأس المال من طوره الاحتكاري المتشابك والدولة الرأسمالية إلى مرحلته المعولمة تلازم وتحولات في الفكر الليبرالي الذي انتقل بدوره من محيطه الوطني إلى فضائه الدولي مبشراً بحزمة من الأفكار الجذابة والتي يمكن تحديدها بالموضوعات التالية:ـــ
أ: ـــــ أفضت العولمة الرأسمالية إلى نشر الليبرالية الجديدة المستندة إلى مبادئ السوق الحر عبر تحرير الدولة من وظائفها الاقتصادية / الخدمية وحصر تلك الوظائف بالمهام القمعية.
ب: ـــــ تحرير الدول الوطنية من وظيفة السيطرة على ثرواتها الوطنية وربط حركة تطورها الاقتصادي بحركة تطور الاحتكارات الدولية.
ج: ـــــ تعطيل مبدأ السيادة الوطنية بهدف المشاركة في صياغة طبيعة الأنظمة السياسية للبلدان النامية بما يتلاءم ومصالح المراكز الرأسمالية.
د: ـــــ التدخل في الصراعات الوطنية عبر مساندة أطراف ليبرالية ضد أطراف اجتماعية أخرى وبهذا الاتجاه تكمن قوة العامل الخارجي في تقرير الشئون الداخلية.
خلاصة القول إن الليبرالية الجديدة بوصفها أيديولوجية رأس المال المعولم تتلخص أهدافها بالمهام التالية: ـ
1: ـــ إعادة البناء السياسي / الاقتصادي لدول العالم المخلفة بما يتناسب وحركة رأس المال الرأسمالي المعولم.
2: ـــ تعديل القوانين الناظمة للعلاقات الدولية وذلك بتغليب القوة العسكرية / الاقتصادية على منظومة توازن المصالح الدولية.
3: ـــ تحجيم الحريات الديمقراطية والمكتسبات الاجتماعية في المراكز الرأسمالية.
إن المهام التي تبشر بها الليبرالية الجديدة تقود إلى توتير التعارضات الاجتماعية وتقود إلى النزاعات الدولية والوطنية.
لقد ارتكزت الأفكار والآراء والشعارات التي تبشر بها أيديولوجية راس المال على حزمة من المؤسسات البحثية التي تشكل مراكز وورش أيديولوجية لنشر تلك المبادئ. وفي هذا السياق نتعرض إلى بعض تلك المؤسسات المؤثرة في السياسية الدولية والتي يمكن حصرها بـــــــ:
ـــ معهد أمريكان انتربرايز المسمى "قلعة المحافظين الجدد" والذي تأسس 1943، وهو أحد أكبر معاهد صنع القرار الأمير كي، ويعتبر من أكثر المراكز تأثيرا على إدارة بوش الابن وتنشط في أروقته مجموعة من المحافظين الجدد ذات الروابط القوية بالجناح اليميني في حزب الليكود في إسرائيل. (2)
ـــ معهد واشنطن للشرق الأوسط ومنتدى الشرق الأوسط وهما مركزان يعمل فيهما عدد كبير من الخبراء المتخصصين في الشرق الأوسط يسيطر عليهم التوجه المحافظ الجديد، ويظهر هؤلاء الخبراء بكثافة في أجهزة الإعلام الأمريكية، كما أنهم يدلون بشهاداتهم أمام لجان الكونجرس المختلفة.

ـــــ مؤسسة هيريتيج التي تم إنشائها عام 1973 كأحد المراكز البحثية التي تعني بالسياسات العامــة المحافظة القائمة علي مباديء وقيم العمل الحر وتحجيم دور الحكومــة فــي الاقتــصاد والحرية الشخصية وتقوية جبهة الأمن القومي والتقاليد والأعراف الأمريكية المحافظة. (3)

ـــــ منتدى الشرق الأوسط الذي يضم ثلاث من الشخصيات المهمة في معهــد واشــنطن تنتمي إلى المنتدى هم: روبرت ستلوف "مدير السياسة" وباتريك كلوسون ومايكل روبــين والذي يكثر من الكتابة في العديد من الصحف الأمريكية، ويرأس المنتدى دانييل بــايبس ويعمل فــي المنتــدى أيــضا الــسيد مــارتن كرامــر وهــو مــن معهــد واشــنطن..

ـــــ المعاهد والمؤسسات البحثية، ومراكز الدراسات، التي تخضع لهيمنة المحــافظين الجدد، ومن خلالها يمارسون تأثيرهم في صناعة القرار الأمير كي، وتوجيهه الوجهة التي يريدون. وفي مقدمتها معهد مشروع القرن الأميركي الجديد، تأسس ســنة 1997 تحــت رعاية"مشروع المواطنة الجديد"، وللمعهد علاقة مع"معهد التخطيط الأميــر كــي"هدفــه الترويج للزعامة الأمير كية العالمية. ورئيسه هو وليام كريستول. (4)

ـــــ إضافة إلى مؤسسة برادلي، ومؤسسة"الأميركيون من أجل النصر على الإرهــاب"، ومعهد هدسون، والمعهد اليهودي لــشؤون الأمــن القــومي، ومؤســسة الــدفاع عــن الديموقراطية، فان هناك الكثير من الصحف والمجلات المطبوعات التي تــروج لأفكــار المحافظون الجدد، وتوجهاتهم الفكرية والسياسية، منهــا: "مجلــة كــومنتري"، و"مجلــة ناشيونال ريفيو"، و"مجلة ويكلي ستاندارد" التي يرأس تحريرها وليم كريــستول، و"نيــو ريبابليك"، و"ناشيونال إنتريست"، و"بابليــك إنتريــست"، مجلــة «المحــافظين الجــدد» الأمريكية وغيرها. (5)

ج: ـــــ المراجعة العدمية للتاريخ : ـــــ

تتميز البيئة الفكرية الليبرالية بجملة من السمات العامة أهمها المراجعة التاريخية الــشاملة لسنوات القرن العشرين ومنتجاته الفكرية / السياسية / الاقتصادية، وتتركز هذه المراجعة على حزمة محاور فكرية / سياسية يمكن حصرها بثلاث مفاصل أساسية: ـــ

المفصل الأول: ـــــ تمجيد الليبرالية الجديدة المرتكزة على الشرعية الديمقراطيــة التــي أنتجتها التشكيلة الرأسمالية وبهذا الاتجاه يحاول اليمين الليبرالي والمحافظين الجدد إعــادة قراءة التاريخ بما يضمن تمجيد الحقبة الكولونيالية واعتبــار جرائمهــا خيــراً للــشعوب المستعمرة.، وتترافق عملية تمجيد الجيوش الغازية في التاريخ الاستعماري مع التــرويج للتدخل العسكري لفرض الديمقراطية على البلدان ذات الأنظمة الاستبدادية وكذلك تحطيم السيادة الوطنية لبلدان العالم الثالث . وتتناغم مع هذه التوجهات بعض فصائل الليبراليــة العربية رغم أن تمجيد الماضي ومباركة التدخل تحملها أشد القوى عدوانية في الرأسمالية المعولمة.

المفصل الثاني: ـــــ القراءة العدمية لمنجزات التجــارب الاشــتراكية وتجــاوز تراثهــا الاجتماعي /السياسي / الفكري ومساواته بالتراث الفاشي العنصري. وفي هــذا المــسعى نتابع محاولات الإلغاء الكامل لمنتجات الحقبة التاريخية الماضية بدءاً من تدخل الدولة في الاقتصاد لصالح التوازنات الاجتماعية إلى صيانة الثروات الوطنيــة مــروراً بــالحقوق التاريخية للكثير من القوميات المرتبطة ببناء الدولة الفدرالية السوفيتية وانتهاءً بــالرفض الشامل والمطلق للروح الإبداعية والبنى الثقافية للمجتمعات الاشتراكية. في هذا الإطــار نلفت الانتباه إلا أن القوى الليبرالية العربية وبعض الكتل اليسارية تتسابق مــع المراكــز البحثية الدولية للتشويش على تلك المنجزات في محاولة لتصوير التجارب الاشتراكية على

إنها أشد الحقب كارثية في تاريخ القرن المنصرم الأمر الذي يجعل التداخلات العسكرية والمآسي الإنسانية التي حملتها الجيوش الغازية للدول الكبرى عملية ضرورية لمسار الحضارة(الإنسانية).
المفصل الثالث: ــ مراجعة النزعة الاستقلالية لشعوب العالم الثالث وتصوير كفاحها الاجتماعي / السياسي ومنجزاتها الوطنية بأنه ضرب من هدر الفرص التاريخية لمسارات التطور التي اشترطتها الدول الكولونيالية.
لقد شملت تلك المراجعة منتجات الثورات الاجتماعية لشعوب العالم بوصفها ــ أي الثورات ــ المصدر الأول للمآسي التي لحقت بسير التطور الديمقراطي لشعوب العالم الثالث. وتناولت عمليات المراجعة محاولات تلك الثورات في أعادة التوازنات الاجتماعية وكذلك حصر الثروة الوطنية بيد الدولة الوطنية على أنها ضرب من الاعتداء على الملكية الخاصة المقدسة ويستند المراجعون الجدد في ذلك على ما آلت عليه النتائج النهائية لتلك المحاولات التي جيرتها القوى الطفيلية الماسكة بزمام السلطة لصالح إشاعة الاستبداد المبارك من القوى الخارجية. . وفي هذا المنحى يجري أيضا مناهضة التاريخ المفعم بالتضحية ونكران ألذات لنشاط القوى السياسية التقدمية وتصوير نشاطها بأنه ضرب من العبثية السياسية.
خلاصة القول إن المراجعين الجدد سعوا جاهدين إلى إخفاء الأسباب الحقيقة التاريخية التي أدت إلى تلك النتائج الكارثية.
المفصل الرابع: ـــ مباركة الغزو والعدوان وإدانة كفاح الشعوب وحق تقرير مصيرها في الاستقلال ونهج تطورها الاجتماعي وعد ذلك الحق مقروناً بموافقة (المجتمع الدولي) المتماشي مع مصالح الدول الكبرى. (6) .
إن مباركة الغزو والعدوان يتناغم وقضية مفصلية أخرى تتمركز حول التشويش على حق الشعوب في مقاومة الاحتلال والعدوان ولم ير المراجعون الجدد الجوانب الشاملة للصراع الدائر بين القوى المختلفة الدولية / الإقليمية / الوطنية بل توقفوا عند موضوعة استخدام العنف وربطه بـ (الإرهاب).(7)

المبحث الثاني : ـــ الليبرالية العربية الجديدة وجذورها الفكرية: ــ

نشأت الليبرالية الجديدة في بلادنا العربية في العقد الأخير من القرن المنصرم وذلك بعد انهيار الدول الاشتراكية ومنظومتها الفكرية / السياسية.وبهذا المنحى لعبت التطورات الدولية الجديدة المتمثلة (أ) بسيادة التطور الرأسمالي كخيار وحيد للتطور الاجتماعي ودخول العالم مرحلة العولمة الرأسمالية (ب) انتشار الليبرالية الجديدة وما حملته من أفكار وشعارات جذابة دفعت الكثير من الأوساط السياسية إلى تبني القيم الجديدة الناهضة.
إن انحياز الكثير من القوى السياسية والشخصيات العاملة في مجال العلم والثقافة إلى الأفكار الليبرالية لا يمنعنا من الاشارة على ملاحظتين أساسيين واحدة منها تتمثل في أن شعارات الليبرالية الجديدة والشرائح المثقفة العربية المنحازة إليها لا يعبر بالضرورة عن قوى اجتماعية تاريخية ناهضة تشكل في نهاية المطاف مرجعية وطنية لهذا البلد العربي أو ذلك. والملاحظة الثانية أن القوى الليبرالية العربية الناشطة لم تنصهر في كتلة سياسية موحدة الأمر الذي يطرح علينا ضرورة البحث في أصولها الفكرية / السياسية / الاجتماعية والتي يراها الباحث في الأصول التالية: ـــ
أولا: ـــ الليبراليين العرب الذين ترتبط مصالحهم مع القوى البيروقراطية في الدولة العربية حيث يتبنى هؤلاء الكتاب والصحفيون الليبرالية الجديدة بشقها الاقتصادي المتعلق بتحرير الدولة من وظائفها الإنتاجية / الخدمية وهذه الجمهرة من الليبراليين تعبر في نهاية

المطاف عن مصالح قوى طبقية جديدة في طور التكوين يمكن تسميتها بالكمبرادورية الجديدة تتشكل من اندماج قوى القطاعين الاقتصاديين الخاص والعام المترابطة أجندتهم الفكرية / السياسية مع الكتلة البيروقراطية في أجهزة الدولة والتي تسعى بدورها الاستحواذ على الثروات الوطنية تحت شعارات تحرير الاقتصاد الوطني من هيمنة الدولة الوطنية. (8)

إن اغتراب الكتلة البيروقراطية المتنفذة في الدولة عن المصالح الوطنية يتأتى بسبب رعايتها لمصالح القوى الطبقية الجديدة الناهضة في الدولة العربية المتحالفة والشركات الاحتكارية الكبرى الساعية إلى تأبيد السوق الحرة في العلاقات التجارية الدولية والرافضة لتدخل الدولة الوطنية في الأنشطة الاقتصادية.

أما الميزة الفكرية الثانية لهذا الفصيل الليبرالي فيمكن تلمسها في رؤيته الرافضة للديمقراطية السياسية واستبعاده لموضوعة التداول السلمي للسلطة تحت شعارات الخصوصية الوطنية والخشية من تفجر الأوضاع المحلية.

وتاسيسا على ما تقدم يخلص الباحث الى استنتاج مفاده أن هذه الشريحة الليبرالية تعبر في الظروف الراهنة عن مصالح التشكل الطبقي الماسك بزمام السلطة السياسية / الاقتصادية والمتشابك مع فعالية الشركات الدولية الكبرى وتوجهاتها التوسعية.

ثانياً: ــــ الليبراليون الجدد المنسلخون من الأحزاب التاريخية اليسارية منها والقومية والذين أصيبوا بخيبات متكررة سواء من الدولة القومية ذات النزعات الإرهابية وما قادته من دمار وخراب للبنى الاجتماعية / الاقتصادية أو تلك العناصر اليسارية التي ناصرت النظام الاشتراكي وروجت لعقلية الحزب الواحد وروحه الشمولية.

إن هذا الفصيل الليبرالي الجديد المحاط بهزيمة سياسية بعد تناثر تجربته الاشتراكية واختلال رؤيته لمضامين الديمقراطية السياسية / الاجتماعية المتوازنة اصطف في النهاية مع بعض طروحات المحافظين الجدد خاصة تلك الداعية إلى استخدام القوة لتغيير الأنظمة الاستبدادية والترويج لخراب الفوضى الخلاقة.

إن رؤية الباحث لهذا الفصيل تتكامل إذا أضفنا إليها السمات الأساسية التي لازمت حركته الفكرية والتي يمكن تليخصها بالمحددات التالية: ــــ

أ: ــــ تبني الأفكار والآراء الجاهزة بمعنى أن النتاج الفكري لهذا الفصيل الليبرالي لا يتعدى سوى التكرار المتواصل للآراء والأفكار التي تحدد مساراتها الأطوار المختلفة من حركة رأس المال التوسعية وهذا ما نراه في تبني هذه العناصر المثقفة للفكر الاشتراكي / القومي / في الماضي المنتج في ظروف تاريخية قد لا تتطابق مع الظروف التاريخية لبلداننا العربية.أو ما نشاهده اليوم في ظروفنا التاريخية المعاشة من تبني تلك القوى للفكر الليبرالي الذي تتدافع الرؤى والمصالح الدولية / الوطنية في تحديد مساراته . (9)

ب: ــــ غياب الرؤية التاريخية في التحليل وشدة الانتقال من موقع فكري إلى آخر الأمر الذي أضعف الرصانة العلمية عند كتاب هذه الشريحة الليبرالية وأبعدها عن المساهمة الجدية في حل المشاكل الفعلية لبلداننا العربية

ج: ــــ ابتعادها عن المصالح الحقيقية / الاجتماعية / الاقتصادية للناس، رغم إن أغلب عناصرها انخرطت في الكفاح السياسي مدافعة عن هذه الكتلة الاجتماعية أو تلك، وبهذا المسار فان رفعها لشعار المواطنة والذي يتفق الجميع حول أهميته يتزامن وتغييب طبيعة الكتل الاجتماعية الوطنية القادرة على تحقيق هذا المطلب القانوني.

ثالثاً: ــــ ليبراليو المنفى المبشرون بالجنة الموعودة والمنساقون مع التغيرات الجديدة التي أفرزتها العولمة الرأسمالية ورغم توافر الشروط الكثيرة للبحث في بلاد المهجر وإمكانية المساهمة في صياغة رؤى جديدة للتغيير في عالمنا العربي إلا أن هذا الفصيل بدا متيقناً بصحة الأفكار والشعارات التي تنتجها المراكز البحثية في الدول الرأسمالية المتطورة متجاهلاً وقائع وسمات التشكيلات الوطنية في بلداننا العربية.

إن التقسيمات المشار إليها وكذلك الجذور الفكرية / السياسية لعناصر التيار الليبرالي تقودنا إلى نتيجة واحدة تتلخص في أن التيار الليبرالي العربي هو تيار مفكك الأوصال يفتقر لقاعدة فكرية موجهة وهذا ما يجعل فعاليته السياسية وتأثيراته الآنية ذات أبعاد هلامية تتصف بضياع الهدف والرؤية المستقبلية.

استنتاجات

بعد هذا الاستعراض المكثف لمضامين المراجعة التاريخية والقوى الحاملة لها ومؤسساتها البحثية لابد من إبداء بعض الاستنتاجات التي أراها ضرورية لاستكمال الرؤية النقدية: ــــ
أولاً ــــــ تنطلق المراجعة التاريخية من الروح اللاإنسانية لليبرالية الجديدة المتشحة بالروح الانقلابية وحرق المراحل لتغيير العالم بعيداً عن تنوع تشكيلاته الاجتماعية ومستويات تطوره وتعدد ثقافاته الأمر الذي يهدد العالم بحروب ونزاعات متواصلة تحمل التدمير والخراب للمجتمعات الإنسانية. وبهذا المعنى تعد الثورة (الديمقراطية) الدائمة التي يعتمدها المراجعون والهادفة إلى تدمير الأنظمة الاستبدادية وتفكيك الثروات الوطنية وتوزيعها على الشركات الاحتكارية بمثابة عودة إلى موديلات فكرية وأساليب عنفية سبق وان اعتمدتها العسكرية النابليونية لتحرير أوربا من الإقطاعية وأنظمة الحكم المطلق إلى الحرية الرأسمالية. وإذا كانت النزعات الإمبراطورية الفرنسية لرأسمال نابليون هي المحرك الأساس لنشر الديمقراطية البرجوازية فان نزعات المحافظين الجدد هي تعبير عن الأحلام الإمبراطورية الأمريكية في مرحلة الرأسمالية المعولمة. في هذاالاطار يجاهد الليبراليون الجدد على التركيز على المثال الأمريكي ونقد الرؤية الأوربية لمسار تطور العلاقات الدولية مع إيمان عميق في بناء (عالم مغلق يرتكز على قواعد تتخطى القوميات والمفاوضات والتعاون) (10)
ثانياً ــــــ إن حقوق الإنسان المجردة والشاملة التي يحملها المراجعون الجدد تتخطى الإطارات الوطنية رغم إن تلك الحقوق تمتاز بسمات عديدة منها: ـــــ
أ:ــــ تاريخيتها بمعنى أن حقوق الإنسان تخضع لمستوى تطور التشكيلات الاجتماعية الوطنية المحددة تاريخياً وكذلك معايشتها لثقافة وطنية تشكل الإطار الحاضن لبنية تلك الحقوق ناهيك عن طبيعة القوى الاجتماعية المطالبة بها ودرجة تطور النظام الاقتصادي القادر على تحقيقها.
إن إطلاق صيغة الحقوق الشاملة والمجردة للإنسان يشكل في نهاية المطاف عملية تراجع حقيقية عن مواجهة الخطوات الفعلية الهادفة إلى تطبيق تلك الحقوق، ناهيك عن كون الحقوق الشاملة صيغة مثالية تتقارب ومفاهيم الأممية الشيوعية التي تبنتها الحركات الاشتراكية العمالية رغم أنها في حالة المراجعين الجدد هي وحدة دولية شكلية يكمن جوهرها في تحالف الشركات الاحتكارية ورأسمالها المعولم.
ب: ــــ إن حقوق الإنسان تكون مشروطة في الزمان والمكان مترابطة وبنية التناقضات الوطنية وبهذا فان تلبية تلك الحقوق باعتماد على العامل الخارجي لابد إن تترافق وإعادة التوازن الداخلي لمكونات التشكيلة الوطنية بمعنى توازن مصالحها الداخلية.
إن التجربة التاريخية التي أفرزتها السنوات الماضية تشير إلى وقوف العامل الخارجي إلى جانب كتل اجتماعية مقابل كتل أخرى الأمر الذي أفضى إلى تزايد حدة الصراعات الوطنية.
.

ج: ـــ إن الملاحظات المشار إليها تكتمل بموضوعة أخرى يكمن مضمونها في مطالبة المراجعون الجدد بإلغاء وظائف الدولة الاقتصادية / الخدمية وبذلك يصطفون مع النظرية الفوضوية و(حرب الجميع ضد الجميع) وذلك لعدم إدراكهم أن الدولة في البلدان النامية تشكل الإطار الضامن لوحدة التشكيلة الوطنية والعامل الأساسي القادر على توفير الحد الأدنى من التطور باتجاه الانتقال من النزعة القبلية إلى الروح الوطنية.

د: ـــ إن إشاعة الديمقراطية في العلاقات الدولية ونقلها من علاقات الهيمنة والتبعية إلى علاقات ترتكز على موازنة المصالح الوطنية / الدولية تشكل الإطار الضامن لتطور حقوق الإنسان في أطر وطنية متجاوبة والمتطلبات القانونية الدولية.

تلخيصاً يمكن القول إن المراجعة التاريخية كتيار في الليبرالية الجديدة يعبر عن المصالح الاجتماعية / الاقتصادية لأكثر القوى عدوانية في الرأسمالية المعولمة بسبب معتقداتها الأيديولوجية المرتكزة على تخطي الحدود واستخدام القوة وتفكيك الدول وبهذا فان فكر المراجعين الجدد يتماشى والفكر الفاشي الجديد المغلف بنبرة عنصرية أمريكية. هذا إذا اعتبرنا أن الفاشية الجديدة هي تزاوج النزعة العنصرية مع الروح الإمبراطورية المدعومة بالبوارج الحربية.

الهوامش والمراجع

1: ـــ يرى الباحث أن الاحتكارات الدولية تشترط عدم لجوء الدول النامية إلى قوانينها الوطنية في حل النزاعات بينها وبين الدولة، فضلاً عن مطالبتها بتكييف التشريعات الوطنية بما يتلاءم ومصالحها الاستراتيجية .

2: ـــ يشير تقرير واشنطن إلى أن المعهد يضم لين تشيني زوجة ديك تشيني وريتشارد بيرل رئيس اللجنة الاستشارية لوزارة الدفاع سابقاً وعضو مجلس إدارة الجيير وسالم بوست، كذلك دافيد وار مسر رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط في المعهد وصموئيل هنتنغتون، وإليوت كوهين، وغير ترد هيميلفارب، أعضاء في مجلس مستشاريها الأكاديميين.

انظر: ـــ تقرير واشنطن العدد 35 والمؤرخ 3 ديسمبر/كانون الأول 2005
http://www.taqrir.org

3: ـــــ رئاسة المؤسسة يقودها حالياً أدوين فولنر Edwin J.Fealuer وهو أحد المحافظين البارزين العاملين في العديد من اللجان الحكومية ومجالس الإدارة. في عام 1989منحـــه الـــرئيس الأمريكي رونالد ريجان وسام الرئاسة المدني إشادة بجهوده وتأثيره فـــي رســـم ملامـــح السياسات الأمريكية. ويشتهر خبراء مؤسسة هيريتيج بدورهم في رسم وتـــشكيل "مبـــدأ ريجان" أو Reagan Doctrine الذي كان مستخدماً إبان الحرب الباردة والـــذي صـــور الاتحاد السوفيتي علي أنه إمبراطورية الشر" والذي برر مساندة السياسة الأمريكية للحركة المناهضة للشيوعية في جميع أنحاء العالم.

انظر: ـــــ تقرير واشـــنطن العـــدد 35، المـــؤرخ 3 ديـــسمبر/كـــانون الأول 2005 http://www.taqrir.org

4: ـــــ تشير مجلة الغد إلى إن العديد من الذين كانوا على علاقة بالمعهد، يشغل مناصب رفيعة في الإدارة

الأمير كية الحالية. ومن الأسماء الموقعة على إعلان مبادئ المعهد؛ دونالـــد رامـــسفيلد، ديك تشيني، بول وولفوفيتز، إليوت برامز، وزالماي خليل زاد. والمعهد أصدر سلسلة من الرسائل المفتوحة والمذكرات، موجهة للرئيس، وافتتاحيات الصحف، مساهمة في توجيـــه السياسات العامة.

انظر: ـــــ مجلة الغد 12 أب إلى 2006 http://www.alghad.jo/index.php

5: ـــــ يشير تقرير واشنطن إلى أن حجم الاهتمام الذي تحصل عليه هذه المراكز يعتبر حجماً غير طبيعياً، فالأوصياء. (وفقاً لمجلة تقرير واشنطن) في لجارديان عن مراكـــز الأبحاث في 19 أغسطس 2002 فإن معهد واشنطن مثلا قام بنشر ما يصل إلى 90 مقالا بواسطة أعضائه في شكل مقالات افتتاحية في أشهر الصحف الأمريكية.ويـــرى تقريـــر واشنطن إن تأثير هذه المراكز يرجع إلى حجم التمويل الهائل الذي تملكه مـــن المـــانحين ومجالس الأوصياء .

انظر: ـــــ تقرير واشنطن العـــدد 35المـــؤرخ فـــي 3 ديـــسمبر/كـــانون الأول 2005 http://www.taqrir.org

6: ـــــ: أشارت شبكة النبأ المعلوماتية – إلى أن قانون 23 شباط فبرايـــر 2005 الـــذي أقرته الجمعية الوطنية الفرنسية والمتضمن تمجيد "الدور الايجابي للاستعمار الفرنسي فيما وراء البحار لا سيما في شمال أفريقيا" أوصى بان يدرج في الكتب المدرسية "الاعتـــراف بتضحيات مقاتلي الجيش الفرنسي المنحدرين من هـــذه الأراضـــي وإعطـــائهم الأهميـــة المرموقة التي يستحقونها".

في المقابل قال الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة في نهاية حزيران عام 2005 (إن هذا القانون يشكل ضرراً عقلياً يضاهي إنكار الجرائم).

انظـــر: ـــــــ شـــبكة النبـــأ المعلوماتيـــة الثلاثـــاء 18/ تـــشرين الأول/2005 http://www.annabaa.org

7: ـــــ: يرى الباحث إن واحدة من المفارقات المهمة في سياق مراجعة التاريخ تتمثل في أن المراجعة التاريخية تحمل ازدواجية صارخة فمن جانب هناك حرية واسعة في إعـــادة النظر في الحقائق التاريخية ومن الجانب الآخر هناك قوانين تعاقب من يحاول مراجعـــة التاريخ الأوربي والتشكيك بالهولوكوست.

انظر مثلاً في هذا المجال القانون الفرنسي الصادر عام 1990 المسمى بـقانون " فابيوس – جيسو والذي يقضي بمعاقبة من ينكر محرقة النازيين لليهود بالحبس لمدة سنة بالإضافة إلى غرامة مالية قيمتها ثلاثمائة ألف فرنك فرنسي.

انظر: ـــ مجلة البيان العدد 292 تشرين أول 2006 -http://www.albayan magazine.com

8: ـــ نقل جميل مطر عن الكاتب والت الذي أكد إن من سلبيات العولمة (الحلف «الصاعد» في كثير من الدول بين رأسمالية الدولة والقطاع الخاص، وتتضح خطورة هذا الحلف في حالة بالغة «الشذوذ» يلتزم فيها القطاع العام بقواعد العولمة ومبادئها ويلتزم فيها القطاع الخاص بقواعد هيمنة الدولة على الاقتصاد والتحكم في تسييره).

أنظر: ـــ جميل مطر / تشريح السياسة الأمريكية الحياة اللندنية بتاريخ14 أب 2006

9: ـــ أورد الكاتب جميل مطر عن مارك دانر مقالاً بعنوان الطريق السرية إلى الحرب نقل فيه عن مسئول أمريكي كبير في حديث مع صحافي في مجلة "تايم" الأمريكية قوله:

"نحن الآن إمبراطورية.. وفي كل عمل نقوم به نخلق واقعاً. وبينما أنتم منشغلون بدراسة هذا الواقع الذي خلقناه، نكون قد انتقلنا إلى عمل آخر، نخلق به واقعاً جديداً، تدرسونه هو الآخر، وهكذا تسير الأمور. نحن نصنع التاريخ. أما انتم، كلكم، فوظيفتكم الوحيدة دراسة ما نعمل".

انظر: ـــ جميل مطر الخليج الإماراتية بتاريخ 17 آب، 2006

10: ـــ أشار الكاتب ليون هادر إلى دعوة المؤرخ الأمريكي فكتور دافيس الأمريكيين والأوربيين إلى إدراك حقيقة أنهم متجهون نحو الانفصال الجيوـــ سياسي إن لم يكن نحو الطلاق.

انظر: ـــ ليون ها يدر عاصفة الصحراء/ فشل السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، إصدار الدار العربية للعلوم صفحة154

أنشطة مقترحة لتوظيف التفكر كمدخل لتدريس العلوم في المرحلة الابتدائية بمحافظات غزة

د.جمال عبدربه الزعانين
استاذ المناهج وطرق تدريس العلوم المساعد
جامعة الأقصى–غزة –فلسطين

الملخص

يسعى البحث الحالي لإلقاء الضوء على مفهوم التفكر كما ورد في القرآن الكريم من خلال تحديد هذا المفهوم ، واستنتاج مستويات المهارات العقلية الفرعية التي يمكن أن تنضوي

تحته ، واقتراح بعض الأنشطة العلمية لتوظيفه كمدخل لتدريس العلوم في المرحلة الابتدائيــة فــي محافظات غزة،وفي سبيل ذلك اتبع الباحث المنهج الإسلامي في تحليل بعض النــصوص القرآنية بهدف استنتاج وتحديد مفهوم التفكر ، وما يمكن أن يندرج تحته مــن مــستويات تفكير فرعية ، وبعد تطبيق إجراءات البحث تمكن الباحث من تحديد عــشرة مــستويات تفكير فرعية تتضمنها عملية التفكر وهي:-الانتباه-التأمل- الاهتمام بما يحيط بالإنسان-ربط المشاهدات في مدرك واحد- تفسير بعض العمليات-تحليل رواية واقعية-الاستدلال-اتخاذ القرار- التخيل –الابداع.وفي ضوء هذه المستويات اقترح الباحث مجموعــة مــن الأنشطة العلمية التي يمكن أن تستخدم كمدخل لتوظيف التفكر في تدريس العلــوم فــي المرحلة الابتدائية في محافظات غزة.

Abstract

This paper aims at illuminating the intellectual contemplation on explained in the holy Quern to identify accurately this concept, along with pointing out the various mental skills related, and suggesting certain scientific activities as an approach to witless such skills in teaching science in the primary stage in Gaza Governors.Yet, for this purpose the researcher follow the Islamic methodology in analyzing certain Quranic texts to identify the above concept and all relevant aspects, However, the researchers has clarified ten levels included in the thinking process as follows, contemplation, awareness, full-interest of social surroundings, connecting all human observations in organic vanity - interpretations of certain operations, analyzing realistic stories - forecasting - decision making - imagination and creativity.In conclusion, the researcher suggested group of scientific activities which can be utilized in teaching science in the primary stage of Gaza Governorates.

أنشطة مقترحة لتوظيف التفكر كمدخل لتدريس العلوم في المرحلة الابتدائية بمحافظات غزة

مقدمة:

الإنسان خليفة الله في الأرض ، أوسع الكائنات معرفة، وأرقاها لغة وأعمقها فكرا وثلاثتهما – المعرفة والفكر واللغة – أهم ما يميز الإنسان ويؤهله للخلافة فــي الأرض ، وهي تتفاعل مع بعضها لترتقي به وببيئته ، ولتصنع الحضارة علي عينه .

والتفكير موضوع قديم حديث متجذر متجدد ، أظهر التربويون أهميته سواء أكــان ذلــك علي المستوى العالمي أم علي المستوى العربي ؛ فظهرت المقالات ذات العلاقة والمؤلفات ، والبحوث المهنية والأكاديمية ، والمقاييس والاختبارات . وتجاوز موضوع التفكير مجال علم النفس إلي فروع التربية كالمناهج وطرق التدريس ، وتشعبت أنواعه وعرف التفكير

المسالك إلي المناهج : العلمي والإبداعي والناقد ، إلي جانب التفكير الاستدلالي الذي طالما استخدمه الباحثون المسلمون في اجتهاداتهم الفقهية وبحوثهم الدينية .

وعقدت المؤتمرات ذات العلاقة الكلية أو الجزئية ؛ بالتفكير ، وتشكلت المجالس القومية ومنها اللجنة التربوية للولايات المتحدة الأمريكية (1982) ، ومجلس الكليات (1983) . ثم تعددت واتسعت جهودها لتشمل الممارسات التربوية في المدارس والمناهج المختلفة ، وبرامج التطوير والتحديث .

وفي العالم العربي عقدت بعض المؤتمرات المتعلقة بالتفكير ، فقد عقدت الأونروا مؤتمرا للقادة التربويين عام (1998) بالأردن ، قدمت فيه العديد من البحوث ذات العلاقة . وقد أدي ذلك إلي اهتمام دائرة التربية والتعليم التابعة للأونروا بالتفكير كهدف من أهداف المناهج بالدول المضيفة للاجئين الفلسطينيين (دائرة التربية والتعليم ، 1999) . كما اهتمت خطة المنهاج الفلسطيني بالتفكير ولكنها نظرت إلي التفكير علي أنه أنواع يتم تعلمها والتدريب عليها منفردة . (وزارة التربية والتعليم ، (1993) ، لكن التطبيق العلمي ما زال بعيدا .

ورغم أن بعض أساتذة التربية يرون أن التفكير عملية شاملة إلا أن البحوث اهتمت لأسباب منهجية بنوع واحد من أنواعه في الدراسة الواحدة .

ومن الدراسات التي اهتمت بالتفكير العلمي دراسة (عطا الله ، 1992)،(نشوان ، 1993)،(اللولو ، 1996) ومن الدراسات التي اهتمت بالتفكير الابتكاري أو الإبداعي(البحيري، 1988) وراشد (1994) شبارة وشحدة (1994) وسعودي (1998).

ومن الدراسات التي اهتمت بالتفكير الاستدلالي دراسة نافع (1992) ، ودراسة أبو الجديان(1999) ، ومن الدراسات التي اهتمت بالتفكير الناقد دراسة علي (1992) ودراسة عفانة (1998) .

وهناك بحوث تناولت أكثر من نوع من التفكير ولكن استخدام كل منها جاء منفصلا عن الآخر مثل دراسة (عفاف حماد ، 1994) حيث اهتمت بكل من مهارات البحث العلمي والتفكير الابتكاري .

وهناك دراسات قليلة تناولت العمليات العقلية في القرآن مثل دراسة عبد الله (1995) ،ودراسة الزعانين (2002) ، وحيث أن التفكير بأنواع مختلفة مطلب قرآني إلا أن الدراسات والبحوث التي أجريت في هذا المجال قليلة ولا تتحدد فيها أنواع التفكير بدقة بل أنها تستخدم بمعني متقارب فالتدبر والتفكر قد تستخدم معا للتعبير عن التأمل وهكذا.

وفي بحث أجراه إحسان الأغا (2003) حدد أنواعا من التفكير وردت في القرآن ، ومن هذه الأنواع التعقل ، والتذكر ، والتدبر، النظر ، والتفكر وقد حاول الباحث أن يميز بين هذه الأنواع فقدم تعريفا لكل منها وحدد وظائفها . ثم وضعها في ترتيب متدرج ويتضمن كل نوع ما قبله من الأنواع . ثم قسمها إلي قسمين :

القسم الأول : ويتضمن أنواع التفكير ذات التركيز علي فقه الأشياء فهما واستدلالا ، **وفيه أنواع ثلاثة مرتبة تصاعديا من حيث مستواها :**

-**التعقل** : وهو يختص بالفهم واكتساب المعرفة وقواعد السلوك .. وهو واجب علي بالمسلم السوي باعتباره مطلوب كحد أدني للقيام بالواجبات الدينية أو واجبات المواطنة.

-**التذكر** : وهو يختص بالاستدلال لاستخلاص العبر والتهيئة العقلية وهو للصفوة أو أولي الألباب.

-**التدبر** : وهو يختص بالنظرة الشاملة المدققة للنظام الذي يتضمن تفاصيل فيها وفيما بينها أتساق ومعرفة تحتاج فكرا ناقدا واحتكاما إلي العقل ضمن حدود إيجابية واضحة.

القسم الثاني : ويتضمن نوعين من التفكير ذات التركيز علي الذاتية الفردية في الاكتشاف والتأمل وهما النظر والتفكر :

النظر : هو يختص بالتفحص والتمحيص والتحليل لمعرفة الأشياء والظواهر والسلوك ، والذهاب إلي ما وراء المعرفة .

التفكر : وهو توظيف الفهم والخبرة والخيال للتأمل في الظواهر والسلوك بهدف اكتشاف الحكمة من وجودها والاتساق بينها والعلاقات داخلها وبينها وبين غيرها.

ورغم أن القرآن ليس كتاب علوم ولا كتاب تدريس علوم إلا أنه كتاب تربية وفيه من الأفكار والنماذج ما يمكن الاستفادة منه في التربية ،ولاسيما في التربية العلمية من خلال تنمية التفكير بأنواعه المختلفة .وفي محاولة لتوظيف التفكير في تدريس العلوم في هذا البحث تم اختيار التفكير من نوع التفكر وذلك لأسباب عدة – هي من وجهة نظر الباحثين– على النحو التالي :

-أنها أرقى أنواع التفكير التي وردت في القرآن .

-أنها شاملة للأنواع الأخرى من التفكير التي وردت في القرآن.

-أنها ترتبط – كما ظهرت في الآيات القرآنية – بقضايا عامة شاملة تتصل بالكون والحياة والإنسان ،والظواهر الطبيعية والسلوك ، وهي قضايا تهتم بها العلوم الطبيعية والتربية العلمية.

-أنها ترتبط بأهداف متنوعة لا تتوقف عند حد المعرفة أو الفقه ، وإنما تتصل بالإبداع ،ويساعد ذلك على النمو العقلي ،كما أن التنوع يؤدي إلى الاستفادة من الفروق الفردية في توظيف الخيال والاستكمال والاكتشاف.

-أنها تتضمن أنواع من العمليات العقلية تكاد تشمل عمليات التفكير العلمي المعرفة.

مشكلة البحث :

يسعى البحث الحالي إلى الاستفادة من مفهوم التفكر كنوع من أنواع التفكير كما جاء في القرآن في تدريس العلوم وربما في التربية العلمية . وبالتالي فإن موضوع البحث يتحدد في : "التفكر كمدخل في تدريس العلوم في مدارسنا" ، **وقد تحددت مشكلة البحث في الأسئلة البحثية التالية :**

1. ما التفكر ؟
2. ما مستويات عملية التفكر كما جاءت في القرآن الكريم؟
3. ما الأنشطة العلمية المقترحة لتوظيف التفكر كمدخل لتدريس العلوم في المرحلة الابتدائية بمحافظات غزة؟

أهداف البحث :

يسعى البحث الحالي – من باب الاتصال بالأصالة والتراث الثقافي بمحوره العقائدي – إلى توظيف الفكر الإسلامي القرآني في الاهتمام بالتربية العلمية باعتبار أن العلم والاتجاهات الإيجابية ركيزتان من ركائز التقدم واستقرار المجتمع ،وأن التفكير ركن من أركان اكتساب المعرفة ونمو المفاهيم واستثمارها في التطبيقات العملية المجتمعية والتنمية .ومن أهداف البحث تحديد مفهوم التفكر وارتباطه بأنواع التفكير الأخرى ، وتحديد وظائف التفكر وبيان كيفية الانتفاع به في التعليم الرسمي.

أهمية البحث :

1-تجديد الاهتمام بالتفكير وتوظيفه وربطه بالدين باعتباره عبادة ذلك أن "التفكر في خلق الله عبادة" .

2-مساعدة الباحثين المسلمين على التفكير في الأنواع المختلفة التفكير "التفكير في التفكير" .
3-تقديم اقتراحات تساعد المعلمين والموجهين على تضمين التفكر في الأنشطة التعليمية .

حدود البحث :

1-يتحدد البحث الحالي بمفهومات التفكير كما حددها الباحث ، وبالأنواع الخمسة للتفكير .

2-يقتصر البحث على التفكر دون الأنواع الأخرى التي وردت في القرآن .

3-البحث الحالي هو صورة أولية يحتاج إلى تدقيق والاستعانة بمزيد من الحكام لتحكيمه .

4-تقتصر الأنشطة المقترحة لتوظيف التفكر كمدخل لتدريس العلوم على بعض الدروس العلمية المقررة على طلبة المرحلة الابتدائية كأمثلة يمكن الاستعانة بها، وذلك دون تجريبها بسبب الأوضاع الأمنية المعقدة والخطيرة التي تمر بها المسيرة التعليمية في فلسطين ، الأمر الذي يستوجب الاهتمام فقط بالدروس اليومية.

منهج البحث :

يمكن القول بأن البحث الحالي أقرب إلى البحث الأساسي حيث تم تحديد واستخلاص أفكار أصيلة تتعلق بالتفكير أو التفكر على وجوه الخصوص وتم تمييزه عن غير من الأنواع وتصنيفه في مستويات وهو ما لم يتم -في حدود علم الباحثين- من قبل .
واتبع الباحث خطوات منظمة واضحة محددة قد ترتقي إلى منهجية علمية يعتقد أنها تناسب الموضوع .

خطوات إجراء البحث :

سار البحث وفق الخطوات التالية:

1-مراجعة أدبيات الموضوع من حيث مناقشة مفاهيم التفكير وأنماطه المختلفة.

2-استخدام المنهج الإسلامي في التحليل بهدف استنتاج مفهوم التفكر والعمليات التي تنضوي داخله.

3-إعداد مجموعة من الأنشطة العلمية لمستويات التفكر،بحيث تم اقتراح نشاط واحد لكل مستوى.

4-عرض الأنشطة على مجموعة من معلمي العلوم في المرحلة الابتدائية لمعرفة مدى مناسبتها لمستويات التفكر المختلفة.

تحديد المصطلحات :

- **التفكير :** هو نشاط عقلي أدواته الرموز والصور الذهنية والألفاظ أو الرموز والأخيلة وهو يختلف عن الإحساس والإدراك ويتجاوزهما إلى التجريد والأفكار المجردة.
- **التفكر :** وهو توظيف الفهم والخبرة والخيال في تأمل الظواهر والسلوك بهدف اكتشاف الحكمة من وجودها والاتساق .
- **عمليات التفكر :** الأنشطة العقلية التي يستخدمها المتفكر للإجابة عن أسئلة يهتم بها.
- **توظيف التفكر:** حسن استخدام عمليات التفكر في الوصول إلى الهدف من القيام به وذلك في مواقف محددة .

الطريقة والإجراءات:

سار البحث وفق الإجراءات التالية:

أولا:الإجراءات الخاصة بتحليل مفهوم التفكر ومستوياته:

تم اتباع المنهج الإسلامي في التحليل بهدف تحديد مفهوم التفكر ومستوياته وفق الخطوات التالية:

1-تحديد المفاهيم المراد دراستها :
وقد تم تحديد خمسة مفاهيم هي التعقل والتذكر والتدبر، والنظر والتفكر .وتم ذلك من خلال الخلفية التي تكونت للباحث من القراءات السابقة أو تلاوة القرآن عدة مرات سابقة .
2-حصر الآيات التي تتضمن المفاهيم المحددة أو مشتقاتها:
وتم ذلك باستخدام مصدرين :أولهما المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،وثانيهما المسح الكمبيوتري.
3-تحديد الآيات (السابقة) المرتبطة بالآية التي تتضمن المصطلح والمفهوم والتي تكمل المعنى الذي تردد في الآية .
4-التعرف على تفسير الآيات لفهم المعنى الحقيقي والشامل للآيات كما أورده المفسرون.
5-استقراء المقصود بالمفهوم من جملة الآيات التي تضمنته.
6-تحليل الآيات لاكتشاف العمليات أو الوظائف التي تتبدى في الآيات المحددة .
7-المقارنة بين أنواع التفكير التي وردت في القرآن لتصنيفها في مستويات متدرجة تحددها طبيعة الأنواع ومستوياتها .
صدق التحليل :
للاطمئنان إلى صدق التحليل وفق المنهجية المذكورة ، قام الباحث بما يلي:
1-عرض المنهجية المتبعة على مجموعة من الزملاء لتقويمها وتعديلها.
2- عرض نتائج البحث على مجموعة من أساتذة الشريعة وأصول الدين للتأكد من الابتعاد عن الفهم الخاطئ للآيات وسلامة الاستقراء وإتساق النتائج مع الفهم العام للإسلام .
ويلاحظ أن المنهجية المتبعة هي منهجية إسلامية في التحليل والاستنباط حيث تزيد عن أساليب تحليل المحتوى في أمرين :
الأمر الأول :
إن فهم النصوص "الآيات" يستند إلى التفسير في كتب التفسير وليس على مجرد الفهم اللغوي أو الثقافة الدينية فقط.
الأمر الثاني :
محاكمة النتائج في ضوء الفهم العام للإسلام حتى لا ينتج أي تعارض وفي حالة التعارض يتم التخلي عنها لصالح الفهم العام للإسلام.
وقد أبدى بعض المحكمين ملاحظات بسيطة حول مفهوم التفكر ،وإعادة ترتيب مستوياته بما ينسجم مع مراحل العمليات العقلية بحيث تكون أكثر منطقية ،وتراعي التدرج في طبيعة المهمات العقلية المستخدمة في كل مستوى من مستويات التفكر المختلفة.
وفي ضوء هذه الملاحظات قام الباحث بإدخال بعض التعديلات التي تستجيب لملاحظات المحكمين المشار إليها سابقا.
ثانيا:الإجراءات الخاصة بالأنشطة المقترحة:
لتصميم هذه الأنشطة قام الباحث بما يلي:
1-تحديد مستويات عملية التفكر : وذلك من خلال نتائج تحليل الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي تحمل مضمون عملية التفكر ، وما يندرج تحتها من مستويات فرعية، وهي -:
الانتباه-الاهتمام بما يحيط بالإنسان- التأمل-ربط المشاهدات في مدرك واحد-تفسير بعض العمليات-تحليل رواية واقعية- الاستدلال-اتخاذ القرار-التخيل -الابداع.

2-الإطلاع على جميع المقررات الدراسية في كتب العلوم للمرحلة الابتدائية في محافظات غـزة , (المنهج فلسطيني) ، وذلك بهدف التعرف إلى الموضوعات العلمية المقررة على تلاميـذ هذه المرحلة .

3-الإطلاع على العديد من الأنشطة العلمية المقترحة لتنمية أنماط مختلفة من التفكير لدى فئات مختلفة من الطلبة والتي وردت في العديد من الدراسات السابقة مثل دراسة (أيمـن سعيد،2000) ودراسة (سحر عبد الكريم2000)،ودراسة (عفت الطناوي ،2000) ، ودراسة (حمدي البنا،2000) ، ودراسة(عمر غباين2001) 0 وذلك بهدف الاسـتفادة من هذه الدراسات في كيفية تنظيم الأنشطة المقترحة المتعلقة بالتفكر كمـدخل لتـدريس العلوم في المحلة الابتدائية في غزة0

4-اختيار مجموعة من دروس العلوم لطلاب المرحلة الابتدائية عشوائيا لتوظيف التفكـر مدخلا لتدريس هذه الموضوعات وهي:

الوزن للصف الثالث الابتدائي -التكيف عند الحيوانات للصف الثالث الابتـدائي-الغـذاء والكائن الحي للصف الخامس الابتدائي-أثر الكائنات الحية الدقيقة فـي الحيـاة للـصف السادس الابتدائي-التكاثر في النباتات للصف السادس الابتدائي-الحجوم للـصف الثالـث الابتدائي-المواد المغناطيسية وغير المغناطيسية للصف الخامس الابتدائي-نظافة الغـذاء وسلامته للصف الخامس الابتدائي-الأدوات للصف الثالث الابتدائي-حالات المادة للصف الخامس الابتدائي.

5-تصميم الأنشطة العلمية بواقع نشاط واحد لكل مستوى من مستويات عمليـة التفكـر المشار إليها سابقا ، بحيث تشكل هذه الأنشطة مدخلا لتوظيف مستويات التفكر في دروس العلوم التي تم اختيارها سابقا ،وقد روعي في هذه الأنشطة ما يلي:-

أ-ارتباط النشاط بمستوى التفكر الفرعي الذي صمم له .

ب-قصر مدة النشاط ، بحيث يشكل مدخلا للدرس الجديد.

ج-ارتباط النشاط بالمادة العلمية للدرس الأصلي .

د- مناسبة النشاط لمستوى التلاميذ العمري والعقلي .

ه-مراعاة النشاط للفروق الفردية بين التلاميذ.

6-عرض الأنشطة على عينة من معلمي العلوم بالمرحلة الابتدائية لإبداء الرأي فيها من حيث المعايير المشار إليها سابقا ، وتعديل هذه الأنشطة في ضوء ملاحظاتهم .

نتائج البحث:-

أولا :النتائج المتعلقة بالسؤال الأول

يدور السؤال الأول من أسئلة البحث حول مفهوم التفكر كما ورد في آيات متعـددة فـي القرآن الكريم ، وللإجابة عن هذا السؤال اتبع الباحث المنهج الإسلامي في تحليل بعـض الآيات القرآنية ، وقد أسفر ذلك عن تحديد مفهوم التفكر كما يلي:

مفهوم التفكر :

التفكر لغة إعمال المخاطر في الشيء .قال الجوهري: " التفكر بمعنى التأمل وقال الليث:" التفكر اسم التفكير ". (ابن منظور،1120) .والتفكر هو صورة من صور التفكير حيـث هناك صور أخرى كالتعقل والتدبر والتذكر، والنظر. ويذكر (أبو الجديان،1999:26) نتيجة لتحليله لأنواع التفكير مستعينا بمراجع متعددة أنه ذروة سنام القدرات العقلية (أبـو الجديان،1999: 26) . وهو ينشأ بتأثير مثيراً خارجية وينتهي باتخاذ موقف عقلي نشط – في العادة– نحو ما تم التفكير فيه من ظواهر وسلوك ولا يتوقف المتفكر عـادة عنـد حدود الظاهرة ، فقد يتعدى ذلك إلى تكوين فرضيات بشأنها تشكلها تصوراته الذهنيـة أو مشروعاته التصورية. أو تكوين تعميمات . تؤدي إلى اكتشاف التعدديـة فـي النظـام،

والنظام في التعددية . أو اكتشاف جزيئات متبلورة متمايزة متعددة في الظاهرة ثم التواصل إلى تعميم يربط بين الجزيئات المتجانسة المترابطة هذه.

للتفكر جانبان :

ويؤدي التعميم المكتشف– في كثير من الأحيان– إلى تكوين رأي بشأنه أو حدوث ميل تجاهه وتجاه الظاهرة يحدد مستقبل الاستمرار في تفحصها ومعاودة التفكير فيها ، والتعمق في سبر غورها. وهو ربما يؤدي إلى الابتعاد عنها والانصراف إلى غيرها، ذلك أن العقل يرفض التوقف عن التفكير ، فالتفكير دليل وجود العقل ، وعمقه يدل على سعة المخ . أما غياب التفكير بمؤشر لتعطله أو ذهابه الأمر الذي يسقط التكليف عن صاحبه والميل والنفور ، والإقبال والعزوف ،والإقدام والإحجام (كل على حده) إنما هو دليل على أن جانب وجدانيا انفعاليا أحاط بالجانب العقلي وهكذا فإن للتفكر جانبان : جانب عقلي ،وجانب وجداني يدعم كل منهما الآخر .

التفكر في القرآن الكريم:-

ورد التفكر كعملية أو صورة من صور التفكير في القرآن أو كدعوة لعمليات عقلية مطلوبة للإنسان العاقل الفاعل ورد كمصطلح صريح (17) مرة في (12) سورة من سور القرآن الكريم ، منها (12) مرة في السور المكية،و (5) مرات في السور المدنية.
والتفكر يتضمن صورا عقلية، وعمليات متضمنة فيما دونه من أنواع التفكير كالتعقل والتذكر والتدبر ،والنظر .وهذا التضمن افتراضي أولي لدى الباحثين وليس مسلمة عامة.
ويذكر أبو الجديان(1999:26) ،نتيجة لتحليله لأنواع التفكير مستعينا بمراجع متعددة أن التفكر والتفكير التأملي يشيران إلى مفهوم واحد– تقريبا– ولكن الباحثان يدعيان أن التفكر يتضمن أنواعا أخرى من التفكير وقد يتضمنها كلها بدرجة أو بأخرى تماما ، كما يمكن للتفكير التأملي أن يتضمن أنواعا أخرى من التفكير .حيث يذكر (حبيب :1996:46) أن التفكير التأملي يقوم على تأمل الفرد للموقف الذي أمامه وتحليله إلى عناصره ، ورسم الخطط اللازمة لفهمه حتى يصل إلى النتائج ،ثم تقويم النتائج في ضوء الخطط . ويرى المؤلف أن تقويم النتائج في ضوء الخطط هو نوع من التفكير المنطقي وحتى الناقد .

ما المقصود بالتفكر :

التفكر أحد صور التفكير التي وردت في القرآن ، بل هو أرقى أنواعها وهو –كما قدمنا– ذروة سنام القدرات العقلية (أبو الجديان، 26) وهو ينشأ بتأثير مثيرات خارجية عندما يجول الإنسان بفكره ويتفحص المشاهد البيئة والظواهر الطبيعية والآيات الكونية يتخذ موقفا عقليا نشطا .ولا يتوقف الإنسان– غالبا– عند ذلك ، بل ربما يتعداه إلى تكوين فرضيات تشكلها تصوراته الذهنية أو مشروعاته التصورية أو إلى التوصل إلى تعميمات أو اكتشاف التعددية في النظام ، والنظام في التعددية ، أي إلى اكتشاف جزيئات متبلورة متمايزة متعددة في الظاهرة ثم التوصل إلى تعميم يربط بين الجزيئات المتجانسة المترابطة.
ويؤدي الارتباط الجديد للأشياء – غالبا– إلى تكوين رأي بشأنها أو حدوث ميل تجاهها أو نفور منها يحدد مستقبلا الاستمرار في تفحصها ومعاودة التفكير فيها وهو ربما يؤدي إلى الابتعاد عنها والانصراف إلى غيرها ، ذلك أن العقل يرفض التوقف عن التفكير ،

فالتفكير دليل وجود العقل وغياب التفكير مؤشر لتعطله أو ذهابه. وهذا الميل والنفور والإقبال والعزوف ، والإقدام والإحجام إنما هو جانب وجداني انفعالي .
وهكذا فإن للتفكر خطان : عقلي ووجداني يدعم كل منها الأخر .
ويؤدي اكتشاف الاتساق بين المشاهد أو الآيات في الظواهر الطبيعية (والسلوكية) المتعددة إلى الميل نحو تأمل البيئة والاهتمام بها ونحو التنظيم الكوني وتسخيره لخدمة الإنسان ،وإلى الإحساس بالجمال من هنا ينشأ الإبداع . والتنظيم كقيمة فكرية وجدانية يتحول إلى إيمان يوفر الشعور بالطمأنينة ويثري الأحاسيس ويغني التذوق الجمالي فتتعمق خطوط الفن في التواصل الفكري ، وتتبدى أطياف النور الإلهي ويشكل الميل الإيجابي نحو الطبيعية والناس ، ونحو الكون ومنظمه ،ونحو تسخيره لخدمة الإنسان يشكل الدافعية للمشاركة الاجتماعية ،مما يزيد من رغبة المرء في التفاعل المثمر معها وإلى العمل على الإفادة من المواقف لصالح الكل الذي ينتمي إليه الفرد.
إن تعدد الصور أو الآيات المفحوصة وتعدد العمليات العقلية المتوفرة للفاحص والخبرات الشخصية له تؤدي إلى تنوع نتائج الفكر والعمل من شخص إلى أخر ،مما يؤدي إلى الإبداع .

في هذه الاستنتاجات يقترح الباحثان التعريف التالي للتفكر:

"هو نشاط عقلي وجداني لفحص مدلولات الأشياء ،ومكونات الظاهرة المدركة مع التخيل وتوظيف الفهم والخيال للتأمل في الظواهر والسلوك لإدراك الحكمة من وجود الأشياء وما بينها من علاقات كلية أو نظام عام تمهيدا لاتخاذ ما يلزم من عمل للإيفاء باستحقاقات هذا الاكتشاف ، وهو ذروة سنام التفكير. (الأغا،2002: 80)

النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني:

يدور السؤال الثاني من أسئلة البحث حول مستويات التفكر، وفي سبيل الإجابة عن هذا السؤال اتبع الباحث المنهج الإسلامي في تحليل بعض النصوص القرآنية ، وذلك بهدف استنتاج مستويات عملية التفكر كما وردت في القرآن الكريم ،وقد أسفر هذا التحليل عن العمليات التالية:

عمليات التفكر :

يتضمن التفكر مجموعة كبيرة من العمليات العقلية التي تتأثر بإدراك المشاهدات . وتؤثر في إعادة النظر فيها والتحقق منها . وتتم هذه العمليات بمقدار ما لدى المتفكر من اهتمام واستعداد ، وصفاء ذهني ، وبما يبذله من جهد ، وبمقدار ما يفتح الله عليه . ومن هذه العمليات التأمل والاهتمام بما يحيط بالإنسان ، والانتباه إلي سعة مجالات التفكر ، الإبداع ، اتخاذ قرار ، الاستدلال ، التخييل ، التفسير ، التحليل ، الربط ، والاقتناع بالاستحقاقات .

أولا:–التأمل :

وهو الاجتهاد في التعرف علي ماهية شئ معين أو ظاهرة محددة وتحليل مكوناتها ، والتعرف علي السلوك ودوافعه ، وتحليل المكونات والذهاب إلي ما ورائها ، والاستدلال علي الحكمة من وجودها.
ويؤدي التأمل الهادف المبني علي حب الاستطلاع الموجه للإجابة عن سؤال محير إلي الاهتمام بما يحيط بالإنسان ، وإلي الانتباه إلي سعة المجالات التي تحتاج إلي البحث والتفكير . **والآن تأمل الآيات التالية :**
" خلق السموات والأرض بالحق تعالي عما يشركون * خلق الإنسان من نطفه فإذا هو خصيم مبين * والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلي بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم بكم لرءوف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون

* وعلي الله قصيد السبيل ومنها جائر ولو شاء ربك لهداكم أجمعين * هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه تشربون ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم بــه الــزرع والزيتــون والنخيــل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لأية لقوم يتفكرون * . (النحل الآيات 3-11) .

ثانيا: الاهتمام بما يحيط بالإنسان من موجودات أو مخلوقات

يؤدي تأمل ما يحيط بالإنسان من مشاهد وظواهر ، وما يترآئى له من آيات إلي اكتشاف الاتساق بين المشاهد أو الآيات في الظواهر الطبيعية المتعددة كما يؤدي إلي الميل نحــو الاهتمام بالبيئة المحيطة والتنظيم الكوني البديع ، وتــسخيره لخدمــة الإنــسان ، وإلــي الإحساس بالجمال الذي يؤدي إلي الترويح ويمهد التربة لبذور الإبداع . والترفيه هنا يأتي من تأمل المشاهدات بتعددها وتنوعها وشمولها والترفيه عن النفس هنا ممــزوج بحــب الاستطلاع ومحاولة معرفة كنه الأشياء فالنفس البشرية السليمة جبلت علي حب التوصــل إلي تفسير الأشياء المبهجة . وهو ما عبر عنه " الخضر " في سؤال وجهه إلــي ســيدنا موسى حين قال له " وكيف تصبر علي ما لم تحط به خبر " . (الكهف،الآية : 68) .

واكتشاف التنظيم كقيمة فكرية وجدانية يوفر إيمانا و يوفر الشعور بالطمأنينة ، ويثــري الإحساس ، ويغني التذوق الجمالي ، فتتعمق خطوط الفن في التواصل الفكري ، وتتبــدى أطياف النور الإلهي في جماليات الخلق المبدع فتصنع في النفس إشعاعات متدفقــة مــن إحساس المتأمل بقيمة ذاته وبالغاية من وجوده ؛ فيتوصل إلي مفهوم العبادة الشامل مــن حيث أنها الخلافة في الأرض . هذه الأرض التي أجيزت وراثتها للصالحين والسعي فــي مناكبها والرزق . وخير للكون لما ينفع الناس ، دون ضرر ولا ضرار .

ثالثا: الانتباه إلي سعة المجالات التي تحتاج إلي التأمل والبحث والتفكير

ومن الأمور التي يمكن التأمل فيها الآيات (3-11) من سورة النحل :-

-الموجودات الكونية كالسماوات والأرض .

-الإنسان والكائنات الحية الأخرى كالأنعام والخيل والبغال والحمير .

-الظواهر الطبيعية كنزول الماء من السماء والإنبات.

-الانتفاع بالمصادر كالماء والشجر ومصادر الرزق والأكل والمواصلات .

-السلوك التطوري للإنسان الذي خلقه الله من نطفة يكبر ويصبح خصما.

-الجماليات كالزينة والجمال .

-الرأفة والرحمة وتوظيف المقدرات لراحة الإنسان.

رابعا : الإبداع

وهو التوصل إلى نتاجات عقلية تنعكس على الممارسات تتميز بالتعددية والطلاقة والآيتان بالجديد والأصالة ،والمرونة وإدراك التفاصيل المحددة من كل غير محدد . والاستفادة من الفردية التي يتميز بها الإنسان في الاكتشافات الخاصة والتنوع في الفكر.

ويلاحظ في الآيات (3-11) من سورة النحل أن الله سبحانه وتعالى يذكر :

1- نماذج للمنافع والاستخدامات لموجودات الكون والبيئة ويمكن للمتفكر الآيتان بغيرهــا من عنده أي من خلاصة تفكيره ،أو بذل الجهد لاكتشاف مزيد من تفاصيلها .وهــذه النماذج ليست حصرا وإنما تتيح المجال للزيادة والنمو .

2- أمثلة متعددة للخلق والاستخدامات والمواقف.

- أمثلة متعددة للمخلوقات الكونية وفيها تعدد :السموات والأرض والإنسان والأنعام.
- أمثلة متعددة لمنافع الحيوانات : الدفء والمنافع والأكل.
- أمثلة متعددة لحيوانات النقل: الخيل والبغال والحمير.
- أمثلة متعددة للنباتات : الزرع والزيتون والنخيل والأعناب.

3- مصادر وردت على العموم :

- دفء ومنافع (غير محددة).
- جمال ...وزينة(غير محددة).
- ما لا تعلمون (ويمكن السعي لمعرفة المخلوقات غير المعروفة).
- كل الثمرات (وهي تحتاج إلى تعرف واكتشاف وتفصيل).
- شجرة (وهو هنا غير محدد يمكن السعي لتحديده وتعديده).

خامسا : اتخاذ القرار

التفكير في قضايا عامة مهمة تتصل بحياة الناس وبعاداتهم لاتخاذ قرار "
قال تعالى : " ويسألونك عن الخمر والميسر ،قل فيهما أثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ، ويسألونك ماذا ينفقون، قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ". (البقرة:219) .
ويلاحظ هنا أنه يتم توظيف الفهم لاتخاذ قرار أو حل مشكلة كما يلاحظ :

- طرح قضية مهمة للناس ،ومهمة في الدين والعقيدة فهي تتعلق بالمنافع والأحكام والرد على المشككين .
- الاقتران الوظيفي بين العناصر كالخمر والميسر فإن خفي على بعض الناس ضرر أحدهما أتضح من الأخرى.
- استخدام ألفاظ مؤثرة قوية الدلالة: إثم كبير " ،و" العفو" .

هذا من حيث المحتوى أما من حيث الأسلوب فقد تم استخدام التساؤل مع التكرار مرتين :"ويسألونك "و"يسألونك" ،و"الإثم" و"إثمهما" و"كبير وأكبر" وكذلك في أسلوب الرد على التساؤل حيث وردت كلمة "قل" مرتين .كما تم استخدام أسلوب الحوار.
والحوار يعزز الإثارة والقناعة ،ويفضي إلى الخيال .ويساعد التفكر هنا مع التفقه والممارسة والإيمان على الإقلاع عن عادة متأصلة.
ويلاحظ هنا أن الموقف يشكل سيناريو يمتزج فيه الجانب العقلي بالجانب الوجداني. ويعتمد الجانب العقلي على المقارنة والتفصيل، والإجابة الفقهية على التساؤلات.
وتشكل جملة التساؤلات المتعلقة ببعض القضايا المترابطة مقدمة لبناء شبكة من المعارف والأحكام والتي قد تفيد في تحقيق جملة من الأغراض والتي يمكن مع القياس تعميم الفائدة منها لاستخلاص المفاهيم والأحكام والتعميمات ،ولبناء أساس لمزيد من الفهم والاستدلال .ففي هذا القطاع من سورة البقرة نجد سؤال عن الإنفاق: مواضعه ومقاديره ونوع المال الذي تكون فيه النفقة ،وسؤال عن القتال في الشهر الحرام، وعن الخمر والميسر ،وسؤال عن اليتامى. والذي يفحص كل هذه الأسئلة يجد نفسه أمام استحقاقات مدروسة .وتمثل الأسئلة نقطة البداية في كل بحث .حيث يسعى البحث إلى الإجابة عن سؤال محير (الآغا،1999) ويضم التفكر عادة وضع الأسئلة فالأسئلة لا تأتي من ولا تذهب إلى فراغ.

سادسا : الاستدلال

التجسيد التخيلي لتسهيل الاستدلال أو استكمال صورة

لعل وجود فكرة ما أو بناء هيكل معرفي يضم موقفين متشابهين أحدهما مألوف ملموس واضح، والثاني غير معروف ولا محسوس ،يسهل عملية الاستدلال لفهم الموقف الثاني، وتزداد عملية التجسيد شخوصا ووضوحا إذا كان الموقف الأول مثلا طبيعيا حيا ذو ديناميكية مفهومة .يعمل كمنظم متقدم لإدراك المفهوم الآخر، أي يعمل كأساس أو إطار له يزيده تحديدا ووضوحا .يقول الله سبحانه وتعالى:
" إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفتها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها

أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغني بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون " . (يونس :24) .

ويلاحظ هنا أن مصير الحياة الدنيا كمفهوم لا هو بمحدد ولا بواضح فنهايتها غير محددة التوقيت والكيفية .أما مدى الحياة وتوزيع خيراتها ومدى فائدة الأطراف المتعددة منها فهو غير محدد أيضا إلا أنك تعرف من خلال خبرتك أن كل ما له في الحياة بداية له بالضرورة نهاية.

والمثل هنا يقرب فكرة الرزق والنعم والازدهار والانبهار التي تنسي صاحبها أو تشغله عن التفكير في نهاية الدنيا ،وذلك من خلال مثل طبيعي حي فيه مرحلية واقتراب تدريجي من الأزهار والانبهار ثم من بعده الانحدار والانهيار بما يجسد الفكرة ويبعث فيها دينامية كثير من الخيال والانفعال إلى جانب الاستدلال.

والمثل إذا تم استيعابه يؤدي إلى التفكير في احتمالات نهايات الأشياء ومصير الطاقات والقدرات والمدخرات وإلى إيجاد السبل لحسن استثمارها والتزود لمستقبل آت لا محالة.

سابعا : التخيل :

تجسيد الفكرة بخلع الحياة على ما من طبيعته الجمود

التخيل العلمي يشكل منطلقا أساسيا في تكوين صورة جديدة في أذهان المتعلمين لما ستكون عليه الأشياء في المستقبل ، الأمر الذي يدفعهم إلى تعلم المزيد منها (نشوان،28:1993)

وينشط العقل عندما يعرض على المرء افتراض غير واقعي لا مألوف ولا معروف يتضمن أفعالا ليست من طبيعة الأشياء كأن يخرج الماديات وبنيتها عن طبيعتها وسلوكها ويضفي عليها سلوكا واعيا يحوله من التجسيد المادي إلى التجسيد المعنوي من خلال تخيل قوامه الحركة السريعة القوية وهنا يضفي حسا على ما من شأنه عدم الإحساس .وبذلك يكون الخيال أكثر تأثيرا من الواقع والافتراض مزيجا من السلوك الآدمي والمادي أقوى من كل منهما على حدة وهذا يذكرنا بالسبيكة المصنوعة من معدنين والتي تكون أقوى من كل منهما على حدة ومنها تصنع أجسام الأدوات المتينة كبعض أنواع العملة المعدنية وبعض هياكل الطائرات .وتطعيم الأصناف في الأشجار لزيادة الجودة أو الجمع بين ميزتين.

"**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**.(الحشر:21) .

وهنا جاء الخشوع وهو صفة متصلة بالبشر بل بخير البشر فيما يتعلق بالسلوك الواعي لديه والذي يقع على قمة الاتجاهات الإيجابية ،المتصل بمنظومة القيم ذات الاتساق العالي لما من شأنه عدم الإحساس وهو الصخر المكون من الجبل وتكون النتيجة ليست التصدع فقط وهو أمر يمكن وجوده أحيانا في الطبيعة بفعل الطبيعة نفسها من زلزال وغيره ولكن التخيل فقط هو الذي يجسد خشوع الجبل.

وقد يؤدي التفكير في مغزى هذا المثل إلى إعادة النظر في استحقاقات الإيمان وإتباع الخشوع بخير العمل.

ثامنا : تفسير بعض العمليات التي يمتزج فيها الوضوح والغموض ،والمنطق والإيمان ،والملاحظات الميدانية والخيال، والغيبيات والملموس .

" وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أن في ذلك لآية لقوم يتفكرون". (النحل: 69)

والإيحاء الإلهي هنا غامض مجهول ، ليس بجلي ولا بمنظور لا تدركه الأنظار ولا الأبصار . لكن دلائله تتبدى في السلوك الراقي للنحل في إعداد البيوت . هل شاهدت يوما جماعة النحل تعيش علي صخرة في الجبال أو علي فرع شجرة في الأدغال . أنه أمر استمرت ممارسته علي مر آلاف الأجيال .

الإيحاء مضمر خفي والبناء واضح جلي .

ويحتاج الإنسان إلي إدراك عاطفي ليعرف أن الله خص النحل بصناعة العسل ؛ فيه شفاء للناس . كما أنه يحتاج إلي إدراك منطقي ليتفهم أو يتوصل إلي أن تنوع الثمرات التي يعتمد عليها النحل تؤدي إلي اختلاف ألوانه .

أما تحول رحيق الأزهار الصلبة المفككة إلي سائل مصفي سائغ لذة للشاربين فهو عملية تخيلية يختلف الناس في كيفية حدوثها في بطون النحل . أما الملاحظة الميدانية لإنتاج العسل والحصول عليه فهي عملية مختلفة عن تكوينه في بطون النحل . هي عملية ملحوظة ملموسة يسهل إثباتها وتسجيلها وإقامة الدليل عليها بل إلي تحليل مكوناتها ونسبها . وإلي حسن استخدامها وتوظيف هذا الاستخدام أحيانا .

تاسعا : تحليل رواية واقعية :

فقد ورد في القرآن أن الله طلب إلي سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم أن يتلو علي اليهود خبر وقصة ذلك العالم الذي علم بعض كتب الله فانسلخ من الآيات كما تنسلخ الحية من جلدها بإن كفر وأعرض عنها حين لحقه الشيطان واستحوذ عليه حتى جعله في زمرة الضالين الراسخين في الضلال والغواية .

قال ابن عباس : أنه رجل من بني إسرائيل بعثه موسى إلي ملك مدين ولكن الملك رشاه وإعطاءه الملك علي أن يترك دين موسى . وسلوكه مثال الخسة قيم تشبيهه بالكلب . قال تعالى في كتابه العزيز :

" واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلي الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث وأن تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فأقصص القصص لعلهم يتفكرون ".

(الأعراف ، 176) .

ورغم توفر المكونات المتفاعلة للسلوك والتخيل من خلال مثل يتضمن عند تحليله:

- خبرة مباشرة دون أن يتضمن ملاحظة مباشرة فإن إمكانية التفكر متوفرة .
- أن الأسلوب المستخدم في التعبير كان مثيرا فهو القصة الموجزة ، والتمثيل بخبرات مألوفة في البيئة والتشبيه بليغ سواء في الانسلاخ أو تتبع الشيطان للعالم والخلود إلي الأرض (الدنيا) والرفع : لرفعناه بمعني رفعه إلي منزلة العلماء وإيثار الشهوات عند التفضيل مع الآخرة .
- والتعميم علي القوم الذين يكذبون بالآيات (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) .
- والحكمة من الآيتين واضحة لا تخفي علي القارئ .

والتنقل بين الملاحظات والاستنتاجات ، والأمثلة والتعميمات والتعددية يعمق الفهم والمفاهيم والإدراك والمدركات . وهو يتخطى الملل والرتابة وهكذا نجد أن التفاعل بين الناحيتين : العقلية الإدراكية لدي الإنسان والعاطفية الوجدانية لديه وهما تسيران جنبا إلي جنب في عملية التفكر .

هذا التفاعل ضروري لاستمرار الرغبة في الفهم والتفقه والإدراك والميل للمعرفة وهنا يصبح التعلم مزودا بالدافعية موجها من الداخل قائما علي الفهم مما يجعله نشطا فاعلا مثمرا وممتعا. تأتي المتعة فيه ليس فقط من اكتشاف الاتساق بين مكونات الشيء وسلوكه النوعي ولكن أيضا مما يوفره الخيال هذا الخيال الذي يربط ثقافة الفرد وخبراته وعملياته العقلية بما يلاحظه ويدركه . ويؤدي تعدد المكونات أو المشاهد إلي تسهيل الإدراك وزيادة

المتعة مما يزيد طاقة التفكير –أحيانا– ليشمل الإبداع أو توفير ما يمكن تسميته بالسيولة الفكرية التي تساعد في التوصل إلي إدراك التفاصيل واستشعار المشكلات والمرونة والطلاقة والأصالة وهي أهم عمليات الإبداع أو التفكير الإبداعي .

عاشرا : ربط مجموعة من الصور الكونية أو المشاهد الطبيعية في مدرك واحد متناغم تؤدي العمليات المتخيلة المتضمنة فيه إلي إضفاء الحركة علي مكوناته المتعددة فتشكل آيات تطوع نفسها للتأثير في الناس بحيث تدفعهم إلي مزيد من التفحص والاستدلال واستثمار الأفكار :–

" وهو الذي مد الأرض وجعل رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك آيات لقوم يتفكرون . " (الرعد ، آية 95) .

والمكونات هي الأرض والرواسي (الجبال) ، والأنهار والثمرات(وما قد تحتويه من بذور) . ويلاحظ هنا التعددية في المشاهد . ويشاهد من العمليات مد الأرض ، وتوزيع الجبال وفعل الرسو ، والتزاوج بين الأنواع ، وغشى الليل النهار .

ومن الطبيعي للمرء إذا عرف مكونات الظواهر وعملياتها واهتم بها أن يفكر في مخرجاتها ، وأن يفكر في العلاقات البيئية ومدلولاتها وكيفية الاستفادة منها أو استثمارها . فذلك حب الاستطلاع أو الحالة الوجدانية التلقائية في الإنسان السوي التي تؤدي إلي البحث والتنقيب والسفر إلي آفاق الفكر . ويصبح الإنسان المتفكر مسافر زاده الخيال . قال الرجل الصالح لسيدنا موسى عليه السلام : " وكيف تصبر علي ما لم تحط به خبرا " (الكهف،آية68) وفي الآية (3) من سورة الرعد قد يتساءل القارئ المهتم :

–ماذا فعل الله أيضا بالأرض غير المد ؟

–ماذا جعل فيها غير الرواسي والأنهار والثمرات ؟

–ماذا يترتب علي غشى الليل النهار ؟

–كيف نستفيد من هذه الظواهر (وأمثالها) ؟

الإقناع بالاستحقاقات

من التساؤل الافتراضي : إذا كان الأمر كذلك فماذا يتوجب علينا ؟ نجد أن الاستحقاقات تتبع القناعات . والتفكر يولد قناعات تستوجب الاستحقاقات.مثال ذلك ما جاء في الآيتين التاليتين :

" إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار * ربنا إنك من تدخل النار فقد أخذيته وما للظالمين من أنصار .

إن تفحص الآيات من خلق لمكونات الكون العظمى (السموات والأرض) واختلاف الظواهر الكبرى (الليل والنهار) يشكل قناعات عند ذوي الألباب بالقدرة الإلهية ويثير تساؤلات حول أغراض الخلق فتتعطش الأذهان والقلوب إلي التفكير في أساليب النجاة من آثار الظلم وكل ما يؤدي إلي العقاب الرباني وفي ظل قناعة مؤداها أن الظالمين ليس لهم أنصار حقيقتين .

متى يبدأ حب الاستطلاع ؟

يمكن القول بأن حب الاستطلاع يبدأ عند بداية تكون العقل (وهو غير المخ) ويساهم الطفل في بناء عقل ذاته إسهاما كبيرا في المدركات العقلية تقوم علي أمرين الفهم والخبرة .

الطفل يختلف عن الكبار في أنه يضع أساسات المعرفة (القواعد) ، والكبير يرفع القواعد من المعرفة و لا يتوقف عن وضع القواعد .

الطفل يجمع المعرفة بنفسه من خلال خبراته التي يمر بها كما تجمع النحلة الرحيق فهو لا يكدس المعلومات في عقله تكدسا وإنما يحولها إلي مدركات كما تحول النحلة الرحيق إلي عسل .

وتشير خبرة الأمهات والآباء ونتائج ملاحظات الدارسين والعلماء إلي أن حصول الطفل علي المعرفة بالأشياء عملية مبكرة في حياته وهى لا تبدأ عندما تبدأ تساؤلات ، وحب الاستطلاع لديه يبدأ قبل أن ينطق بأوائل الكلمات . فمتابعاته البصرية و التحركات المحيطة به تبدأ في سن مبكرة وهو يمد يده لملامسة الأشياء قبل أن ينطق بنت شفه يحاول أن يتعرف علي كنه الأشياء .

تماما كما أنه يعبر عن حاجته إلي الطعام بالبكاء والبكاء أول أساليب التعبير عن الحاجات ولكن الآباء والأمهات يبدءوا في اكتشاف حب الاستطلاع عندما يمتلك الطفل القدرات اللغوية التي تمكنه من توجيه الأسئلة للحصول علي معلومات تسد الفجوات في البني العقلية الأساسية له والتي تمكنه من تفسير المثيرات والخبرة وبالتالي إلي تشكيل الاستجابات .

النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث :

ينص السؤال الثالث من أسئلة الدراسة على ما يلي :

ما الأنشطة العلمية المقترحة لتوظيف التفكر كمدخل لتدريس العلوم في المرحلة الابتدائية بمحافظات غزة؟

للإجابة عن هذا السؤال قام الباحث بتصميم عدد من الأنشطة العلمية المقترحة لتوظيف التفكر كمدخل لتدريس العلوم في المرحلة الابتدائية وذلك من خلال تصميم نشاط واحد فقط لكل مستوى من مستويات عملية التفكر وهي :

- الانتباه –التأمل – الاهتمام بما يحيط بالإنسان من موجودات ومخلوقات –ربط المشاهدات في مدرك واحد –تفسير بعض العمليات – تحليل رواية واقعية – الاستدلال – اتخاذ القرار
- التخيل –الإبداع .
- ويمكن وصف هذه الأنشطة كما يلي :

1- الانتباه

يدور النشاط الأول حول مستوى الانتباه كأحد مستويات التفكر،من خلال إثارة المعلم لبعض القضايا العلمية التي تثير انتباه التلاميذ، وذلك من خلال طرح مجموعة من الأسئلة الاستهلالية للدرس تتركز حول قضايا هامة.

والنشاط المقترح هنا في درس الوزن للصف الثالث الابتدائي من خلال إعطاء أحد الطلاب كرات صغيرة، وقطع خشبية وأخرى حديدية والطلب منه قذفها رأسيا إلى أعلى ،ثم يقوم المعلم بطرح بعض الأسئلة حول هذه العملية ،وبعد الاستماع لإجابات التلاميذ يبدأ المعلم في شرح درسه حول مفهوم الوزن .

2- التأمل :

يدور النشاط الثاني حول مستوى التأمل كأحد مستويات التفكر ،وحول إثارة المعلم لبعض القضايا العلمية التي تثير في التلاميذ خاصية التأمل من خلال إتاحة الفرصة للتلاميذ للاجتهاد في التعرف على ماهية الأشياء أو الظواهر الطبيعية وتحليل مكوناتها والتعرف على مواطن أمورها ، وذلك من خلال إحضار مجموعة من الصور المكبرة لعدة حيوانات وعرضها على الطلبة لتأملها في درس التكيف عند الحيوانات في الصف الثالث الابتدائي ،ويمكن للمعلم في هذا النشاط رسم مظاهر التكيف عند هذه الحيوانات في أجسامها بألوان موحدة في جميع الصور، ،وبعد العرض يبدأ المعلم بطرح بعض الأسئلة حول ما تأمله التلاميذ ،وبعد المناقشة يمكنه الاستعانة ببعض الصور الكريمة بهذا الصدد ثم يبدأ درسه استنادا إلى تأملات الطلاب واستنتاجاتهم حول ما عرض عليهم .

3- الاهتمام بما يحيط بالإنسان من موجودات ومخلوقات :

يدور النشاط الثالث حول مستوى الاهتمام بما يحيط بالإنسان من موجودات ومخلوقات ،كأحد مستويات عملية التفكر.

وفي هذا النشاط يستهل المعلم بالآية القرآنية الكريمة: " أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنحرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون" (السجدة ،27) .

وذلك استهلالا لدرس الغذاء والكائن الحي للصف الخامس الأساسي ويبدأ المعلم في مناقشة التلاميذ حول هذه الآية وما تحمله من معاني علمية لها علاقة بتوضيح مصدر الغذاء للإنسان والحيوان ،ويصحب هذه المناقشة إعطاء العديد من الأمثلة على غذاء الإنسان والحيوان من المزروعات المختلفة التي يألفها الطلبة في البيئة المحلية ثم يبدأ المعلم في معالجة المحتوى العلمي للدرس الأساسي كما ورد في محتوى الكتاب المقرر.

4- ربط مجموعة من الصور الكونية أو المشاهد الطبيعية في مدرك واحد :

يدور النشاط الرابع حول مستوى ربط مجموعة من الصور الكونية أو الطبيعية في مدرك واحد، باعتباره أحد مستويات عملية التفكر.

يرتبط هذا النشاط بدرس أثر الكائنات الحية الدقيقة في الحياة للصف السادس الابتدائي ،حيث فيه يقوم المعلم بإحضار لوحة قلابة تضم مجموعة من الصور المتتابعة لبقايا حيوانات ونباتات ميتة ، بحيث تبين كيفية تحلل هذه البقايا واختفائها . وبعد العرض يقوم المعلم بطرح العيد من الأسئلة الباعثة على التفكير وذلك بهدف مساعدة التلاميذ في رسم صور كلية لمفهوم تحلل الكائنات العضوية بعد موتها، واستنتاج دور الكائنات الدقيقة في ذلك ،وبالتالي يمكن للمعلم أن يشجع تفكير التلاميذ للتعرف على نتائج هذه العملية وأثارها الإيجابية والسلبية على البنية .

5- تفسير بعض العمليات التي يمتزج فيها الوضوح والغموض :

يدور النشاط الخامس حول مستوى تفسير بعض العمليات التي يمتزج فيها الوضوح والغموض باعتباره أحد مستويات عملية التفكر .

يرتبط هذا النشاط بدرس التكاثر في النباتات للصف السادس الابتدائي حيث يستهل المعلم عملية التفكر هذه بعرض الآية القرآنية الكريمة :" وأرسلنا الرياح لواقع فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ".(الحجر، 22) .

ثم يبدأ المعلم بطرح تساؤلات عديدة حول مفهوم التلقيح، وهذا المفهوم بدوره يدفع تلاميذه للتساؤل حول مفهوم الزهور المذكرة والزهور المؤنثة واختلاف أعضاء كل منها، وهذه التساؤلات وغيرها تشجع التلاميذ على تقديم تفسيرات متعددة لعملية التلقيح والتكاثر في النباتات، وتشكل هذه التفسيرات بداية فكرية شيقة للخوض في تفاصيل الموضوع وشرح تفاصيله وبالتالي يشعر الطلاب بحاجتهم للإجابة عن تساؤلاتهم واستفساراتهم بخصوص معرفة الحقائق العلمية الكامنة في عملية تكاثر النباتات بالتلقيح.

6- تحليل رواية واقعية :

يدور النشاط السادس حول مستوى تحليل رواية واقعية للحصول منها على حقائق علمية واستنتاجات تخدم الموضوع العلمي المطروح للدراسة، وذلك باعتباره أحد مستويات عمليات التفكر.

يرتبط هذا النشاط بدرس الحجوم للصف الثالث الابتدائي وفيه يقوم المعلم بإسماع التلاميذ قصة مسجلة على شريط كاسيت تدور أحداثها حول غراب يسكن أحد البيوت القديمة الأثرية المهجورة في مدينة غزة، وفي يوم من أيام الصيف شديد الحر ، لم يجد الغراب ماء، فطار باحثا عن الماء، وبجوار البيت المهجور شاهد جرة صغيرة فهبط على فوهتها فشاهد فيها كمية من الماء ،ولكنه لم يستطع الوصول إليه، ففكر طويلا ثم صاح فرحا لأنه

وجد الحل، فأخذ يحمل بمنقاره حجارة صغيرة ويلقي بها داخل الجرة ،وكرر ذلك عدة مرات حتى ارتفع الماء في الجرة فشرب وشكر الله سبحانه وتعالى.
تشكل هذه القصة بداية ومدخلا جيدا لتوضيح مفهوم الحجم ، حيث بعد سماع التلاميذ للقصة، يبدأ المعلم في طرح التساؤلات المتعددة والمتتابعة التي ستقود إلى توضيح مفهوم الحجم ، بحيث تكون إجابات التلاميذ نابعة من تحليل أحداث القصة التي استمعوا إليها في بداية الدرس .

7- الاستدلال :

يدور النشاط السابع حول مستوى الاستدلال باعتباره أحد مستويات عملية التفكر، وهذا النشاط يستند إلى بناء هيكل معرفي يضم موقفين متشابهين ، أحدهما مألوف وملموس ،والثاني غير معروف، وتصمم الأنشطة التعليمية بحيث تمكن المتعلم من استغلال فهمه ومعرفته للموقف المألوف، في تفسير الموقف غير المألوف والتوصل لاستنتاجات علمية تمكنه من الاستدلال لبناء هيكل معرفي جيد بالنسبة له وغير معروف .
وعليه فإن النشاط الحالي يرتبط بدرس المواد المغناطيسية وغير المغناطيسية للصف الخامس الابتدائي ،وفيه يبدأ المعلم الدرس بتعريف مجموعة من المواد المختلفة إلى المغناطيس، ثم يوجه عدة أسئلة للتلاميذ حول المواد التي تنجذب للمغناطيس، والمواد التي لا تنجذب إليه، ثم توجيه المناقشة لتصنيف مواد أخرى جديدة إلى مواد مغناطيسية وأخرى غير مغناطيسية وذلك بالقياس إلى ما تم مشاهدته من عرض. يشكل هذا النشاط مدخلا جيدا لدراسة الموضوع الأساسي، ويتيح الفرصة أمام التلاميذ للتدرب على الاستدلال العقلي وممارسته، الأمر الذي سيشجع انخراطهم في موضوع الدرس وبالتالي التعلم بشكل جيد .

8- اتخاذ القرار :

يدور النشاط الثامن حول مستوى اتخاذ القرار باعتباره أحد مستويات عملية التفكر، وهذا النشاط يستند ُإلى طرح قضية معينة تتصل بأمور الحياة اليومية فيما يتعلق بموضوع علمي معين بحيث توفر للطلبة فرصة الاطلاع على معلومات جديدة وبالتالي اتخاذ القرار بخصوص تبني هذه المعلومات والدفاع عنها من خلال الاقتناع بالاستحقاقات المرتبة على ذلك ،وبالتالي الدفاع عن القرار الذي يتم صنعه بخصوص هذه المعلومات .
والنشاط الحالي يقدم مثالا لذلك على درس نظافة الغذاء وسلامته المقرر على تلاميذ الصف الخامس الابتدائي ، حيث يبدأ المعلم درسه بالآية القرآنية الكريمة:" ويحل لكم الطيبات ويحرم عليكم الخبائث ".(الأعراف ،57)
وقوله تعالى :" إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله". (المائدة،90) .
ثم يبدأ المعلم بطرح الأسئلة حول حقيقة الغذاء الطيب والغذاء الخبيث ، وتستمر المناقشة حول هذه القضية بحيث تسفر في النهاية عن تبني التلاميذ لقرار إتباع الأساليب التي تدعو للمحافظة على سلامة الغذاء، ونبذ الغذاء الملوث والأطعمة المكشوفة أو التي انتهت صلاحيتها ،حيث يمتلك الحجة القوية في تبني هذا القرار والدفاع عنه ، ثم ينطلق المعلم نحو موضوع الدرس الأساسي لتعزيز معلومات التلاميذ والتأكيد على صحة قراراتهم .

9- التخيل :

يدور النشاط التاسع حول مستوى التخيل من مستويات عملية التفكر، وهذا المستوى يوفر للمتعلم فرصة تنشيط العمليات العقلية عندما يعرض عليه افتراضات غير واقعية وغير مألوفة تتضمن أفعالا ليست من طبيعة الأشياء مثل تحويل هذه الأشياء من التجسيد المادي إلى التجسيد المعنوي من خلال التخيل الذي قوامه الحركة السريعة القوية.

ويدور هذا النشاط حول قيام المعلم بمجموعة من الأنشطة الاستهلالية التي من شأنها أن تطلق العنان لأفكار التلاميذ لبناء هياكل علمية جديدة عن طريق التخيل ،والمثال الحالي مخصص لدرس الأدوات للصف الثالث الابتدائي ،حيث يحضر المعلم معه مجموعة من الأدوات التي كانت تستخدم في الماضي ومثيلاتها التي تستخدم حاليا، ويطلب من الطلاب تخيل شكل الأدوات التي ستستخدم مستقبلا من حيث الحجم والجودة والكفاءة ،ومقارنتها بمثيلاتها الحالية من حيث توفير الوقت والجهد والتكاليف . وبعد سماع أفكار التلاميذ الناتجة عن التخيل يمكن للمعلم أن يجمل هذه الأفكار ويساعد التلاميذ على التعبير عن تصوراتهم في قالب جديد بالنسبة لهم ، ثم يبدأ في مناقشة الدرس الأساسي المقرر عليهم .

10- الإبداع :

يدور النشاط العلمي العاشر حول مستوى الإبداع كأحد مستويات عملية التفكر وفي هذا المستوى تتاح الفرصة للطلاب لأن يتواصلوا إلى استنتاجات عقلية تنعكس على الممارسات وتتميز بالتعددية والطلاقة والأصالة وإدراك التفاصيل المحددة.

ويختص النشاط الحالي بدرس حالات المادة لطلاب الصف الخامس الابتدائي حيث يطرح المعلم في بداية الحصة نشاطا علميا من شأنه إثارة التفكير الإبداعي لدى التلاميذ حيث يحضر معه مجموعة من البطاقات مدون عليها المواد التالية :

ماء، خشب، زيت، هواء، حديد، كاز، نجار، ثاني أكسيد الكربون، حجر، زجاج، أكسجين ،ثلج، عصير برتقال، ويطلب من التلاميذ تصنيف هذه الأشياء في ثلاثة مجموعات بحيث يضعون في كل منها مجموعة الأشياء التي تلتقي بصفة مشتركة .وهذه العملية تتطلب من التلاميذ القيام ببعض العمليات العقلية التي تساعد على تطوير الإبداع لأنها تساهم في تنمية قدرة التلاميذ على تكوين المفاهيم وبالتالي الانتقال لمرحلة أخرى وهي إدراك العلاقات بين المفاهيم .(الناشف،34:1988)

وبعد مناقشة إجابات التلاميذ وتوضيح الجوانب الإبداعية فيها يتم الانتقال إلى مادة الدرس الأساسية المقررة عليهم .

توصيات البحث:

في ضوء نتائج البحث يوصي الباحث بما يلي:-

1-ضرورة تصميم أنشطة لكل درس من دروس العلوم بحيث تساعد المتعلمين على توظيف التفكر كمنهج علمي له أصوله العقائدية والدينية التي توفر للمعلم فرص ربط المادة العلمية بالتربية الدينية ، والنواحي الوجدانية التي تكاد تكون مهملة ، علما بأنها من أحد أهداف تدريس العلوم الأساسية .

2-العمل باستمرار على ربط المحتوى العلمي لدروس العلوم بقضايا كونية تشير إلى قدرة الله سبحانه وتعالى ، وتعزز الأيمان في نفوس المتعلمين.

3-تدريب معلمي العلوم على كيفية تنظيم الأنشطة العلمية التي تثير تفكير التلاميذ ، وتستثمر قدراتهم العقلية باستخدام عملية التفكر.

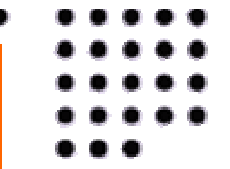
دراسات وبحوث مقترحة :-

1-إجراء دراسة ميدانية للمقارنة بين مستويات التفكير العلمي بين الطلبة الذين يتم تدريسهم من خلال توظيف التفكر كد مخل لتدريس العلوم ، وآخرين يتم تدريسهم بالطريقة التقليدية.

2-إجراء دراسة مشابهة لمعرفة أثر استخدام التفكر كمدخل لتدريس العلوم على طلبة المرحلة الإعدادية والرحلة الثانوية.

3-إجراء دراسة مقارنة بين أثر مستويات التفكير التي تنضوي تحت التفكر ، ومستويات التفكير التي تنضوي تحت أنماط التفكير الاخرى.

والعاديين بالمرحلة الثانوية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية، الجامعة الإسلامية –غزة.



قائمة المراجع

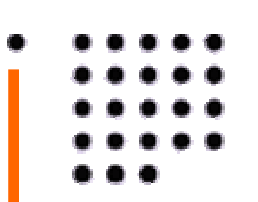
1. أبو الجديان ،منير (1999)، التفكير الاستدلالي لدى الطلبة المتفــوقين دراســيا والعاديين بالمرحلة الثانوية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية، الجامعة الإسلامية –غزة.
2. الآغا ،إحسان (2003)، أنواع التفكير كما وردت في القــرآن ،غــزة :مكتبــة اليازجي.

3. الآغا ،إحسان (2002) أساليب التفكير في القرآن، المجلة الثقافية ،الجامعة الإسلامية ،السنة الأولى ،العدد الأول –أكتوبر 2002م.
4. البنا،حمدي عبد العظيم(2000)،فعالية التدريس بإستراتيجيات المتشابهات في التحصيل وحل المشكلات الكيميائية لدى طلاب المرحلة الثانوية في ضوء بعض المتغيرات العقلية،المؤتمر العلمي الرابع ،التربية العلمية للجميع، القرية الرياضية بالإسماعيلية ،المجلد الأول 31يوليو–3أغسطس 2000.
5. لزعانين ،جمال (2002)،التربية العلمية في القرآن الكريم ،المجلة الثقافية ،الجامعة الإسلامية ، السنة الأولى ،العدد الأول –أكتوبر 2002م.
6. البحيري، محمد (1988)، التفكير الابتكاري كمدخل مقترح لتدريس الرياضيات في المرحلة المتوسطة بدولة الكويت ،رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية التربية–جامعة المنصورة.
7. الطناوي ،عفت مصطفى، (2000)، فاعلية برنامج إثرائي مقترح في الكيمياء للطلاب المتفوقين بالمرحلة الثانوية في تنمية مهارات التفكير المنطقي.المؤتمر العلمي الرابع ،التربية العلمية للجميع ،القرية الرياضية بالإسماعيلية ،المجلد الأول 31 يوليو –3أغسطس 2000 .
8. اللولو، فتحية (1997)، أثر إثراء منهج العلوم بمهارات التفكير العلمي على تحصيل الطلبة في الصف السابع ،رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الإسلامية – غزة.
9. الناشف ، عبد الملك (1973) "التعليم والتعلم الإبداعيان" ، قسم تربية المعلمين والتعليم العالي، معهد التربية –الأونروا –عمان الأردن .
10. حماد ،عفاف(1994)، علاقة التحصيل الدراسي بكل من مهارات البحث العلمي والقدرة علي التفكير الابتكاري دراسة ميدانية على شعبة الفلسفة والتاريخ الطبيعي، دراسات في المناهج وطرق التدريس ،الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس ،العدد الرابع والعشرين ،ص61 .
11. راشد ،على (1994)، أثر برنامج مقترح لتنمية التفكير الابتكاري لدى الجنسين من أطفال ما قبل المرحلة الابتدائية ،المؤتمر العلمي السادس ،مناهج التعليم بين الإيجابيات والسلبيات الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس ،المجلد الثالث ص31 .
12. سعودي، منى عبد الهادي(1998)، فاعلية استخدام نموذج التعليم البنائي في تدريس العلوم على تنمية التفكير الابتكاري لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي ،الجمعية المصرية للتربية العلمية ،المؤتمر العلمي الثاني ،بالما–أبو سلطان ،المجلد الثاني.
13. سعيد،أيمن حبيب (2000)استخدام إستراتيجية مقترحة في تدريس العلوم لتنمية الخيال العلمي والاتجاه نحو مادة العلوم لدى التلاميذ المكفوفين،المؤتمر العلمي الرابع للجمعية المصرية للتربية العلمية ، التربية العلمية للجميع ،القرية الرياضية بالإسماعيلية ،31يوليو–3 أغسطس، المجلد الثاني.
14. شبارة، أحمد، و شحدة ،السيد (1994)، دور مناهج العلوم الطبيعية في تنمية قدرات التفكير الابتكاري لدى طلبة المرحلة الثانوية بسلطة عمان، المؤتمر العلمي السادس، مناهج التعليم بين الإيجابيات والسلبيات: الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس ،المجلد 3،ص12.

15. عبد الله ، عبد الرحمن(1995)، العمليات العقلية في القــرآن الكــريم ودلالاتهــا التربوية ،مجلة جامعة الملك سعود بالرياض ،المجلــد الــسابع،العلوم التربويــة والدراسات الإسلامية ،العدد الأول.
16. عبد الكريم ،سحر محمد(2000) فعالية التدريس وفقا لنظريــة بياجيــه وفيجوتسكي في تحصيل المفاهيم الفيزيائية و القدرة علــى التفكيــر الاســتدلالي الشكلي لدى طالبات الصف الأول الثانوي، المــؤتمر العلمــي الربــع ،القريــة الرياضية بالإسماعيلية 31يوليو-3أغسطس2000 ،المجلد الأول0
17. عطا الله ،كامل (1992)، أثر طريقة الاستقــصاء المعرفــي والفــوق معرفي لطلبة المرحلة الأساسية في تفكيرهم العلمي وتحصيلهم للمفاهيم العلميــة، رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية الدراسات العليا ،الجامعة الأردنية: عمــان - الأردن .
18. عفانة ،عزو(1998) مستوى مهارات التفكير الناقد لــدى طلبــة كليــة التربية بالجامعة الإسلامية بغزة، مجلة البحوث والدراسات التربوية الفلــسطينية ،المجلد الأول ،العدد الأول.
19. على ،صلاح(1992)، أثر تفاعل كل من مستوى التفكير الناقد وطريقتي التعلم بالاكتشاف الاستقرائي والاكتشاف الاستنباطي على تحصيل طلاب الصف الأول الثانوي في مادة الكيمياء ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كليــة التربيــة- جامعة الأزهر.
20. غباين ، عمر محمود (2001) التعلم الذاتي بالحقائــب التعليميــة ،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ،الطبعة الأولى ،عمان، الأردن .
21. نشوان، يعقوب(1993)، مستوى مهارات التفكير العلمي لدى طلبة كلية التربية تخصص علوم بحث غير منشور - جامعة صنعاء.
22. نشوان، يعقوب (1993) ،الخيال العلمي لدى أطفال دول الخليج العربية ،دراسة ميدانية ،الرياض -مكتب التربية العربي لدول الخليج.
23. نافع، سعيد عبده(1992)، أثر استخدام إستراتيجية التعلم للــتمكن فــي تدريس التاريخ على تنمية التفكير الاستدلالي لدى تلاميذ الصف السابع من التعليم الأساسي ، المؤتمر العلمي الرابع: نحو تعليم أساسي أفضل ،المجلد الأول.

هاملت شكسبيرتحليل لشخصيته وتردده

أ.د.قاسم حسين صالح
جامعة صلاح الدين – العراق
رئيس الجمعية النفسية العراقية



تتعدد النظريات السيكولوجية في تفسير " الشخصية " ، وكثرة عددها قد لا تشكل مفارقة ، ولكن المفارقة هي انك حين تقرأ نظرية منها تقتنع بها ، فانك ما أن تنتقل الـــى نظريـــة أخرى مناقضة لها حتى تقتنع بالأخرى المناقضة لها...

Hamlet Shakespeare
Analysis of His Personality and Hesitation
Prof. Dr. Qassim Hussein Salih

Abstract

After covering differences and similarities between and among the most important explanations of Hamlet, including: (Coleridge, Hazlitt, Bradley, Clemen, Mak, and Ornstein) the research classified these and other explanations in to: Political and Psychological interpretanrions

The researcher gives a new point of view concerning Hamlet personality and his hesitation based on two factors: characteristics of Hamlet personality (ten traits) and satuations conditions (quality, quantity and tens of each stimulus) which Hamlet confronted.

The researcher attributes the conflict between pulling and pushing forces inside Hamlet to several possible alternatives Hamlet met in each situation, and his decision to execute, without any doubt, the alternative which leads to the victory and eternity of the truth.

أفيكون الإنسان هو ملتقى كل التناقضات ؟!

لقد فعل ذلك شكسبير في هاملت .و شكسبير ــ هذا العقل الحاذق المبدع ــ سبق علماء النفس في طرحه لمفهوم أن " الشخصية " لا يمكن تفسيرها بنظرية سيكولوجية واحـــدة . ولهذا يمكن القول إن أحد أسباب خلود شكسبير هو مسرحيته " هاملت " . وان أحد أسباب خلود مسرحيته هذه هو قدرة شخصية هاملت على استيعاب عدد قد لاينتهي من التفسيرات المتشابهة ضمن سياق فكري واحد ، والمتباينة في سياقات فكرية مختلفـــة . فمـــسرحية "

هاملت " ـــــ كما يصفها الشاعر والناقد وأستاذ الأدب البولندي ، جون كوت ـــــ أشبه بأسفنجة من شأنها إن تتشرب كل مشاكل عصرنا .

في حالتنا الابداعية هذه ــ " هاملت " ــ سنتقدم مسحا" مكثفا" لأهــم الاجتهـــادات التـــي حاولت تفسير شخصية هاملت وتردده على وجه الدقة ، ثم ننتهي بطرح وجهة نظرنا فـــي شخصية هاملت وتردده بالذات . وهي وجهة نظر جديدة قد يجد فيها القارئ أنهـــا تـــشكل إضافة للتفسيرات القائمة .

أولا. هاملت شكسبير في اجتهادات المفسرين

برغم تعدد وتنوع هذه التفسيرات فانه يمكن وضعها على محـــاور رئيـــسة بتـــصنيفات مختلفة . على أن التداخل بينها يبقى قائما" في أي تصنيف محتمل . وسيجري فـــرز أهـــم التفسيرات لشخصية هاملت وتردده الى ثلاثة أصناف هي : تفسيرات **سياسية** ، وتفسيرات **فنية وأخلاقية** ، ثم تفسيرات **سيكولوجية** .

على أن هذا سيتم بعد إن نتعرف بشكل منفصل ومكثف على وجهات نظر متميزة لـــستة من النقاد والباحثين هم : كولردج Coleridge ، هازلت Hazlitt ، برادلـــي Bradley، كليمن Clemen ، ماك Mack ، واورنستين Ornstein .

أ. كولردج:

يتساءل كولردج بدءا" فيقول : ماذا كان يقصد شكسبير حين رسم شخصية هاملـــت ؟ ويضيف : إن شكسبير لم يكتب ابدا" بدون تخطيط دقيق مسبق ، فماذا كـــان تخطيطـــه حين اخرج هذه المأساة ؟

ويجيب : باعتقادي، هو انه كان يتمعن في القصة قبل كتابتها كما يـــتمعن الرســـام موضوعه وادواته قبل أن يرسم . ولقد قصد شكسبير في هاملت تصوير وجهـــة نظـــر الإنسان بالعالم الخارجي، في أن كل حوادثه وموضوعاته هي ، نسبيا"، مظلمة وغامضة ولا رغبة له فيها بحد ذاتها . وان الاهتمام بها يبدأ فقط حين تـــنعكس تلـــك الحـــوادث والموضوعات الخارجية بنفس الطريقة التي ينظر بها الرجل ذو الخيال المفعم بالنشاط، الذي يغمض عينه ليرى أشياء سابقة تركت انطباعاتها فيه.

لقد وضع شكسبير هاملت في ظروف مثيرة للغاية نادرا" ما يتعرض لها البـــشر . فهو الوريث المفترض للعرش . ووالده كان قد توفي في ظروف غامـــضة، ووالدتـــه ابعدته عن العرش بعد أن تزوجت من عمه . وكان شبح والده يظهر ليؤكد له بأنه قتل من قبل أخيه الذي اصبح الآن ملكا" وزوجا" لمن كانت في السابق زوجته.

وكان تأثير ذلك على الابن هاملت ليس فقط حثه على اخذ الثـــأر بـــل ، وأيـــضا" ، تساؤلات لا نهاية لها ... عزم وتصميم وإلحاح وقلق العقل من اجل الفعل، ورغبة ملحّة مضادة من اجل الهرب من ذلك الفعل. ونوم وتوبيخات متواصلة لنفـــسه علـــى كـــسله وإهماله. فيحدث ان تتبخر كل طاقته على التصميم بفعل هذه التوبيخات. وهاملت ليس جبانا"، فقد اعتبر واحدا" من شجعان زمانه، ولم يكن تردده بفعل الرغبة في التدبير وبعد النظر، ولم يكن توانيه من اجل فهم وإدراك اعمق ، ولكنه كان فقط يكره ويمقت ذلـــك الفعل.

انه لا حيرة ولا تردد حول هاملت بقدر ما يتعلق بشعوره هو وإحـــساسه تجـــاه واجبه انه يعرف جيدا" ماذا يجب عليه أن يفعل. وكان كثيرا" ما يعمل فكره لأن يفعـــل ذلك . ولقد انشطر على نفسه فكان شطره الثاني ثورة غاضبة وهذيانا" وانفعالا" ضـــد نفسه على إهماله تنفيذ واجبه المهيب الذي أوكل إليه.

لقد أراد شكسبير أن يترك فينا انطباعا" حول حقيقة : إن الفعل هو النهاية الحاسمة للوجود. وان القدرات الفائقة للعقل وحدّة الذهن وألمعية الفكر لا قيمة لها. وأنها ـــــــ لسوء الحظ ـــــ اذا سحبتنا وجعلتنا نتخلى عن كرهنا لفعل معين ، فإنها تقودنا لأن نفكر

ونفكر في ذلك الفعل حتى يكون الوقت قد مرّ وفاتت اللحظة التي كان بالإمكان أن نفعل فيها شيئا" مؤثرا".

وفي تنفيذ هذه الحقيقة الأخلاقية، فان شكسبير اظهر كامل براعته. فكل شيء ذو هدف ورائع بطبيعته كان في شخصية هاملت. باستثناء خاصية واحدة، هي انه كان رجلا يعيش التأمل والتفكير دعي لأن يفعل وبكل دافع إنساني والهي ، لكن شاغله العظيم في حياته كان يلهيه في اتخاذ قرار دون فعل.

ب. هازلت:

هاملت هو مجرد اسم ، وكل أقواله وخطبه وحتى صياغاته الساذجة هي من عقل الشاعر شكسبير، فهل يعني هذا إنها غير واقعية ؟. إنها واقعية كواقع أفكارنا الخاصة.. إننا نحن هاملت، وهذه المسرحية لها صدق النبؤة إضافة الى كونها تاريخا".

ومهما كان هاملت منهمكا" في التفكير وسوداويا" طوال حظه العاثر، أو حظوظ الآخرين، وانه كان عليه أن يشق طريقه في عتمة قاتمة ، ووجد في نفسه انه كثير عليه أن يكون هو الشمس. وآيا كان هو الشمعة الذهبية في نهار معتم يتصاعد فيه الضباب حتى ليخنق أنفاسه، ووجد في العالم خواء ولا شيء يستحق الذكر. ومهما كان قد خبر " أوجاع الحب الذي استخف به " ، فانه هو الذي أحس بأن عقله يغوص في داخله، وان الحزن يعتصر قلبه كالمرض، وانه لم يكن مقتدرا" على التحرر من القلق في وقت يرى فيه الفساد يحوم حوله كالشبح، وحيث قوته للفعل كانت تأكلها أفكاره. انه هو الذي كان يبدو الكون أمامه مطلقا" لا نهاية له ، ورأى في نفسه انه لا يساوي شيئا". وهو الذي أحالته قساوة آلامه الى إنسان غير مبال بما يحدث، فمضى يمثل بسخرية، لأنه وجد في التمثيل الساخر افضل مصدر له في فضح فساد الحياة. هذا هو هاملت الحقيقي .

إن مسرحية هاملت واحدة من مسرحيات شكسبير التي نفكر فيها كثيرا"، لأنها تزخر بانعكاسات حادة للحياة الإنسانية. ولأن هموم هاملت قابلة الانتقال لأن تكون هموما" عامة على الصعيد الإنساني . فكل شيء يحدث لهاملت نطبّقه على أنفسنا، لأنه يطبّقها على نفسه كوسائل عقلانية عامة. انه أخلاقي عظيم . وما يجعله جديرا" بالحضور انه يسمو بأحاسيسه وخبراته دون تحذلق أو مساومة. وإذا كان " لير" قد تميز بآلامه الكبيرة، فان هاملت يتميز بعبقريته وأصالته وشخصية متطورة غير قابلة للدراسة.

وشخصية هاملت تقف معتدة بنفسها لا تميزها قوة الإرادة ولا حتى الألم . لكنها تتميز بتصفية وتنقية الأفكار والوجدان . انه بطل على افضل ما يمكن إن يكون الإنسان . ولكنه كان شابا" وأميرا" مبتدئا"، مملوءا" بحماسة عالية وحساسية سريعة. وهو يبدو غير قادر على فعل سريع، ومع ذلك اقدم على أفعال متطرفة بصورة ارتجالية حيث لم يكن لديه الوقت لأن يعكس ذلك في فكره، كما في مشهد قتله لبولونيوس.

وفي أوقات أخرى ، وحين يكون متجها"، يبقى متحيرا"، غير قادر على اتخاذ قرار. شكوك، يتوانى حتى تفوته لحظة الفعل، فينتكس نحو الكسل والتراخي والتفكير بعمق مّرة أخرى .

انه أمير الفلاسفة التأمليين . ولأنه لم يفعل شيئا" فانه كان يفكر في عجزه. وكان تفكيره في هذا العجز والتواني يوفر له فرصة أخرى للتكاسل. ولم يكن مقته للجريمة سبب تباطؤه، ولكن ولعه في أن ينغمس بخياله في تجسيد فداحة وشناعة الجريمة وتنقية خططه للأخذ بالثأر اكثر من وضع هذه الخطط موضع التنفيذ الفعلي . إن علته الأساسية هي أن يقكر لا أن يفعل. وكان يجد في اتفه الحجج ذريعة لأن يفكر فيها، فتلهيه عن هدفه الرئيس .

جـ . برادلي:

إن احدا" لا يمكنه أن يحكم على مزاج هاملت بأنه " الميلانخوليا ـــ السواد " بالمعنى السائد للكلمة. فلا يبدو ما يشير الى ذلك . ولكن يمكن أن يحكم من خلال مزاج هاملت بأنه يميل الى عدم الاستقرار العصبي، من خلال تقلبه السريع، وربما تطرّقه في تغيرات الإحساس والمزاج. وقد أطلق الاليزابيثيون على هذا النوع من المزاج " الميلانخوليا" ويبدو إن هاملت كان نموذجا لها.

إننا لا نكون مخطئين حين نعزو لهاملت، في أيامه الأولى الحساسية الحادة. ويمكن أن نطلق عليها " أخلاق" اذا كانت هذه الكلمة تدلل على المعنى . وفي حساسيته الأخلاقية هذه يكمن الخطر دون شك . فكل هزّة عنيفة يتلقاها تثير حساسيته الأخلاقية بأقصى حدتها. وهزّة كهذه يمكن أن تنتهي بنتائج مأساوية. ولهذا فان هاملت تستحق فعلا" عنوان " مأساة الأخلاق المثالية ، أو " مأساة الفكر ".

ومع هذا المزاج وهذه الحساسية، نجد في هاملت، في أيامه الأولى وفي أيامه الأخيرة، العبقري المفكر. وهذه هي الصفة الرئيسة التي جعلته مختلفا" عن كل المحيطين به، الطيبين والرديئين على السواء، وهي التي تميزه أيضا" عن معظم أبطال شكسبير الآخرين .

إن تظاهر هملت بالجنون يمكن أن يكون، جزئيا" ، بسبب خوفه من الواقع ، وبسبب غريزة الحفاظ على الذات، وإدراكه المسبق بأن تظاهره هذا سيمكّنه من أن يتكلم ليتّفس عن هول العبء الثقيل الذي يضغط على قلبه وعلى عقله،فضلا على خوفه من كونه غير قادر على كبت أقواله.

وإذا كان المتخصص بالأمراض العقلية يسمى هذه الحالة " ميلانخوليا" ويقرر دقائقها، فليس لدي أي اعتراض . وسأكون ممتنا" له حول تأكيده من أن حقيقة " ميلانخوليا ــ سوداوية " هاملت هي ليست مجرد كبت عام للنفس . ولا يوجد لدي أدنى شك من أن الكثير من قرّاء المسرحية سوف يفهمونها بشكل افضل اذا اطلعوا مسبقا" على " الميلانخوليا" في كتب الأمراض العقلية . وإذا كنا نميل الى استخدام كلمة " مرض " فان حالة هاملت هي في حقيقتها حالة مرضية ، لا طاقة إرادية قادرة على إنهائها .

غير انه ليس من العدل أن نطلق على هاملت " دراسة في الميلانخوليا" برغم أنها تتضمن هذه الدراسة.

إن " ميلانخوليا" هاملت شيء مختلف عن الجنون . برغم أنها يمكن أن تنتهي الى الجنون . إن الرغبة الشديدة في الموت تصبح دافعا" لا يقاوم لتدمير الذات. واضطراب المشاعر والإرادة يمكن إن يتوسع ليشمل العقل . والوهم يمكن أن يتصاعد ، والإنسان يمكن أن يصبح، كما يقال ، غير قادر وغير مسؤول . ولكن " ميلانخوليا" هاملت تختلف عن هذه المواصفات، وتختلف كلية عن الجنون الذي يتظاهر به. وهو قطعا" حين يكون وحيدا" أو بصحبة هوراشيو، يظهر علامات هذا الجنون .

إن الرجل الذي يعاني كما يعاني هاملت– وآلاف يعانون في أعمالهم بدرجة اقل أو اكثر ــ يعدّون غير مسؤولين، لا من قبل الآخرين ولا من قبل أنفسهم . ويبقى ذلك الشعور الحاد تجاه المسؤولية.

إن حالة هاملت هي ليست من الحالات التي لا يمكن للعقل السليم أن يتصورها. إنها حالة عادية. وليست أكثر صعوبة من الإدراك للآلام والمآسي العظيمة لعطيل وانطونيو، وما كبث.

د. كليمن:

إن مخيلة هاملت تكشف عن خلفية ثقافية واسعة لبطل يمتلك مدى واسـعا" ومتنوعـا" مـن الخبرات. والاستعارات المجازية المأخوذة من العلوم الطبيعية توظف بلغـة هاملـت الخاصة وتؤكد قدرته على الملاحظة وحذاقته في النقد. ومن جهة أخرى يشكل هاملت " أسطورة إغريقية ". فهو ليس متألقا" مع المسرح والتمثيل حسب ، بل ومع الفنـون الجميلة أيضا"، مع الصقور والصيد، مع استراتيجية العمل العسكري، مـع طريقـة البلاط في الحياة.

كل هذه المجالات تكشف شخصية هاملت " كرجل بلاط" وجندي وباحث على حد تعبير أو فيليا. وتستحثه مخيلته في أن يحوّل خيالاته هذه الـى اعتبـارات حياتيـة بتطبيقات مناسبة للمواقف والأشخاص والأمزجة.

إن أوامر هاملت لها مستويات متعددة من التعبير. وهو ينفرد بقدرته على التساوق ووزن الأمور طبقا" لمخيلته وتبعا" للموقف والشخص الذي يخاطبه. وقابليتـه علـى التكيف وبراعته خاصية أخرى في استخدام هاملت لمخيلته اللغوية.

إن هذا المدى الواسع للمخيلة يمكن أن يخدمه ليكون عونا" لـه علـى أمزجتـه المتصارعة ووجوده الممزّق بين تناقضات ومزاج لا يستقر . هذه الخاصية التي أكد علها بشكل خاص، وعزيت، جزئيا" الى " الملانخوليا" تكشف عن نفسها في التغيـر المفاجئ للغة، وبوضع عبارة بجانب أخرى تتباينان في البيان والأسلوب.

إن مخيلة هاملت، التي تسمي الأشياء بمسمياتها، تستلزم حرية خاصة كان لا بـد أن يحصل علها عن طريق تظاهره بالجنون. فهاملت يحتاج الى الخيـال " لمزاجـه الغريب" وهو سيفضح نفسه لو أنه أستخدم لغة مباشرة واضحة. ولهذا كان عليـه أن يتكلم بغموض ليخفي المعنى الحقيقي تحت ستار المراوغـات والتلاعبـات اللفظيـة والخيالات والحكايات الرمزية. والذي يحدث إن الشخوص الآخرين يعمّقون اعتقادهم بأنه مجنون، غير أن جمهور المشاهدين يستطيع النفاذ الى حقيقة الموقف. فمن خلال ذلك القناع من " المزاج الغريب" يقول هاملت الكثير من الأشياء اللاذعة . وهكذا نجد أن مخيلة هاملت تلعب دورا" جديدا" في دراما شكسبير لا يشبهها في وظيفتها سـوى مخيلة الملك " لير".

هـ . مـــاك:

إن الصفة الأساسية التي تميز مسرحية هاملت هي الغموض. ونحن كثيـرا" مـا نسمع بأن كل عمل فني لا بد أن يكتنفه الغموض، ولكن الغموض في هاملت شـيء آخر. فنحن نشعر بوجوده في عدد لا يحصى من التعبيرات المتعلقة بتردد هاملـت: بجنونه، بشبحه، بمعاملته لبولونيوس، أو أو فيليا ، أو أمه. وبالمجالات التي ما زالت قائمة حول ما اذا كانت المسرحية هي " الفشل والإخفاق" ـــ على حد تعبير اليـوت ـــ أو إنها أعظم فرحة نصر فني . وفيما ـــ إن كانت هي فرحة النـصر ـــ تنتمي الى أعظم نظام تراجيدي؟. وان كانت هي تراجيديا، فهل يعتبر بطلها رجـل الإحساس الأخلاقي الرفيع التهذيب ـــ وجهة نظر برادلي ـــ أم انه أناني ومغرور ـــ وجهة نظر ماد أريجا –؟.

إن هاملت شخص ليس مجنونا" لحاله فقط. بل أنه السبب الذي يجعلنا ندرك بـأن الجنون يكمن فينا أيضا".؟

وهاملت يبدو قريبا" من منطق اللامنطق في الحياة أكثر مـن بـاقي تراجيـديات شكسبير. ولا نعلم فيما كانت أسباب ذلك تكمن في أن شكسبير نقـح وأعـاد قـراءة المسرحية مرات حتى جاءت دوافعها أنيقة معتدّة بنفسها ، أو أن مشاكل هاملت قريبة

من قلب شكسبير . على أننا ـــ بوصفنا نقادا ـــ تهمنا النتائج وتأثيرها أكثر من الأسباب.

إن عالم هاملت هو عالم الاستفهامات. فالمسرحية مليئة بالأسئلة، بالتنبيهات للخطر، بالآلام، وبالتأملات. وعالم هاملت هو عالم الألغاز. فلغة البطل الخاصة هي لغة ملغزة. وهو حين يتلاعب بالألفاظ يصل الى أعماقها. وطريقة كلامه في حالة جنونه، حتى لو كانت متهورة وفيها لف ودوران، فهي حبلى . حتى جنونه نفسه هو لغز، كم منه واقع ؟ كم منه تظاهر؟ ماذا يعني: عقل أم جنون؟!. إن عقل هاملت يلعب دون توقف بعالمه، من لغز الى لغز آخر . وغموض عالم هاملت هو جزء مهم تريد المسرحية أن تطلعنا عليه بدءا" من كلمتها الأولى في مشهدها الأول الذي يلقه الغموض في منتصف تلك الليلة الباردة.

إن عظمة المعنى الأخلاقي في هاملت تصلنا **بثلاث** طرائق :

الأولى : تأكيد المسرحية على الضعف الإنساني ، وعدم استقرار أهداف الإنسان، وخضوع الإنسان الى الحظ والقدر. وكل هذا يمكن أن نطلق عليه جوانب الإخفاق في الإنسان.

الثانية: تتعلق بمسألة العجز الإنساني، من حيث توكيدها على التلوث والفساد : القرحة والخراج الخفي والتمشدق بالسعادة والسلام .

إن مشكلة هاملت هي ليست مشكلة الإرادة والعقل " العقل الفلسفي أو الطبيعة المزاجية التي لا تقدر على الفعل السريع " . كما أنها ليست مشكلة فردية قطعا" ز إنها ، بالأحرى، شرط أو ظرف يكون فيه الفرد نفسه غير مسؤول بشكل واضح أكثر من كونه رجلا" مريضا" يلام على فساد وتلوث يتفشى ليفترسه فيبيد نفسه والآخرين، الأبرياء والمذنبين، على حد ما ترى "Spurgeon" .

إن مشكلة هاملت ـــ ببساطة ـــ هي مشكلة المنتقم المطالب بالثأر، تحتم عليه تنفيذ أمر الشبح بقتل الملك. غير أن المشكلة تصاغ بلغة عالم خاص . فأمر الشبح يصبح بالنسبة لهاملت فعلا" لا مناص منه، وفي عالم يريد كهذا الفعل أن يحدث ، وان يتوصل الى تفاهم مع نقيضين .

إن العجز الإنساني يزود المشكلة بجانبها **الثالث** فهاملت لم يكن عليه أن يقبل فقط لغز وضع الإنسان بين الملائكة والبهائم. وليس عليه أن يفعل فقط في عالم معقد ورديء ، بل كان عليه، أيضا"، أن يفعل ضمن حدود قدرة الإنسان " بمعتقدات رثة فاسدة " على حد تعبير اليوت.

و. اورنستين

إن مشكلة هاملت هي ليست مشكلة حيرة المفكر. إنها تنشأ بسبب أن المسرحية تخلق شعورا" مدهشا" ومفاجئا" لحياة لا نجد فيها منطقا" ولو بسيطا" لأفعالها المتشابكة . ولأننا غير قادرين على فهم أو تقبل تعقيدات البطل الشكسبيري المتعدد الجوانب، فأننا نبحث عن هاملت الأكثر انطلاقا وثباتا" وصفاء"، غير الذي تقدمه المسرحية.

إننا نحاول أن نصل الى الأفكار الأخلاقية الشكسبيرية عن طريق قراءتنا للسمات السيكولوجية والفلسفية الأخلاق الاليزابيثية. ولا شك أن براعة شكسبير في تصوير هذا الجانب تجعلنا نفهم لماذا يبدو البطل لنا هو الأعظم نبلا" والعقل الخالص.

إن ما يكون غير قريب من ضمير هاملت، لا يكون أيضا" قريبا" من ضمائرنا. انه صدق الإحساس الأخلاقي النقي الذي يجعلنا، من خلال المسرحية ، نتوحّد فيه فنكره ما يكره ونعجب بما يعجب به. وكما يقول النقاد، فنحن لا نتهم هاملت بأكثر مما يتهم هو نفسه: التواني في أخذ الثأر .

إن انطباعاتنا الأخلاقية عن شخصية هاملت تشتق أساسا" من أقواله أكثر مما تشتق من أفعاله. تشتق من معرفته البديهية بالجمال، بالعمق، وبنقاء طبيعته الأخلاقية .ومن خلال إقحامه بمهمة همجية هي الانتقام والتحرر من الوهم . وإذا كانت شخصيات وهمية خلقها دراما بارعة التكوين ، فان ما نحبه في هاملت هو الوهم داخل الوهم .

لقد خلق لنا شكسبير تعاطفا" مع هاملت تحول لأن يصبح قريبا" من فعل جعلنا نتقبل فظاظة هاملت تجاه أو فيليا وردود فعله تجاه موت بولونيوس، ورفضه السا ذج لقتل كلوديوس حين كان يصلي .

إن الحياة في هاملت غامضة وغير قابلة للتنبؤ، فلا أحد يستطيع أن يتنبأ بنتائج أفعاله. ولهذا فان هاملت، وليس النقاد الرومانتيكيون، الذي خلق مشكلة المتباطئ في أخذ الثأر . فمنذ ظهور هاملت أول مرّة كان منشغلا" في خفي مع المشكوك بأمره: كلوديوس. ولا نشعر طوال المسرحية أن هاملت قد تخلى عن الفعل .

ومشكلة الفعل في هاملت هي أنها تطرح سؤالا" مباشرا" عن تلك القضية الفلسفية التي تجبر الإنسان لأن يتأمل قيمة الوجود . ولأن موت أبيه قد جعل الحياة بنظره لا معنى لها، فانه كان طوال المسرحية يواجه تلك المشكلة الفلسفية القديمة :" أن يتعلم كيف يموت" ، كيف يعيش مع الحقيقة ومع فكرة الموت.

إن مشكلة هاملت هي ليست مسألة أن يتقبل موت أبيه، ولكن أن يتقبل عالما" أصبح الموت فيه بلا معنى وفقد رسالته من أجل الحياة. ولهذا كانت مسألة الانتقام ، بالنسبة له أمرا" ملزما" لكي يعطي من خلاله معنى وقيمة لوجود فارغ . وسواء أكان هاملت محقا" أم لا فانه كان يكيل الاتهام لنفسه مرة بعد أخرى لفشله في تنفيذ هذا الالتزام .

انتهت وجهة نظر اورنستين وبها تنتهي وجهات نظر ستة من النقاد المتخصصين بمسرح شكسبير ، قدمناها بشكل مكثف للغاية . وننتقل الآن لطرح مكثف آخر لوجهات نظر أخرى ، مع إشارات لبعض من قدمنا لهم على وفق الصيغة التي أشرنا إليها في بدء حديثنا بفرز وجهات النظر هذه الى ثلاثة أصناف.

1ـــ تفسيرات سياسية :

في عام 1595 أصدرت الملكة اليصابات مرسوما" يقضي بمنع عرض أية مسرحية :

" تمس من قريب أو بعيد أي أمر يتصل بالدين، أو يتعرض بنظام الحكم السائد في الدولة. لأن هذه الموضوعات ـــ كما ورد المرسوم ـــ لا يجوز أن يعالجها العلم والحكمة ولا يجوز عرض مثل هذه الموضوعات على كل جمهور. بل أن لا يتجاوز عرضها نطاق من يجمعون بين الحكمة والوقار" .

وبموجب هذا المرسوم قامت السلطات في عام 1597 بإغلاق جميع المسارح ،لأن واحدا" منها عرض مسرحية بعنوان " جزيرة الكلاب" تتناول الاستبداد والرشوة.

وبموجب المرسوم نفسه منعت في عام 1601 مسرحية شكسبير " ريكاردوس الثاني" لأنها تتناول موضوع خلع هذا الملك من العرش . ويشير النقاد الى أن شكسبير كان يهتم بالسياسة التي تتجلى بصورة واضحة في مسرحياته. وان شكسبير استطاع معالجة الموضوعات السياسية، برغم القرار أعلاه، بعد أن شعر بتسامح من الملكة التي فهمت المسرحيات التاريخية لشكسبير على أنها تهدف الى تشبيه الدولة بالسفينة المبحرة في بحر هائج تحف به الأخطار ، وبرغم ذلك تصل السفينة الى حيث الهدوء والاستقرار في عصر الملكة.

ويرى عدد من النقاد إن شكسبير استغل هذا الوضع واستطاع أن ينجح في الجمع بين إرضاء الملكة وبين أفكار ظهرت ثمارها بعد سنين في الثورة الفرنسية .

وإذا كان الأمر واضحا" في عدد من مسرحيات شكسبير، فان الأفكار والمضامين الـسياسية في شخصية هاملت قد لا يبدو للجميع واضحة وضوحها في شخصيات هنري الرابـع وهنري السادس وادوارد الثاني وريكاردوس الثاني .

ومع ذلك فان شكسبير ، من وجهة نظر تفسيرات سياسية ، اسـتطاع بمهـارة أن يتولى في شخصية هاملت قضية سياسية مهمة هي الطبيعة الجدلية للتحولات الـسياسية التي تلحق بها التحولات الأخرى المرتبطة بطبيعة ذلك العصر، وكل عصر مماثل. ذلك أن المجتمع الإنكليزي في عصر شكسبير كان يعاني ، كما يشير أر نولد توينى ، مـن تصدّع على مستوى الدولة، حيث التناقض في النظام الإقطاعي، والتصدّع في الـروح بمواصفاتها البرجوازية الناشئة. وأن شكسبير القادم من الريف حيث أبهة البلاط، ، حدد القوى التي يجب على البرجوازية أن تحركها اذا ما رغبت في قلب الملكية. وبمـا أن شكسبير مرتبط بالبلاط وبعادات القصر بحكم مهنته، فقد وجد نفسه مقسوما" بين الأثنين على حد تعبير جورج طومسون: بين الإقطاع وبين البرجوازية الناشئة. ويحسم الأمـر هنا بأن شكسبير كان مرآة البرجوازية في عصره ، وان التردد هـو الـسمة الرئيـسة للشخصية البرجوازية. وأن هاملت حين سعى للقضاء على عمه ، فانه كان يريد القضاء على النظام الإقطاعي لكونه عجز عن تلبية حاجات عصر النهضة.

ويرى المخرج المسرحي العراقي ، سامي عبد الحميد ، أن تردد هاملت يرجع الى انغماسه في البحث عن مكامن الفساد في مجتمعه، ومحاولته إيجاد الطـرق المناسـبة للكشف عن مواضع الخيانة الأخرى التي وقف عليها أعداؤه. ويرى في هاملـت أنـه مصدر الرؤية وبؤرتها ، وهو تجاوز للواقع في حين يمثل الآخرون الواقـع الـذي لا يمتلكون القدرة على تجاوزه.

2. تفسيرات فنية وأخلاقية :

يقول فكتور هوجو إن شكسبير يمثل قمة شعراء الفن المـسرحي . وان عبقريتـه تتجلى في عناصر الغرابة والتناقض في كسره لعمود أرسطو. وحين شـاهد اسـكندر توماس الأب عرضا" لإحدى مسرحيات شكسبير هتف قائلا" : " أن الشاعر الاليزابيثي هذا أعظم خالق بعد الله ".

ويرى بعض النقاد أن تراجيديات شكسبير التزمت بوحدة الموضـوع ، إذ يـشكل الموضوع البؤرة التي تتجمع فيها خطوط المأساة متوازية ثم مشتبكة أحيانا" ومتعارضة أحيانا" أخرى . فلكل مأساة فكرة أو موضوع يعالج على عدد من المستويات وفي عدد من الحبكات تقوم بينها حبكة أساسية تدعمها، وقد تعارضها أو تـسخر منهـا حبكـات ثانوية.

وعلى رأي هؤلاء النقاد فان الموضوع في هاملت هو الموت. والعلاقة بـين ألاب الميت أو الذي يموت أثناء المأساة، تنتظم الحبكات الثلاث في المسرحية : خط هاملـت وأبيه الشبح ، وخط لايرتس وأبيه بولونيوس ، وخـط فـورتنبراس الأميـر الـشجاع المطالب بعرش أبيه الميت. والخطان الثاني والثالث ثانويان يخدمان الخط الأول.

وفي هذا السياق يعزى تردد هاملت الى أسباب فنية. فجورج سانتيانا يرى الـسبب يكمن في ضرورة إطالة المسرحية، حيث إن المأساة لا بد إن يمهد لها لتصل الى قمتها، في مشهد القتل الذي يحدث عادة في نهاية المسرحية.

لكن وجهة النظر هذه تنقضها وجهة نظر لــ " هانمر " الذي يرى عدم وجـود أي مبرر يمنع هاملت من قتل عمه. ولا ضرورة أن يكون عدد القتلى في المسرحية ثمانية في حين كان موضوع المسرحية يهدف الى قتل شخص واحد.

ويبدو هاملت من وجهة نظر " مركيد " الروح التي تفتش عن الحقيقة والوصول الى الحقيقة ليس سهلا" . ويمثل كلوديوس نموذج الشر، وتمثل اوفيليا الدين والكنيسة، ويمثل

بولونيوس مذهبها المطلق، أما فورتنبراس فيمثل الحرية، واما الشبح فهو صوت المسيحية.
وهذا التفسير يلتقي مع تفسير ذي مضمون ديني لـ " فيجيز " الذي يعدّ هاملت هو الشاب المؤمن بالمثل والقيم المسيحية . وان قتل العم ، في حكم التعاليم المسيحية ، يعدّ تعديا" على صاحب السلطان الشرعي في المملكة ، من أجل طمع شخصي دنيوي .

وثمة التقاء بين هذا التفسير وتفسير اجتماعي واخلاقي آخر يرى إن مهمة هاملت لم تكن مجرد قتل عمه، بل إقناع الشعب بجريمة قتل لا يملك لأثباتها ما يكفي لتبرير الثأر، سوى دليل غير مادي هو شبح أبيه. وأنه لو قام بقتل عمه لأتهم الشعب بجريمة قتل ، ولتحول العم " كلوديوس " الى بطل ضحية وهاملت الى مجرم غادر لفق تهمة ليتخذها ذريعة للوصول الى العرش .

غير إن التفسير الأخير هذا، من جهة أخرى مضادة ، ليس له ما يدلل على إن هاملت كان قد وضع الشعب في حساباته ضمن هذا التصور. وبافتراض ذلك فان هاملت كان قادرا" بتعاون صديقه هوراشيو على تدبير أمر ، أو بدون أي تدبير حين سنحت له الفرصة في مشهد الصلاة .

ويرى أحد الصحفيين النقاد أنه في الموقف الذي واجه هاملت رأى أن العدالة كقيمة عظيمة لا يمكن أن تتحقق بالثأر لأبيه والانتقام من القتلة . وفي الوقت نفسه بدت عملية القتل هذه من خلال ثقافته ورقته وشفافية وجدانه وحساسيته فعلا" بشعا" لا يمكن الإقدام عليه .

وقد ناقش " برادلي" التفسيرات المختلفة التي تفسر إحجام هاملت عن الثأر لأبيه بضميره الخلقي ، وخلص منها الى أن الضمير وحده لا يكفي لتفسير هذا الإحجام . وأن في المسرحية نصوصا" تدلل على أن هاملت كان يحس أن التفكير على هذا النحو الأخلاقي ليس إلا لونا" من التفكير غير المجدي ، وان مسألة الضمير هذه ليست إلا عذرا" من أعذاره الكثيرة التي يبرر بها توانيه.

3. تفسيرات سيكولوجية:

يعتقد " برادلي" أن هاملت مصاب بمرض السوداوية، وهي محور المأساة والمسؤولة عن الحقيقة الأساسية في تقاعس هاملت. لأن السبب المباشر لهذا هو شعوره بالاشمئزاز من الحياة ومن كل ما فيها دون استثناء لشخصه. ويكون الاشمئزاز متباينا"" في شدته. إذ يصل أحيانا" مستوى التبلد. ومثل هذه الحالة من الشعور تنفر من أي عمل حازم .

ويذهب "بيرتون" الى أبعد من ذلك ، إذ يرى إن المزاج السوداوي كان عقدة سائدة في عصر شكسبير أعطى هاملت ،عن قصد ، مزاجا" سوداويا" غامضا".

وعلى غرار هذا التفسير يطرح آخر رأيا" مشابها" فيعزو تردد هاملت الى داء العصر الجديد والشعور بالتمزق ينتاب الشاب كروح الهزيمة التي سادت ما بعد الحرب العالمية 1918 وأحساس الشباب بالبعث.

ويرى " فولسن نايت" إن روح هاملت مريضة، وأن العالم بنظره سجن كبير مليء بالقذارة. وهو ــ هاملت ــ رجل مسلوب الإرادة واهن العزيمة يعاني من السوداوية.

وهناك نمط من التفسيرات تنطلق ممن القدرة العقلية عند هاملت . من بينها تفسير "دريدان " الذي أقامه على مقولته " العقول الكبيرة شديدة القرب من الجنون ". ففي رأيه إن عقل هاملت الراجح عجز عن أن يدفعه الى العمل برغم تلك الحوافز القوية. لأنه لم يكن بعيدا" تماما" عن الجنون .

وباستثناء التشخيص الأخير " الجنون " ــ الذي يلتقي مع تشخيص " تيرش" و "سجمسمند " و " استنجر " الذين يرون إن هاملت مصاب بمرض عقلي في نوع من الجنون ــ فان تفسير " دريدان " يلتقي مع تفسير " شليجل ــ وكولردج " اللذين يريان إن سبب تواني البطل هاملت هو التردد، وسبب هذا التردد هو أدمان الذهن على عادة التفكير والتكهن . وأن هاملت ينافق إزاء نفسه. وما شكوكه وتوجساته إلا الاعتذار يقصد منها تغطية حاجته الى التصميم . وانه لا يؤمن أيمانا" ثابتا" بنفسه، ولا بأي شيء آخر . انه يضع نفسه في متاهات الفكر.

ويطرح "بوس" نفس التفسير إذ يعزو تواني هاملت في الثأر لأبيه الى نشاطه العقلي والعاطفي الزائد ."وهذه إضافة من بوس" الذي يؤدي الى ضمور الإرادة .

ويرى كل من " جوت وكولردج " إن هاملت يمثل انموذجا" للعقل اللامع والذكاء المتوقد ، ولكن هيمن عليهما الضعف البشري والإرادة المشلولة. وأن هاملت يمثل انموذج العقل الأكاديمي الذي يغوص ويحلق ولا يكاد يفعل شيئا".

وهذا الرأي يتفق مع تفسير بريشت لمسرحية هاملت التي اعتبرها تراجيديا التناقض بين العقل والعمل ، حيث يستخدم هاملت بصورة غير مجدية المفهوم الجديد للعقل الذي تعلمه في جامعة وتنبرغ .

ويطرح كل من " فرويد وارنست جونز " تفسيرا" قائما" على عقدة أوديب. فأرنست جونز يعتقد إن هاملت كان ، خلال حياة أبيه، مرتبطا" بأمه كطفل يحبها حبا" آثما" لا يقره المجتمع، فكان يغار من أبيه ويشعر بالأثم شعورا" عميقا". وكانت النتيجة تغطية مصطنعة تبدو في إعجابه الشديد بصفات أبيه. ولما قتل أبوه أحس لا شعوريا" بفرح واغتباط إذ تخلص هاملت من منافسه العتيد. ولأن هاملت كان عاجزا" عن التخلص من أبيه ، فهو عاجز أيضا" عن التخلص من عمه لنفس الأسباب.

ونختتم هذه التفسيرات بالرأي التالي لفرويد:

" ما هي أسباب هذا التردد؟ . ذلك ما لا ينبس النص بحرف عنه، وبذلت في تفسيره محاولات لا تحصى فما أتت بطائل . فهاملت في نظر " فيلهم ما يشتر " اصلها "جوته" ولا تزال لها الغلبة حتى اليوم بمثل هذا الطراز من الرجال الذين شلت عندهم القدرة على العمل المباشر بفعل نمو العقل نموا" مفرطا". وفي نظرة أخرى ، إن الشاعر أراد أن يصور لنا مريضا" مذبذبا" شارف النوراستانيا. بيد إن المسرحية ترينا أن هاملت بعيد كل البعد عن أن يصور في صورة إنسان فقد كل قدرة على العمل. فنحن نراه يعمل مرتين، الأولى في ثورة مباغتة حين يطعن المسترق من وراء الستار. والثانية فعن قصد مبيت، بل في مكر جم ، وذلك حين يرسل برجلي البلاط الى الموت الذي كان مدبرا" له هو . مبديا" في ذلك كل التحلل الخلقي الذي يمكن أن يتصف به أمير من أمراء عصر النهضة. فما الذي يوقفه على هذا النحو في إنفاذ التي كلفه بها شبح أبيه؟.

الجواب ـــ والحديث لفرويد ـــ نجده مرة أخرى في الطبيعة الخاصة لتلك المهمة . إن هاملت يستطيع أن يأتي كل شيء إلا أن يثأر من الرجل الذي أزاح أباه ، واحتل مكانه عند أمه. الرجل الذي يريه ــ اذن ــ رغباته الطفلية وقد تحققت .

وأنا ـــ فرويد ـــ إذ أقول ذلك أترجم في عبارة شعورية ما كان مقررا" بقاؤه لا شعوريا" في نفس البطل . فإذا أراد البعض أن يدعو هاملت هستيريا" ، لم أجد إلا أن أسلّم بأن تلك النتيجة تخرج من تفسيري . ويتسق وذلك أحسن الاتساق ما يعرب عنه هاملت مع اوفيليا من نفور من الحياة الجنسية. وهذا النفور الذي كان مقدّرا" أن يزيد على الدوام تمكنا من نفس الشاعر من مستأنف سنواته حتى بلغ التعبير عنه أقصاه في " تيمون الاثيني ". فما يطالعنا في هاملت بالطبع هو الحياة النفسية

لشكسبير. وأني ـــ فرويد ـــ لألحظ في كتاب " جورج براندس 1896" قوله : " إن شكسبير كتب هذه المسرحية فور موت أبيه 1601 ، أي حين كانت وطأة الحزن في أشدها، وحين بعثت في نفسه من جديد ـــ كما يحق لنا افتراضه ـــ مشاعره الطفلية نحو والده. ومن الأمور المعروفة كذلك أن ابن شكسبير الذي مات في سن مبكرة كان يحمل أسم " هامنت " وهو يطابق هاملت " .

ثانيا. وجهة نظر جديدة

تطرح شخصية هاملت نموذجا" متفردا" في الشخصية الإنسانية، تتجلى فيه القدرة الإبداعية المتميزة للشاعر الخالد شكسبير. وحين يكون الحديث عن الشخصية ، فأن علماء النفس يطرحون تعريفات متعددة لها، ونظريات ووجهات نظر متباينة. لكن المتفق عليه هو أن الشخصية تعني : أساليب أو طرائق الفعل Acting والتفكير Thinking والإحساس Feeling التي يوصف بها الفرد وتميّزه عن الآخرين . أي أن الشخصية هي :الأفكار والمشاعر والتصرفات التي تميز طريقة الفرد في تعامله مع الناس والأحداث .غير أن بعض المنظّرين يؤكدون على الطفولة المبكرة، ويعدّونها هي العامل الحاسم والوحيد في تقرير سلوك الإنسان، كفرويد الذي فسّر سلوك هاملت وفقا" لعقدة أوديب التي تنشأ حوالي السنة الخامسة من عمر الطفل، وبالتالي تكون الشخصية غير قابلة للتغير ، بعكس وجهة نظر مضادة تؤكد على أن العناصر اللاحقة المؤثرة في الأفراد في سن متأخرة قد يكون لها نفس تأثير عوامل الطفولة.بمعنى ، أن أحداثا تقع للفرد بعمر الشباب مثلا قد يكون لها تأثير في الفرد أقوى من تأثير أحداث وقعت له في طفولته (عكس ما يقوله فرويد).

إن ما يقوم به هاملت هو **سلوك**. وما لا جدال فيه أن وراء كل سلوك " **دافع** ". لكن الجدل والاختلاف يكمنان في تفسير الدافع . والمتفق عليه هو أن الدافعية Motivation حالة داخلية تنشّط أفكارنا ومشاعرنا وأفعالنا ، وتعمل على توجيهها نحو أهداف معينة . والدافعية تحديدا ، هي التي توضح لنا : لماذا يتصرف الناس ، ويفكرون ، ويشعرون بالطريقة التي يعتمدونها . هذا يعني أن الدوافع Motives حالات في داخل الفرد تعمل على استثارة سلوكه وتحدد اتجاه هذا السلوك وإدامته من عدمها . واستطرادا نضيف : إن الدوافع في الأصل أفكار"عملية معرفية " تتفاعل مع مشاعر"انفعالات وعواطف" تظهر في سلوك" أفعال " توجهه نحو هدف معين .

ويختلف علماء النفس حول " **قوة** الدافع" . فبعضهم يرى أن قوة الدافع تكون ثابتة بثبات المواقف، وبعضهم يرى أن قوة الدافع تقوى نتيجة الخبرة والممارسة ومواجهة المواقف المتنوعة.

ويختلف علماء النفس حول " **هدف** " الدافع هل هو : الحصول على المتعة والشعور بالزهو ... اختزال المنبهات القوية ... توسيع مجال التأثير في الآخرين ... تصعيد الإثارة ... خفض التوتر ... المحافظة على الذات ... تحقيق الذات .. احترام الذات ..أم هذه الأشياء وأشياء أخرى ؟ وهو موضوع شائك لا نريد الخوض فيه بقدر ما نريد التنبيه إليه، ونحن نتقدم باتجاه طرح تفسير جديد لتردد هاملت.

تقوم وجهة نظرنا ، في تقديم تفسير لتردد هاملت ، على ما نسميه " **خصوصيات المواقف**". وخصوصيات المواقف هذه مشروطة بافتراض أن شخصية هاملت تتميز بالصفات الآتية :

* أنه مثقف بمواصفات المثقف البرجوازي بخصوصيات عصر شكسبير . وانه متميز بشكل استثناء" إيجابيا" بكونه منحازا" بشكل ثابت الى الحقيقة.

* وأنه ذكي ، ويستخدم المكر أحيانا بذكاء .

* وأنه شجاع .
* وأنه ليس مجنونا". ولكنه يمر بلحظات من التأزم النفسي الحاد، يبدو فيها للآخرين وكأنه مصاب بمس من الجنون أو الهوس .
* وأنه نبيل ، ولديه ومضات من الحس الديني .
* وأنه وضع فجأة أمام امتحان في الحياة العملية، وإزاء مهمة غير عادية لم يمهد لها بمهمات أهون في حياته التي تلقى فيها ثقافة غزيرة تطلبت منه تكريس طاقته باتجاه الجانب الفكري في حياته الجامعية العامة، وقادته الى اشغال فكره في الإنسان والحياة والموت .
* وأنه أكتشف فجأة إن الواقع الحي، المعاش يضم مجتمعا" يعاني من التبّرم . وهذا الاكتشاف " الصدمة ـــ الهزّة " يتناقض مع النقاء الذي كان يتصوره .
* وأن الأم تلعب الدور الرئيس في وضعه السيكولوجي . وأنها تنفرد بتميز خاص بكل اعتبارات الأم وإمتداداتها .

وكمحصلة لهذه الصفات الأساسية المستقطبة بصيغة تفاعلية في شخصية هاملت، نعود الى خصوصيات المواقف. ونعني بها أن الإنسان حين يكون في موقف يقتضي فعلا معينا"، فانه يتصرف بموجب خصوصية ذلك الموقف.

وهاملت وضع أو وجد نفسه في عدد من المواقف. وضمن هذه المواقف جميعها هناك عوامل **ثابتة** وهناك عوامل **متغيرة** . والذي يحسم الأمور " **الفعل** " هو العوامل **المتغيرة** اذا كانت باللحظة النفسية المقررة تشكل **تعزيزا**" للعوامل الثابتة.

إن العوامل الثابتة هنا ضمن المواقف جميعا" هو هاملت كشخص موجود في سلسلة من مواقف. ثم مجمل تعليمه وتنشئته وسلوكه المكتسب، بكل المواصفات الرئيسة المذكورة آنفا".

وهذا يعني إن طرحنا لخصوصية المواقف مشروط بثلاثة أمور أساسية هي :
* طبيعة الوجود الاجتماعي القائم .
* محصلة علاقة الفرد بالآخرين .
* ثم تاريخ حياته بدءا" من لحظة ميلاده حتى اللحظة التي تشكل زمن الفعل أو عدم الفعل في موقف محدد بخصوصيته.

أما العوامل المتغيرة فهي : نوع وكم ودرجة شدة المثيرات التي تكتنف ذلك الموقف. وهي متغيرة من موقف الى موقف آخر.

وحين يكون الإنسان في لحظة تقرير عمل معين، فانه يكون تحت تأثير قوتين: قوة **دافعة** باتجاه التنفيذ، وقوة **ساحبة** باتجاه المراوحة " التردد " أو السحب المضاد . فحين تكون المثيرات في موقف معين من حيث النوع والكم والدرجة لصالح القوة الدافعة، عندها يفترض حصول التنفيذ " الفعل " في هذا الموقف. وبالنسبة لهاملت حدث ذلك مرتين، الأولى حين وجه هاملت طعنته القاتلة الى " بولونيوس " المختبئ وراء الستارة، ظنا" منه أنه الملك : " كنت أحسبك سيدك ". وذلك لأن خصوصيات هذا الموقف كانت لصالح القوة الدافعة. أي إن العوامل المتغيرة هنا والمتمثلة بالمثيرات شكلت تعزيزا" للقوة الدافعة عند هاملت. فوجود الحركة خلف ستار في مكان هو خاص بالملك والملكة، وله دلالة سيكولوجية عميقة، ودلالات هذه الحركة المتعارضة مع قيم هاملت. ووجود الملكة الأم ... الذي يشكل الانتقام من زوجها الملك في خصوصية هذا الموقف اعدل وأقسى عقاب يستحقه كلاهما الملك العم والملكة الأم بكل إمتداداتها.

وحصل التنفيذ مرة ثانية في المشهد الأخير حين انكشفت خديعة الملك، فتناول هاملت السيف المسموم وطعن به كلوديوس الملك فقتله. ولسنا هنا بحاجة لتحديد

خصوصيات هذا الموقف. فكل العوامل المتغيرة في هذا الموقف، أي كل مثيراته التي جسدت بشاعة رداءة الإنسان المتمثلة بعمّه الملك ، شكلت تعزيزا" للعوامل الثابتة في شخصية هاملت، وحصل التنفيذ.

وحين تكون المثيرات، في موقف آخر، موزعة بين القوة الدافعة والقوة الساحبة بشكل قريب من التكافؤ، أو تكون لصالح قوة السحب المضاد، عندها يفترض حصول تلكؤ أو تردد في التنفيذ . ويحصل هذا عند الأشخاص من نمط هاملت حين يتعرضون الى مواقف غامضة. فعند كل إنسان توجد قوتان أساسيتان هما قوة **التفكير** وقوة **التنفيذ.** وحين تكون قوة التفكير هي المسيطرة فإنها ، في المواقف التي لا تكون فيها العوامل المتغيرة لصالح تعزيز العوامل الثابتة ، تأخذ اتجاها" آخر هو حساب **الاحتمالات**. وحين تتعدد الاحتمالات فإنها تقود بالتبعية الى حسابات نتائج كل احتمال، وينشأ بسببها نوع من تداخل النتائج والأسباب، تتعداها الى حسابات مستقبلية. فتكثر الاحتمالات وهاملت ــــ بالمواصفات التي أشرنا إليها ــــ لا يقبل **باحتمالين** في موقف القضية فيه هي **الحقيقة.** لأن وجود احتمالين يعني أحدهما **ضياع** الحقيقة واندحار **الباحث** عنها. وهذا ما حصل في كل المواقف التي اتسمت بالتردد، وأهمها الموقف الذي كان فيه كلوديوس يصلي لوحده. فخصوصيات هذا الموقف "عوامله المتغيرة " لم تكن في صالح القوة الدافعة، بل كانت موزعة بين القوتين الدافعة والساحبة فحصل التردد :

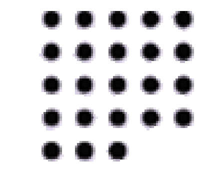
" **بإمكاني أن افعلها، كذا ، وهو يصلي . وسأفعلها الآن ويذهب هكذا الى السماء ، أفاكون قد انتقمت؟ كلا فلأمحّص الأمر . نذل يقتل أبي غيلة ، ولذا فأنا أبنه الوحيد أرسل هذا النذل الى السماء، لكان ذلك خدمة ومكافأة لا انتقاما** " .

وهكذا في كل المواقف التي حصل فيها التردد. فخصوصيات هذه المواقف تشير الى أن العوامل المتغيرة فيها موزعة بين القوة الدافعة والقوة الساحبة، ولوجود أكثر من احتمال، فيما لو حصل التنفيذ في هذه المواقف ، وهو أمر يتنافى وشخصية هاملت المطروحة بالمواصفات التي أوردناها. لأنه يريد الفعل في الموقف أن ينتهي الى نتيجة واحدة لا تقبل تعدد الاحتمالات ... هي **انتصار الحقيقة وخلودها.**

المصادر

1. فرويد، سيجموند . تفسير الأحلام ، ترجمة مصطفى صفوان . دار المعارف بمصر 1969.

2. Bradley, A. C.Shakespearen Tragedy. London: Macmillan& Co. Ltd, 1904.



3. Clemen, Wolfgang M. The Development of Shakesperes Imagery. Cambridge, Mass, Harvard University press, 1951.

4. Coleridge, S. T. Shakespearen Criticism. London: j. M. Dent & Sons, Ltd, 1961.

5. Elliott, George Roy. A Study of" Hamlet" as a Tragedy of Revengefulness and justice Durham, N. C: Duke University press; London: Cambridge University press, 1951.

6. Hazlitt, William. The Characters of Shakespear s play. 2nded _ London: Taylor & Hessey, 1959.

7. Jones, Ernest. Hamlet and Oedipus. New York: Doubleday & Company, Inc. 1954.

8. Mack, Maynard. The Word of "Hamlet". Yale University press, 1952

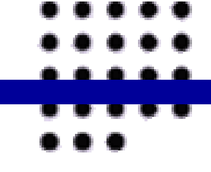
9. Ornstein Robert. The Moral Vision of Jacobean Tragedy. The University of Wisconsin press, 1960.

الإعــلام الجــديد

دراسة في تحولاته التكنولوجية وخصائصه العامة

د. عباس مصطفى صادق

الامارات العربية المتحدة



ملخص الدراسة

تهدف هذه الدراسة الى القاء الضوء على مفهوم وجوانب من تطبيقات ما بات يطلق عليه الاعلام الجديد , كونه يمثل مظهرا جديدا كليا , ليس في إطار دراسات علوم الاتصال فقط , ولكن في مجمل ما يحيط بهذا النوع المستحدث من الاعلام من مفاهيم , خاصة وأنه ما زال في معظم جوانبه حالة جنينية لم تتبلور خصائصها الكاملة بعد .

وتستعرض الدراسة مجموعة واسعة من التعريفات المتاحة حاليا , بما في ذلك ما كتبته الموسوعات والقواميس المتخصصة في التكنولوجيا , ثم تعرج الدراسة الى استعراض عدد من الرؤى النظرية التي اتيح للباحث الاطلاع عليها .

وتقف الورقة بالتحليل المبسط عند هذه الرؤى خاصة تلك التي تم تداولها كثيرا لدى المتخصصين في هذا المجال مثل نيكولاس نيغروبونتي Nicholas Negroponte وجون بافلك John Pavlik وفين كروسبي Vin Crosbie وستيف جونز Steve Jones وهم من شغلهم موضوع التطور الانقلابي الكبير في وسائل الاتصال والثورة الرقمية ودرسوا الجوانب المختلفة الناتجة عن هذا التغيير .

ثم تصل الورقة الى جملة من الخلاصات من خلال ما قدمته من نقاش مفصل لمجموعة الرؤى المطروحة , وهي خلاصات تحاول ان تلمس الفكرة الرئيسة التي يعمل من خلالها نظام الاعلام الجديد , وتجيب على التساؤلات المطروحة عن هوية هذا الاعلام وعن مداخل فهمه وأسس التعامل معه .

Abstract

The objective of this study is to shed light on the concept and applications of New Media which demonstrates a new era in the communication sciences, having the fact that most of its characteristics has not yet crystallized .

The study reviewed a wide range of definitions about the terms related to new media. It also reviewed a number of theoretical visions that are currently circulated among specialists in this area for names including Nicholas Negroponte and John Pavlik.

Then the paper has concluded a number of abstracts and results through detailed discussion of the proposed visions. These results are trying to find the main ideas behind New Media system to answer the questions raised on its identity.

مدخل

تتعدد مداخل النظر في مفهوم الاعلام الجديد New Media وتطور وسائله في سياقات تاريخية وتكنولوجية مختلفة . فبعض ممن تصدوا للبحث في فكرة الاعلام الجديد مثل بافليك الذي يراه من خلال مدخلي الثورة الرقمية والانترنت وما يليهما من تطبيقات في الخمسين عاما الماضية , وباحثين آخرين مثل ديفيس **Davis ,** واوين Owen الذين يريا انطلاقته من خلال مجموعة من الاشكال الاعلامية الجديدة التي غيرت تماما نموذج الاعلام التقليدي كبرامج الحوار التلفزيوني Talk Show والبرامج المتنوعة والحية لقناة ام تي في MTV الموسيقية , على سبيل المثال , وهي برامج غيرت شاشة التلفزيون بشكل انقلابي , وهما لا يغفلان دور التكنولوجيا الرقمية وظهور الانترنت في بلورة هذا النوع من الاعلام ولكنهما يختلفان مع بقية الباحثين حول تاريخ بدايات حقبة الاعلام الجديد .

باحثون آخرون مثل غيتلمان Gitelman وبنغري Pingree وهما يعودان بالاعلام الجديد إلى مرحلة ظهور التلغراف في حوالي 1740 ويبنيان فكرتهما على مبدأ الحالة الانتقالية للاعلام التي ناقشها مؤتمر بالاسم نفسه Media in Transition Conference عقد بمعهد ماسوشسيتس الامريكي للتكنولوجيا MITمؤخرا .

في هذه الدراسة سنطرح مجموعة من التعريفات الاولية والاجرائية لمفهوم الاعلام الجديد , ثم نعقبها بنقاش للمداخل المختلفة لتوضيح مفهومه او مفاهيمه المختلفة , ونعرض لاهم ادوات ووسائل بناء وتقديم هذا النوع الجديد من الاعلام .

مظاهر تعدد تسميات الاعلام الجديد

على أننا يجب ان نقر في البداية بأن هذا الاعلام الجديد الذي تولد من التزاوج Convergence ما بين تكنولوجيات الاتصال والبث الجديدة والتقليدية مع الكومبيوتر وشبكاته , تعددت أسماؤه ولم تتبلور خصائصه النهائية بعد ويأخذ هذا الاسم لأنه لا يشبه وسائط الإتصال التقليدية , فقد نشأت داخله حالة تزامن في إرسال النصوص والصور المتحركة والثابتة والأصوات .

وتدل الاسماء المتعددة للتطبيقات الاعلامية المستحدثة , كل واحدة , على ارضية جديدة لهذا الاعلام , فهو الاعلام الرقمي Digital Media لوصف بعض تطبيقاته التي تقوم على التكنولوجيا الرقمية مثل التلفزيون الرقمي والراديو الرقمي وغيرهما , او للاشارة الي اي نظام او وسيلة اعلامية تندمج مع الكومبيوتر . ويطلق عليه الاعلام التفاعلي Interactive Media طالما توفرت حالة العطاء والاستجابة بين

المستخدمين لشبكة الانترنت والتلفزيون والراديو التفاعليين وصحافة الانترنت غيرهـــا مـــن الـــنظم الاعلامية التفاعلية الجديدة .

وهو أيضاً الاعلام الشبكي الحي على خطوط الاتصال Online Media بالتركيز على تطبيقاته في الانترنت وغيرها من الشبكات . كما يطلـــق عليـــه تعبيـــر الوســـائط السيبرونية Cyber Media من تعبير الفضاء السيبروني Cyber Space الذي أطلقه كاتب روايات الخيال العلمي ويليام جبسون William Gibson في روايته التي اصـــدرها عـــام 1984 بإســـم Neuromancer والتعبيـــر مـــأخوذ مـــن علـــم السيبرنطيقا Cybernetics المعروف عربيا بعلم الـــتحكم الآلـــي ويعنـــي تعبيـــر السايبرميديا العالم المصنوع من المعلومات الصرفة التي تأخذ – ليس فيزيائيـــا- شـــكل المادة , ويصف التعبير وسائل التحكم الإلكتروني التي حلت محل الأداء البشري ولكنـــه يستخدم هنا لوصف فضاء المعلومات في شبكة الانترنت .

يطلق على الاعلام الجديد ايضا صفة اعلام المعلومات Info Media للدلالة على التزاوج داخله بين الكومبيوتر والاتصال وعلى ظهور نظام اعلامي جديد يـــستفيد مـــن تطور تكنولجيا المعلوماتية ويندمج فيهـــا . ويطلـــق عليـــه اعـــلام الوســـائط التـــشعبية Hypermedia لطبيعته المتشابكة وإمكانية خلقه لشبكة مـــن المعلومـــات المتـــصلة ببعضها بوصلات تشعبية او وصلات قاطرة Hyperlinks وهنا نحن معنيون بميزات خاصة بشبكة الانترنت التي اعطت ميزة التشعبية والوصلات Links لما ينشر او يبث داخلها , كما يطلق على بعض تطبيقات هذا الاعلام المستحدث , اعلام الوسائط المتعددة Multimedia لحالة الاندماج التي تحدث داخله بين النص والصورة والفيديو.

ونلاحظ ارتباط بعض هذه الاسماء بتطبيقات الكومبيوتر , فبعضها خرج مـــن طبيعـــة الوسيط الاتصالي وأخرى من خبرات ثقافية يصعب ايجاد تعبير مقابل لها خارج البيئـــة التي ولدت فيها , كما أن بعض الاسماء يشير الى تطبيق جزئي من تطبيقـــات الاعـــلام الجديد او احدى ميزاته كما هو الحال بالنسبة للتسميات التي تنطلق من ميـــزات شـــبكة الانترنت , وبعضها يلم بأطراف اخرى من الوسائل مما يوسع من قاعدة التعريف ومـــن قاعدة الوسائل والتطبيقات والخصائص والتأثير للاعلام الجديد بشكل عام .

تعريفات أولية للاعلام الجديد

يعرف قاموس التكنولوجيا الرفيعة High-Tech Dictionary الاعلام الجديـــد بشكل مختصر ويصفه بأنه " اندماج الكومبيوتر وشبكات الكومبيوتر والوسائط المتعددة "[i]. وبحسب ليستر Lester :" الاعلام الجديد باختصار هـــو مجموعـــة تكنولوجيـــات

الاتصال التي تولدت من التزاوج بين الكومبيوتر والوسائل التقليدية للاعلام , الطباعة والتصوير الفوتغرافي والصوت والفيديو " [ii].

ويعرفه قاموس الكومبيوتر Computing Dictionary عبر مدخلين هما :

1/ "إن الاعلام الجديد يشير إلى جملة من تطبيقات الاتصال الرقمي وتطبيقات النشر الإلكتروني على الأقراص بأنواعها المختلفة والتلفزيون الرقمي والإنترنت . وهو يدل كذلك على استخدام الكومبيوترات الشخصية والنقالة فضلا عن التطبيقات اللاسلكية للاتصالات والأجهزة المحمولة في هذا السياق . ويخدم أي نوع من أنواع الكومبيوتر على نحو ما تطبيقات الإعلام الجديد في سياق التزاوج الرقمي Digital Convergence إذ يمكن تشغيل الصوت والفيديو في الوقت الذي يمكن أيضا معالجة النصوص وإجراء عمليات الاتصال الهاتفي وغيرها مباشرة من أي كومبيوتر .

2/ المفهوم يشير ايضا إلى الطرق الجديدة في الاتصال في البيئة الرقمية بما يسمح للمجموعات الأصغر من الناس بإمكانية الإلتقاء والتجمع على الإنترنت وتبادل المنافع والمعلومات , وهي بيئة تسمح للإفراد والمجموعات بإسماع صوتهم وصوت مجتمعاتهم إلى العالم اجمع " [iii].

ويعرف قاموس الانترنت الموجز Condensed Net Glossary تعبير الاعلام الجديد بأنه يشير الى : " أجهزة الإعلام الرقمية عموما، أو صناعة الصحافة على الإنترنت . وفي أحيان يتضمن التعريف اشارة لأجهزة الإعلام القديمة , وهو هنا تعبير غير إنتقاصي يستخدم ايضا لوصف نظم إعلام تقليدية جديدة : الطباعة، التلفزيون، الراديو، والسينما " [iv].

وبحسب موسوعة الويب المعروفة بإسم ويبوديا Webopedia فإن تعبير الاعلام الجديد يشير الى : " العديد من الأشكال المستحدثة من نظم الإتصال الإلكتروني التي اصبحت ممكنة بفضل الكومبيوتر . والتعبير مرتبط ايضا بالنظم الإعلامية القديمة , فإذا ما قمنا بعقد مقارنة بين الصحافة الورقية التي تتصف بحالة سكون في نصوصها وصورها مع صحافة الاعلام الجديد نلمس الفرق في ديناميكيتها وفي حالة التغير المستمر الذي تتصف به . التعبير يشير ايضا الى قابلية اجراء الاتصال بين الاجهزة الثابتة والمحمولة بانواعها المختلفة , بما يمكن معه نقل المعلومات بين بعضها البعض .

وبينما يقوم مبدأ وسائل الاعلام التقليدية على نظام ثابت ومعروف , إما بطريقة الاتصال من واحد الى واحد Point-to-point , ومثال على ذلك الاتصال بالهاتف , أو من واحد الى الكثيرين Point-to-many ومثال على ذلك التلفزيون والراديو . أما في حالة الاعلام الجديد , وفي تطبيقاته المختلفة , خاصة المرتبطة الإنترنت , فإن هذا

النمط تغير بشكل جذري . فقد مكنت الإنترنت من الوصول الى كل الأشكال المحتملة من نقاط الاتصال "[v].

ويعرفه جونز Jones [vi] الذي يقر اولا بعدم وجود اجابة وافية وقاطعة عن السؤال : ما هو الاعلام الجديد ؟ ويبني اجاباته على أن هذا الاعلام هو في مرحلة نشوء . " الاعلام الجديد هو مصطلح يستخدم لوصف اشكال من انواع الاتصال الالكتروني اصبح ممكنا باستخدام الكومبيوتر كمقابل للاعلام القديم التي تشمل الصحافة المكتوبة من جرائد ومجلات والتلفزيون والراديو – الى حد ما – وغيرها من الوسائل الساكنة Static .

ويتميز الاعلام الجديد عن القديم بخاصية الحوار بين الطرفين , صاحب الرسالة ومستقبلها , ومع ذلك فإن الفواصل بين الاعلام الجديد والقديم ذابت , لأن القديم نفسه اعيد تكوينه وتحسينه ومراجعته ليلتقي مع الجديد في بعض جوانبه "[vii].

وتضع كلية شريديان التكنولوجية Sheridan تعريفا عمليا للاعلام الجديد بأنه : " كل انواع الاعلام الرقمي الذي يقدم في شكل رقمي وتفاعلي . وهنالك حالتان تميزان الجديد من القديم حول الكيفية التي يتم بها بث مادة الاعلام الجديد والكيفية التي يتم من خلالها الوصول الى خدماته , فهو يعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت , فضلا عن استخدام الكومبيوتر كآلية رئيسة له في عملية الانتاج والعرض , اما التفاعلية فهي تمثل الفارق الرئيس الذي يميزه وهي اهم سماته .

على ذلك , يمكن تقسيم الاعلام الجديد الى الاقسام الاربعة الآتية :

- الاعلام الجديد القائم على شبكة الانترنت Online وتطبيقاتها , وهو جديد كليا بصفات , وميزات غير مسبوقة , وهو ينمو بسرعة وتتوالد عنه مجوعة من تطبيقات لا حصر لها .
- الاعلام الجديد القائم على الاجهزة المحمولة , بما في ذلك اجهزة قراءة الكتب والصحف . وهو ايضا ينمو بسرعة وتنشأ منه انوع جديدة من التطبيقات على الادوات المحمولة المختلفة ومنها اجهزة الهاتف والمساعدات الرقمية الشخصية وغيرها .
- نوع قائم على منصة الوسائل التقليدية مثل الراديو والتلفزيون التي اضيفت اليها ميزات جديدة مثل التفاعلية والرقمية والاستجابة للطلب .
- الاعلام الجديد القائم على منصة الكومبيوتر Offline , ويتم تداول هذا النوع , اما شبكيا او بوسائل الحفظ المختلفة مثل الاسطوانات الضوئية , وما اليها ويشمل العروض البصرية والعاب الفيديو والكتب الالكترونية وغيرها "[viii].

من خلال مجموعة التعريفات المختلفة يبدو للباحث استحالة وضع تعريف شـامل عـن الاعـلام الجديد , لعدة اسباب , تبدأ بأن هذا الاعلام هو في واقع الامر يمثل مرحلة انتقالية مـن ناحية الوسائل والتطبيقات والخصائص التي لم تتبلور بشكل كامل وواضح , فهي ما زالت في حالة تطور سريع , وما يبدو اليوم جديدا يصبح قديما في اليوم التالي . واذا ما أردنـا وضع تعريف للاعلام الجديد بناء على الوسائل الجديدة فهي بالتأكيد ستكون قديمة بمجرد ظهور مبتكرات جديدة , وهذا مدعاة لصعوبة وضع تعريف صارم مـن هـذا المـدخل تحديدا بينما يختلف الوضع اذا تم وضع تعريف بناء على مجموعة الخصائص التي تميز الاعلام الجديد فهنالك شبه اتفاق على جملة خصائص يتصف بها هذا الاعلام , سنفـصل فيها لاحقا .

ولكن يمكن ان نخلص من جملة التعريفات الأولية إلى شبه اتفاق بأن فكرة الجدة يمكن استقراؤها من أن الاعلام الجديد يشير إلى حالة من التنوع فـي الاشـكال والتكنولوجيـا والخصائص التي حملتها الوسائل المستحدثة عن التقليدية خاصة فيما يتعلق باعلاء حالات الفردية Individuality والتخصيص Customization وهما تأتيـان نتيجـة لميزة رئيسة هي التفاعلية . فإذا ما كان الاعلام الجماهيري والاعلام واسع النطاق وهـو بهذه الصفة وسم اعلام القرن العشرين , فإن الاعلام الشخصي والفردي هو اعلام القرن الجديد , فالانترنت وهي واحدة من ادواته جعلت في مقدور اي انسان البحث عن الاغنية والبرنامج التلفزيوني والفيلم السينمائي والمعلومات الصحفية والعلمية التي يريد في الوقت الذي يريد .

ولكننا يجب ان نتفق بأن الإعلام الجديد ليس انترنت فقط , فبعض تطبيقاته بعيدة كليـا عن المبادئ التي تقوم عليه تكنولوجيا الانترنت , فالاعلام الجديد يـستبطن عـددا مـن التكنولوجيات الاتصالية التي ظهرت بعد اول تطبيق للنشر الالكتروني من نص وصـور ساكنة في نظم الكومبيوتر والشبكات المبكرة الى تطبيقات الاتصال غير المسبوقة علـى شبكة الإنترنت .

ونخلص هنا بالتأكيد على مجموعة من الخصائص والمميزات التي يتمتع بها الاعـلام الجديد عن ما سبقه . وهي تتمثل في دمجه للوسائل المختلفة القديمة والمستحدثة في مكان واحد , على منصة الكومبيوتر وشبكاته , وما ينتج عن ذلك الاندماج من تغيير انقلابـي للنموذج الاتصالي الموروث بما يسمح للفرد العادي ايصال رسالته إلى من يريد في الوقت الي يريد بطريقة واسعة الاتجاهات وليس من أعلى الى اسفل وفق النمـوذج الاتـصالي التقليدي . فضلا عن تبني هذا الاعلام للتكنولوجيا الرقمية وحالات التفاعلية والتـشعبية

وتطبيقات الواقع الافتراضي وتعددية الوسائط وتحقيقه لميزات الفردية والتخصيص وتجاوزه لمفهوم الدولة الوطنية والحدود الدولية .

مداخل نظرية لفهم خصائص الاعلام الجديد

نقدم هنا مجموعة من الرؤى النظرية حول الاعلام الجديد في مقاربات مختلفة لفهم مداخله الاساسية واتجاهاته , وهذ الرؤى المطروحة يلتزم بعضها الجوانب المتعلقة بالتطورات في تكنولوجيا الاتصال , وبعضها يعلق على الموضوع من جانب الدرسات الاجتماعية والسياسية وغيرها , بما يمثل مدخلا لفهم خصائص الاعلام الجديد وفهم مدخل الدراسات التي كتبت في هذا الحقل , ونستعرض هنا رؤى نيغروبونتي وبافلك وكروسبي ومانوفيتش وديفيس واوين . وسنناقش رؤية كل واحد على حدة.

مدخل نيغروبونتي لفهم الاعلام الجديد

يحصر نيغروبونتي Negroponte [ix] الميزات التي يتحلى بها الاعلام الجديد مقارنة بما سبقه في : " استبداله الوحدات المادية بالرقمية , أو البتات بدل الذرات Bits not Atoms كأدوات رئيسة في حمل المعلومات يتم توصيلها في شكل الكتروني وليس في شكل فيزيائي , والكلمات والصور والاصوات والبرامج والعديد من الخدمات يتم توزيعها بناء على الطريقة الجديدة , بدلا عن توزيعها عبر الورق او داخل صناديق مغلقة .

اما ميزة قدرة الاعلام الجديد على المخاطبة الرقمية المزدوجة Digital Addressability فهي عبارة عن نموذج تطور من عملية نقل المعلومات رقميا من كومبيوتر إلى اخر منذ بداية رقمنة الكومبيوتر نفسه بعد الحرب العالمية الثانية , الى تطور تشبيك عدد غير محدود من الاجهزة مع بعضها البعض , وهذا من ناحية , يلبي الاهتمامات الفردية Individual Interests ومن ناحية أخرى يلبى الاهتمامات العامة , أي أن الرقمية تحمل قدرة المخاطبة المزدوجة للاهتمامات والرغبات وهي حالة لا يمكن تلبيتها بالاعلام القديم .

الميزة الاكثر أهمية , هي أن هذا الاعلام خرج من أسر السلطة التي كانت تتمثل في قادة المجتمع والقبيلة , الكنيسة والدولة إلى أيدي الناس جميعا , وقد تحقق هذا جزئيا عند ظهور مطبعة غوتنبرغ وتحقق ايضا عند ظهور التلغراف واخذ سمته الكاملة بظهور

الانترنت التي جاءت بتطبيق غير مسبوق وحققت نموذج الاتصال الجمعي بين كل الناس
" x .

النموذج الاتصالي الجديد لدى كروسبي

يشترك فين كروسبي مع نيغروبونتي في نفس الافكار ويعقد مقارنة ثلاثية متسلسلة بين الاعلام الجديد والقديم من خلال النماذج الاتصالية الكلاسيكية , ابتداء من اول نموذج اتصالي بين البشر حتى بين غير بني البشر , من احياء , الذي كان من نوع الاتصال الشخصي Interpersonal Communications وهو اتصال ليس بحاجة الى وسائل تكنولوجية لكي يتم , وله حالتان تميزانه .

النموذج الاول : الاتصال الشخصي

- كل فرد واحد من طرفي الاتصال يملك درجة من درجات السيطرة المتساوية على المحتوى المتبادل بين الطرفين .
- المحتوى يحمل ترميزا يؤكد حالة الفردية Individualization التي تحقق احتياجات ومصالح صاحب المحتوى , كما أن المنافع والأضرار متساوية بين الطرفين .
- التحكم المتساوي وميزة الفردية ينخفضان في حالة ازدياد عدد المشاركين في العملية الاتصالية .

لهذه الاسباب , فإن هذا النموذج يتميز باستخدامه في تطبيقات الاتصال بين شخصين فقط , وهذا هو السبب الذي جعل خبراء الاتصال يطلقون عليه الاتصال من نقطة الى اخرى او من فرد لآخر One-to-one.

النموذج الثاني : الاتصال الجمعي

هو الاتصال الجماهيري او الجمعي Mass Media , وهذا النوع يخطئ فيه الكثيرون حينما يتصورون انه يحدث نتيجة للتطور التكنولوجي . إنه مثل الاتصال الشخصي يسبق التكنولوجيا . ويرجع هذا النموذج الى طرق الاتصال التي كان يتبعها قادة المجتمعات القديمة والملوك والزعماء الدينيون , فيما وسعت التكنولوجيا من مداه الى المستوى العالمي . ومن ادواته التقليدية الاذاعة والتلفزيون والسينما وما اليهما , وهو يقوم

على نمط الاتصال من نقطة او فرد الى المجموعة , على سبيل المثال من رجل دين او ملك او ناشر الى عدد من الناس الذين يطلق عليهم صفة المستمعين او القراء او المشاهدين . وهو الامر الذي دفع الاكاديميين لتسميته الاتصال من الفرد الى المجموعة One-to-many medium وما يميز هذا النوع :

- إن الرسالة نفسها تصل الى كل الجمهور .
- الذي قام ارسال هذه الرسالة يكون بلا شك هو المتحكم في محتواها .

وهذا معناه , وفق هذا النموذج:

- إن المحتوى لا يمكن تفصليه لتلبية احتياجات ومصالح كل فرد على حدة .
- ان الفرد لا يد له في التحكم في ما يصله من محتوى .

النموذج الثالث : الاعلام الجديد

الاعلام الجديد بحسب كروسبي , يتميز بما يأتي :

- الرسائل الفردية يمكن ان تصل في وقت واحد الى عدد غير محدود من البشر .
- ان كل واحد من هؤلاء البشر له نفس درجة السيطرة ونفس درجة الاسهام المتبادل في هذه الرسالة .

وبكلمات اخرى فإن الاعلام الجديد , يتميز عن النوعين المذكورين , الشخصي والجمعي , بدون ان يحمل الصفات السالبة فيهما . فلا يوجد ما يمنع اي واحد من ابلاغ رسالة معينة والتواصل مع شخص آخر . كما لا يمكن منع اي شخص من ابلاغ رسالة لجموع من الناس وتخصيص محتوى الرسالة لكل فرد على حدة . " .

تصورات كروسبي لامكانيات الاعلام الجديد

يقول كروسبي : " لكي نفهم الامكانات التي تقف وراء قوة الاعلام الجديد علينا ان نتذكر بأن ملايين الكومبيوترات التي تمثل شبكة الانترنت تقوم بالحصول على المعلومات وفرزها ونقلها لعدد غير محدود من البشر . وهؤلاء يمكنهم اجراء عملية اتصال بينهم في وقت واحد Simultaneously في بيئة تسمح لكل فرد مشارك , مرسلا كان او مستقبلا , بفرص متساوية من درجات التحكم .

كذلك عندما يقوم اي منا بزيارة موقع صحافي على شبكة الانترنت , فإننا لا نرى الاخبار والموضوعات الرئيسة فيه فقط , ولكننا نرى اجزاء من الموقع مخصصة لتلبية الاحتياجات الفردية الخاصة بالزائر . وهذا الامر لا يعني هذا الزائر وحده , وانما عملية

التخصيص هذه تتم لملايين الزوار في وقت واحد , وهو الامر الذي لا يمكن ان يتحقق في ظــروف نظم الاتصال السابقة . اما القوة الصاعدة للاعلام الجديد فهي تتمثل في كونــه ســيحفز ويشيع آليات جديدة كليا للإنتاج والتوزيع ستخلق مفاهيم جديدة تماما للأشكال الاعلاميــة ومحتوياتها "[xi].

مدخل ديفس واوين , التصنيفات الثلاثة للاعلام الجديد

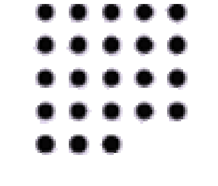
الملاحظة الرئيسية من التصورات المذكورة بالنسبة لنيغروبونتي وكروسبي ومجموعة التعريفات التي اشرنا اليها في بداية هذا الدراسة , تصنيفها للاعلام الجديد ضمن حالتين , جديد مقابل قديم , تماما كما يوحي التعبير نفسه , بين التماثلية والرقمية , بين مرحلة مــا قبل الانترنت ومرحلة الانترنت وهكذا . وهو تصنيف يظل غير واقعي طالمــا انــه لــم يستصحب حالة التماهي بين الاعلام الجديد والقديم , والاشكال المتقاربة في التعبير فــي كليهما والتكنولوجيات المستخدمة فيهما وطالما ظلت مجموعة الوسائل الرئيسية التقليديــة هي ذاتها كوسائل رئيسية في الفضاء الاعلامي , خاصة وان بعضها اصبح يحمل صفات الاعلام الجديد تكنولوجيا ووظائفيا . فالراديو والتلفزيون لم يصبحا فقط رقميين وموصلين بالاقمار الصناعية وشبكات الالياف الضوئية – وهما من ميزات الاعلام الجديد – ولكــن ايضا اصبحا وسيلتين تفاعليتين تعملان على منصة الكومبيوتر , وهذه هي الميزة الرئيسية التي تميز الاعلام الجديد , فضلا عن تغييرهما لمفهوم الخبر من حدث الى يحدث بالتواجد الحي في مواقع الاحدث الكبيرة التي شكلت علامات بارزة في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي مثل الحروب في افغانستان والعراق .

كذلك الامر بالنسبة للصحافة الورقية التي غيرت طريقة الانتاج تماما الى وسائل تنتمي كليا الى المرحلة الرقمية في جميع خطوات التحرير الصحافي ومعالجة الصور ومراحــل ما قبل الطباعة . كما لمس التغيير طريقة كتابة الاخبار وطريقــة الاخــراج واســتخدام الالوان والطباعة مع انفاس الفجر لملاحقة اخر الاخبار والطباعة الرقميــة فــي امكــان متعددة من انحاء العالم , ولم يبق الا التخلص من الورق , طالما ان التطور جار لانتــاج القارئات الرقمية الدقيقة والورق الالكتروني .

وللبحث عن مخرج لحالة التقابلية هذه في تصنيف الاعلام الجديد , يضع ريتــشارد ديفيس Richard Davis وديانا اوين Diana Owen في كتابهما المشترك (الاعلام الجديد والسياسة الامريكية) يضعا الاعلام الجديد وفق ثلاثة انواع هي :

- الاعلام الجديد بتكنولوجيا قديمة .
- الاعلام الجديد بتكنولوجيا جديدة .

- الاعلام الجديد بتكنولوجيا مختلطة .



النوع الأول : الاعلام الجديد بتكنولوجيا قديمة : يرى الباحثان [xii] ان نموذج الإعلام الجديد وفق هذا التصنيف يعود الى مجموعة من الاشكال الصحفية في الاذاعة والتلفزيون والصحف , ويشيران الى راديو وتلفزيون الحوار TV/ Talk Radio الذي يرجع الى حقبة الثلاثينات من القرن الماضي , فقد كان الرئيس الامريكي فرانكلين روزفليت يستخدم الاذاعة كاداة اساسية للحديث الى الناس وكانت احاديثه مسموعة بشكل واسع . التلفزيون ايضا مع الراديو جدد نفسه كثيرا ببرامج الحوار الحية Talk Show والمجلات الاخبارية Television news magazine مثل Date Line و 60 Minutes وبرامج الاخبار الحية Live Shows والبرامج المسائية , مثل Night Line وبرامج الصباح المعروفة , مثل صباح الخير اميركا Good Morning Americaوبرامج التابلويد , مثل Inside Edition الشبيهة بصحافة التابلويد الورقية . ويشمل التجديد , في حالات اخرى , نموذج برنامج اوبرا Oprah Winfrey وقنوات مثل ام تي في MTV المتخصصة في الموسيقى والتي مددت افقها للتغطية الاخبارية ساعة بساعة .

بعض البرامج المذكورة مثل توداي Today يعود الى الخمسينات من القرن الماضي ولكنها تمثل نمطا جديدا في الاعلام . وقد بادر معظمها باستخدام التكنولوجيات الجديدة مثل الكومبيوتر والشبكات المختلفة , وطبقوا اساليب مستحدثة في بناء موضوعاتهم وتقديمها . وقد مثلت بعض التغطيات علامة فارقة للانتقال الى المرحلة الجديدة , مثل تغطية قضية الرياضي المشهور او جي سيسمبسون O. J Simpson . وقضية ويليام كينيدي سميث William Kennedy Smith وتيموثي ماكفي Timothy McVeigh الذي فجر مبنى البلدية في اوكلاهوما سيتي . فالتغطيات تغيرت كثيرا في الشكل وطريقة المتابعة واستخدام كافة وسائل الاتصال والعرض والغرافيك والاحصاء بواسطة الكومبيوتر .

النوع الثاني : اعلام جديد بتكنولوجيا جديدة : تمثله جميع الوسائل التي نعايشها الآن التي تعمل على منصة الكومبيوتر وهي تشمل شبكات الكومبيوتر المختلفة وعلى رأسها شبكة الإنترنت والبريد الالكتروني وغيرهما . وهي الوسائل التي مكنت من إنفاذ حالة التبادل الحي والسريع للمعلومات ومن التواصل بين الطرفين وحققت للمواطنين اسماع اصواتهم للعالم . ومكنت من دمج التكنولوجيات والوسائل المختلفة مع بعضها البعض

وتجاوزت العوائق المكانية والزمانية والحدود بين الدول التي كانت تعيق حركة الاعلام القديم , وهذه الوسئل تتصف بدورها الفعال في تسهيل التفاعل الجماهيري وتقديم مصادر لا حد لـــه , ومجالا واسعا من الاشكال والتطبيقات الاتصالية .

النوع الثالث : اعلام جديد بتكنولوجيا مختلطة : هنا تزول الفوارق بين القديم والجديد , فقد اصبحت الحدود الفاصلة بين انواع الوسائل المختلفة حدودا اصطناعية Artificial , وحدثت حالة تماهي وتبادل للمنافع بين الاعلام القديم والجديد , ويستخدم الكثيـــر مـــن الممارسين للعمل الاعلامي الذين يعملون في الوسائل التقليدية الوسائل الجديدة لاســـتكمال ادوارهم الاعلامية المختلفة , أي انهم اصبحوا يستخدمون النوعين معا . وكمـــا يعتـــرف الافراد , تعترف المؤسسات القديمة أيضا باهمية الاعلام الجديد , وتعمل علـــى اللحـــاق بتكنولجياته وتطبيقاته المختلفة , فصحف كبيرة مثل واشنطن بوست ونيويورك تايمز لديها مواقع ضخمة على شبكة الانترنت , وتتواصل برامج التلفزيون المختلفة ونشرات الاخبار مع الجمهور بادوات الاعلام الجديد وتكمل مشروعها الاعلامي وتدير استطلاعاتها عبـــر الوسائل المستحدثة .

مدخل مانوفيتش للاعلام الجديد

يقول ليف مانوفيتش Manovich في مدخله لفهم الاعلام الجديد : " لكـــي نفهـــم طبيعة الإعلام الجديد، فإننا نحتاج لتجاوز الفهم السائد ، الذي يحدده بـــشكل عـــام فـــي استخدام الكومبيوتر لتوزيع وعرض المعلومات . وضرورة النظر الى الدور التكـــاملي للكومبيوتر في عمليات الإنتاج كلها وفي وسائل الإعلام كلها الذي احدث تغييـــرات هائلة في طبيعة الإتصال، والنظر في طبيعة الرسائل الجديدة الناتجة عـــن العمليـــة الإتصالية الجديدة أيضا , فكل الاشكال الغرافيكية وانواع الرسم ، والصور والمـــؤثرات ، والأصوات، والنصوص أصبحت تتم بواسطة الكومبيـــوتر ، وقـــد جـــاءت تكنولوجيـــا المعلومات بحالة التزواج والاندماج بين صناعات كانت مختلفة جدا فـــي الـــسابق وهـــي إستخدام الكومبيوتر ووسائل الإعلام، ونظم الإتصالات .

ويحدد مانوفيتش الحالات الرئيسية للإعلام الجديد كالتالي :

- التمثيل العددي Numerical representation
- حالة الانتقال Modularity
- حالة الأتمتة Automation
- القابلية للتغير Variability

▪ الترميز الثقافي Cultural Transcoding

المبدءان الأولان ، التمثيل العددي Numerical representation يتمثل في الطبيعة الرقمية لأجهزة الإعلام Digital nature of media . أما حالة الانتقال Modularity فهي تعني أن الاجسام الإعلامية يمكن أن تندمج بين بعضها البعض بينما تحافظ على صفاتها المتفردة أو الخاصة , وهذا ما تمثله الخصائص التكنولوجية الأساسية للإعلام الجديد . ومن هنا تأتي الحالتان اللاحقتان بدءا من حالة الأتمتة Automation , إذ يخضع الإعلام اولا للمعالجة الحسابية بواسطة الكومبيوتر , وثانيا يخضع لحالة القابلية للتغير Variability وتكون الأجسام الإعلامية في حالة تنوع . أما المبدأ الاخير وهو الترامز الثقافي Cultural Transcoding فهو يلخص الفهم الخاص لمانوفيتش بخصوص عملية التأثير الثقافي لاستخدام الكومبيوتر[xiii] "

.

<u>التمثيل العددي :</u> طالما تمت معالجة الصورة والصوت رقميا ، فإن كل أجهزة الإعلام تصبح معالجة بالكومبيوتر . وهذا يتضمن تحويل التماثلية في جميع حالاتها الى الشكل الرقمي , ويتضمن دمج الوسائط بين بعضها البعض مما مكن من توليد نموذج الوسائط المتعددة .

<u>حالة الانتقال :</u> يمكن للمكونات الإعلامية ان تكون في حالة وحدات منفصلة ولكن في نفس الوقت يمكن ان يتم تجميعها معا بدون ان تفقد هوياتها الخاصة . مثلا: يمكن معالجة صورة ما ببرنامج مثل ادوبي فوتوشوب بدمجها في عدّة طبقات ، كل طبقة تحتوي قسما منفصلا عن الصورة كما يمكن معالجتها لاحقها بتفكيك الطبقات ذاتها بدون تأثير عليها , وهذا يتم ايضا في حالات الصوتيات والفيديو والرسومات المتحركة وغيرها

.

<u>حالة الأتمتة :</u> تخضع جميع وسائل الاعلام الجديدة , بشكل ما , إلى حالة أتمتة في كل أو بعض عمليتها بدرجات معقدة أو بمستوى بسيط من التعقيد ، ومثال لذلك مواقع الانترنت الدائمة التجدد والحركة ، التي تستجيب لطلب المستخدم أو الزائر , وقواعد البيانات الشكبية , مثال لذلك موقع غوغل الذي يستجيب سريعا , وفق حسابات خاصة , لطلب الباحثين عن المعلومات تعتمد على عملية معقدة لجميع الصفحات المطلوبة وترتيبها

.

<u>القابلية للتنوع :</u> واحدة من اركان الاعلام الجديد المهمة هي في كونه يمثل مجموعة بيانات يمكن أن تعالج بأساليب مختلفة جدا , فبينما ظل نظام الإعلام التقليدي مرتبطا بحالة إنتاج النسخة الواحدة المتعددة المتماثلة , فإن الإعلام الجديد يمكن ان ينتج نسخا مخصصة Customized وملبية لحاجة الفردانية Individualized او بإضفاء الطابع الشخصي عليها Personalized. وحالة التنوع هذه يمكن ان تشمل :

- **امكانية فصل المحتوى :** Delinking of Content . على سبيل المثال ، قد تنشر صحيفة طبعتين واحدة ورقية واخرى للانترنت ، والنسخة على الإنترنت قد تكون مفصلة وفقا لرغبة القارئ .
- **امكانية التعديل :** Potential scalability إذ اصبح من السهل تعديل حجم الصور والرسومات والصفحات مثلا او تحريكها او خلق عوالم إفتراضية أو ثلاثية منها .
- **امكانية التحديث :** فبعض نظم الإعلام الجديد يمكن أن تتضمّن معلومات تتغير بإنتظام ويجب ان تخضع لهذه الحالة بحكم طبيعتها مثل أسعار أسهم .
- **التخصيص والتفاعلية :** وهما نتيجة رئيسية من نتائج حالة التنوع التي تمكن المستخدم من الاختيار .

رؤية بافلك للإعلام الجديد

يرى جون بافلك Pavlik :" أن المشهد الخاص بتكنولوجيات الاعلام الجديدة يتغير بمثل سرعة تطور هذه التكنولوجيات , وهي تحدث تغييرا راديكاليا في كل ما يتعلق بالطريقة التي نتواصل بها والاشخاص الذين نتواصل معهم , كما انها تغير كافة اوجه الحياة التي نعيشها من بناء العلاقات الشخصية الى خلق المصادر المالية والرعاية الصحية وغيرها . وفي كل عام فإن خطوات التطور التكنولوجي تتسارع وفي كل صباح يعلن عن مبتكر جديد .

لقد أخذ الامر مائتا عام منذ ان اخترع غوتنبرغ الحروف المتحركة في عام 1450 الى دخولها الولايات المتحدة في عام 1693 بينما شهد القرن الماضي ميلاد وتطور الكثير من التكنولوجيات , كل واحدة منها احدث ثورة في بعض مناحي الاتصال البشري " [xiv] .

يرى بافليك ايضا " ضرورة توفر **خارطة طريق** Road map واطار مفاهيمي لفهم ابعاد وآثار تكنولوجيات الاعلام الجديد , وواحدة من ادوات رسم هذه الخريطة تكمن

في فهم وظائفها الاساسية وهي الانتاج Production , والتوزيع Distribution والعرض Display والتخزين Storage . وبالرغم من أن هذا المدخل يبدو محـــدودا بـــسبب حالات التلاقي Convergence والتماهي Blurring بين خطوط وسائل الاتصال لكن من المفيد تمييز الخطوط الموضحة لتكنولوجيات الاعلام الجديد , هكذا :

نظام الانتاج : تكنولوجيات الانتاج هي تلك المستخدمة في جمع ومعالجة المعلومات وهي تشمل اجهزة الكومبيوتر , التصوير الالكتروني , الماسحات الضوئية , وهذه التكنولوجيات لم تصنع لنا فقط طرائق جديدة لجمع وتفسير المعلومات بل ايضا مكنتنا من تجميع انواع جديدة من المعلومات وحل المشكلات القديمة والجديدة بشكل اسرع ,ولكنها مع ذلك حلت محل العمالة البشرية ومثلت تهديدا خطيرا للخصوصية واثارت تساؤلات حول من يملك المعلومات , فضلا عن انها تجاوزت القدرات البشرية فـــي ان تكـــون علـــى مـــستوى الامكانيات الجديدة التي خلقتها هذه التكنولوجيات " [xv].

نظام التوزيـــع : تكنولوجيـــات التوزيـــع هـــي تلـــك المتـــصلة بعمليـــات العـــرض Presentation او الحركة Movement للمعلومات الالكترونية , وهي تـــشمل النظم الرئيسية التالية :

1/البث الهوائي Over-the air broadcasting

2/ تكنولجيات الاتصال الارضي Land based telecommunication التي تشمل طيفا من الانواع الجديدة كليا .

3/ كوابل الاتصال Coaxial cable , وهي تشمل تلفزيون الكيبل .

4/ الاتصال بالاقمار الصناعية Satellite communications الـــذي يـــشمل البث التلفزيوني المباشر Direct broadcasting satellite.

5/ الاتصال اللاسلكي , الذي يشمل خدمات التواصل الشخصي وغيرها من المستحدثات في هذا المجال " .

" هذه التكنولوجيات لها اثار ايجابية كما ان لها آثارا سلبية اقتـــصاديا واجتماعيـــا , فقـــد جعلت المعلومات متاحة بسرعة الضوء وجعلت من تكنولوجيـــا الفيـــديو تحـــت الطلـــب Video on demandامرا واقعا . كما جعلت من مفـــاهيم الاســـواق المـــستهدفة والتخصيص امورا واقعية . فضلا عن انها جعلت وسائل الاعلام اكثر عملية . لكنها في الوقت نفسه اسهمت في عدد من الاشكالات الاجتماعية فعمليات قرصنة المعلومـــات لا

حصر لها , كما ان هنالك من يرى انها وسعت من الفجوة الرقمية بين الاغنياء والفقراء " .

نظام العرض : تشير اجهزة العرض الى مجموعة التكنولوجيات المستخدمة في تقـديم المعلومات الى المشاهد او المستهلك وما اليهما , وهي تشمل مجموعة مـن الاجهـزة المخصصة في عرض المعلومات الالكترونية في اشكال مختلفة مثل الصورة والـنص والفيديو او الوسائط المتعددة وبعضها يعرض المعلومات بأبعاد ثلاثة . وتشمل الاجهزة الرقميـة الشخـصية Personal digital appliances PDA وشاشـات العرض المسطحة Flat panel screens وهي تمثل الاداة المـستقبلية لعـرض الصحيفة الالكترونية وسنأتي اليها لاحقا , بجانب شاشات العرض الخاصة بالهواتف .

هذه الاجهزة جعلت من السهل الوصول الى اكبر قدر من المعلومات ولكنها تحمـل أيضا تحمكل أثارا سلبية صحية تصل اى اتهامها بتسبيب بعض الامـراض الخطيـرة الجسيدة والعقلية وهناك من يرى انها ادت الى زيادة رقعة الامية ".

نظام التخزين: تشير تكنولوجيات التخزين الى الوسائل المـستخدمة فـي استـضافة المعلومات في انساق الكترونية , بما يشمل الاسطوانات المرنة والصلبة بالاضافة الـى الوسائل الجديدة مثل الاسطوانات الليزرية بأنواعها المختلفة التي مكنت مـن تخـزين كميات ضخمة من المعلومات في مكان محدود ,سنأتي اليها لاحقا .

يضاف الى هذه الوسائل صغيرة الحجم أخرى كبيرة وذات سعة وامكانيات هائلة هي ملقمات تخزين الفديو Video Servers التي تمكن حرفيا مـن بنـاء محطـات تلفزيون بلا اشرطة اذ يمكن تخزين كميات ضخمة من مواد الفيديو عليها , فضلا عـن توفيرها خاصية الفيديو تحت الطلب [xvi] " .

رؤية بوتلر وجروسين

يرى بولتر Bolter وجروسين Grusin تكنولوجيات الاعلام الجديد من خـلال مدخل التجديد الكامل Refashioning الذي يطلقان عليه تعبير المعالجة أو بلفـظ آخر الإصلاح Remediation التي يطرحانها كنظرية تبلور فهمها لأجهزة الإعلام الجديدة. ويقولان : " ان فكرة الاصلاح هذه هي المنطق الأساس الذي تجدد من خلاله تكنولوجيات الاعلام الجديدة وسائل الاعلام السابقة . بولتر وجروسين وضعا نظريتهما حول الإعلام الجديد ضمن إطار الميزات الجديدة التي تتمتع بها مثـل درجـة الآنيـة Immediacy والتشعبية Hypermediacy فالرغبة لحالة الآنية تمثل رغبـة قوية للشفافية المطلوبة في الإعلام .

ويضع بوتلر وجروسين منطق المعالجة ضمن سياق تأريخي مرتبط بتطور جميع اجهزة الاعلام كل واحدة على حدة واصلاح نفسها لنفسها و على سبيل المثال فإن رسومات الكمبيوتر المتحركة استفادت من خبرات السينما , و السينما تستفيد الآن من الخبرات التي جاءت بها رسومات الكمبيوتر المتحركة . ومن الامثله التي توضح نظريتهما عملية الاصلاح التي تحدث بين التلفزيون والانترنت , فالانترنت اسست نموذجها بناء على خبرات تلفزيونية في التعامل مع المشاهد المشاهدين ،ثم عاد التلفزيون لاستخدام استراتيجيات جديدة هي من خبرات الانترنت مثل استخدام النوافذ Windowing واستخدام ادوات التحريك Scrolling وغيرها " [xvii].

مدخل فيدلر لفهم الاعلام الجديد

يبني فيدلر Fidler مدخله النظري لفهم الاعلام الجديد ومستويات تبنيه بإستقراء النموذج الكلاسيكي لتبني المستحدثات لايفرت روجرز Everett Rogers ورؤى بول سافو Paul Saffo التي تقول أن الأفكار الجديدة تأخذ حوالى ثلاثة عقود كاملة حتى تتسرب الى ثقافة المجمتع والافراد , ويقول فيدلر ان عملية تغيير جذري تتم للوسائل القائمة يطلق عليها تعبير Mediamorphosis وهو مصطلح نحته فيلدر بنفسه في بداية التسعينيات للدلالة على التحول الكامل الذي يجري لوسائل الاتصال الذي فرضته التفاعلات المعقدة للحاجات الاساسية والضغوط السياسية والاجتماعية والابتكارات التكنولوجية .

يحدد فيدلر ستة مبادئ اساسية لعملية التغيير الجذري هذه وهي : "

- تعايش Coexistence وتطور مشترك Coevolution للأشكال الإعلامية القديمة والجديدة .
- تغيير جذري متدرج للاشكال الاعلامية من القديمة الى الجديدة .
- انتشار السمات السائدة في الاشكال الاعلامية المختلفة بين بعضها البعض .
- بقاء اشكال اعلامية ومؤسسات في بيئات متغيرة .
- ظهور الإستحقاقات والحاجات الموضوعية لتبنّي أجهزة الإعلام الجديدة .
- حالة التأخر في تبني المفهوم ثم التبني الواسع لأجهزة الإعلام الجديدة .

وطبقا لفيدلر فإن أهم ثلاث ادوات تغيير جذري في مستحدثات الاعلام الجديد في مراحل تطور الإتصال الانساني هي اللغة المنطوقة Spoken language ، واللغة المكتوبة Written language ، واللغة الرقمية Digital language.

فاللغة المنطوقة أدت إلى تكوين المجموعات البشرية والى تطور المهارات والقدرات التـــي تحـل المشكلات المعقّدة وتطوير الأشكال "المذاعة" مثل رواية القصص وأداء الطقوس الصوتية والتي قسمت المجتمع الى مؤدين وحراس بوابات ومستمعين , ثم كانت اللغة المكتوبـة فاتحة لتطوير الوثائق المنقولة ، والطباعة الآلية ، والإعلام الجماهيري . اما اللغة الرقمية – على خلاف المنطوق والمكتوب – فقد مكنت من عملية الاتصال بين الآلة والانـسان ".[xviii]

مقاربة عربية لفهم الإعلام الجديد

يبسط الدكتور سعود كاتب مداخلته عن الاعلام الجديد من عدة مداخل يرصدها في التغير في انماط السلوك وفي الانمداج بين وسائل الاتصال ويبدأ اولا بمقارنة الاعلام القديم ويجد في التفاعلية أول مظاهر التميز عند الجديد على القديم ويصل الى أن تكنلوجيا الإعـلام الجديد جعلت من حرية الإعلام حقيقة .

التفاعلية اهم مظاهر التميز:" فخاصية توفير مصادر المعلومات والتسلية لعمـوم النـاس بشكل ميسر وبأسعار منخفضة هي خاصية مشتركة بين الإعلامين القديم والجديد ، الفرق هو أن الإعلام الجديد قادر على إضافة خاصية جديدة لايوفرها الإعـلام القـديم وهـي التفاعل , اي قدرة وسيلة الإتصال الجديدة على الإستجابة لحديث المستخدم تمامـاً كمـا يحدث في عملية المحادثة بين شخصين . هذه الخاصية أضافت بعداً جديداً هاماً لأنمـاط وسائل الإعلام الجماهيري الحالية والتي تتكون في العادة من منتجات ذات إتجاه واحد يتم إرسالها من مصدر مركزي مثل الصحيفة أو قناة التليفزيون أو الراديو إلى المستهلك مع إمكانية إختيار مصادر المعلومات والتسلية التي يريدها متى أرادها وبالشكل الذي يريده , ومثال ذلك التقليدي هو قنوات التسوق المنزلي (Home shopping) على أنظمـة الكيبل وعلى الإنترنت ".[xix]

التغير انماط السلوك " لقد غيرت تكنلولوجيا الإعلام الجديد أيضاً بشكل أساسي من أنماط السلوك الخاصة بوسائل الإتصال من حيث تطلبها لدرجة عالية من الإنتبـاه فالمـستخدم يجب أن يقوم بعمل فاعل active يختار فيه المحتوى الذي يريد الحـصول عليـه .. وكثير من الأبحاث التي تدرس أنماط سلوك مستخدمي وسائل الإعلام الجماهيري توضح أن معظم أولئك المستخدمين لايلقون إنتباهاً كبيراً لوسائل الإعـلام التـي يـشاهدونها أو يسمعونها أويقرأونها كما أنهم لايتعلمون الكثير منها وفي واقع الأمر فإنهم يكتفون بجعـل تلك الوسائل تمر مروراً سطحياً عليهم دون تركيز منهم لفحواها ، فمشاهدوا التليفزيـون

مثلاُ قد يقضون ساعات في متابعة برامج التلفزيون ولكنها غالباً ماتكون متابعة سلبية (passive) بحيث لو سألتهم بعد ساعات بسيطة عن فحوى ماشاهدوه فإن قليلاً منهم سيتذكر ذلــك 0 الإعلام الجديد من ناحية أخرى غير تلك العادات بتحقيقه لدرجة عالية من التفاعل بــين المستخدم والوسيلة " [xx] .

اندماج الوسائل: يشير كاتب الى حالة التماهي بين وسائل الاعلام الجديد كإحــدى اهــم الصفات التي تتصف بها :" فتكنولوجيا الإعلام الجديد أدت إلى أندماج وســائل الإعــلام المختلفة والتي كانت في الماضي وسائل مستقلة لاعلاقة لكل منها بالأخرى شكل ألغيــت معه تلك الحدود الفاصلة بين تلك الوسائل ، فجريدة " الشرق الأوسط " أصبحت جريــدة إلكترونية بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى فهي تستخدم الأقمــار الــصناعية لإرســال صفحاتها إلى 12 مدينة حول العالم وتستخدم الكمبيوتر في كافة عملياتها بل أنه يمكــن قراءتها مباشرة على الإنترنت . التليفزيون والإنترنت إندمجا أيضاً بشكل تشير التوقعات إلى أنه سيكون إندماجاً كاملاً في القريب العاجل ، فجهــاز التلفزيــون أصــبح يــستخدم لمشاهدة برامج التلفزيون وفي نفس الوقت الإبحار في الإنترنت وإرسال وإستقبال رسائل البريد الإلكتروني كما أن جهاز الكمبيوتر أصبح بالإمكان إستخدامه كجهاز إستقبال لبرامج التليفزيون والراديو . شركات الكيبل التليفزيوني أصبحت تعتمد بشكل متزايد على الأقمار الصناعية في بث برامجها وهكذا نجد أن جميع وسائل الإعلام الجماهيري الحالية أصبحت وسائل إلكترونية بشكل أو بآخر" .

حرية الإعلام الجديد: يرى كاتب نتيجة أخرى هامة لتكنلوجيا الإعلام الجديد هي :" أنها جعلت من حرية الإعلام حقيقة لامفر منها . فشبكة الوب مثلاُ جعلت بإمكان أي شــخص لديه اتصال بالإنترنت أن يصبح ناشراً وأن يوصل رسالته إلى جميع أنحاء العالم بتكلفــة لاتذكر ، هناك أيضاً على الإنترنت عشرات الآلاف من مجموعات الأخبار التــي يمكــن لمتسخدميها مناقشة أي موضوع يخطر على بالهم مع عدد غير محدود من المــستخدمين الآخرين في أنحاء متفرقة من العالم " [xxi].

مدخل الحالة الانتقالية للاعلام

مشروع الحالة الانتقالية للإعلام [xxii] Media in Transition Project هــو مبادرة لعهد ماسوشسيتس الامريكي بدأت في اكتــوبر 1999 . وفــي عــام 2003 اصدرت مطبعة معهد ماسوشستس الامريكي كتابا شارك في تحريره عدد من البــاحثين منهم غيتلمان Gitelman وبنغري Pingree , والكتاب يعضد الفكرة نفــسها .

ومن عنوان المشروع ومجموعة المؤتمرات ثم الكتاب المذكور وفصوله يقرر مجموعة الباحثين بأن الاعلام كان دائما ويظل في حالة انتقالية , وأن كلّ أجهزة الإعلام كانت جديـدة عنـدما ظهرت واستخدمت لأول مرة ، ويتحدّى المشروع فكرة دراسة الإعلام الجديد بتكـريس إعلام اليوم الجديد . وهو يركز في نصه على بناء فكرة الجدة في الاعلام في سياقاتها التاريخية ، ويقول إن لحظات الإنتقال من أجهزة ونظام سابق الى إعلام جديد لم يعرّف لحد الآن بشكل كامل , ويقدم الكتاب نماذج لأدوات مألوفة مثل الهـاتف والفونـوغراف كبدايات جديدة غير مسبوقة , كمشروع عودة لتعميق فهمنا التاريخي لكلّ أجهزة الإعـلام التي احدثت انقلابا في طريقة عيش الانسان .

" فكلّ وسائل الإعلام كانت جديدة اذا كما يرى بنغري وغيتلمان , ويستخدم المؤلفان تعبير بروس إستيرلينغ Bruce Sterling الاعلام الهامد Dead Media لوصف حالة أن بعض وسائل الاعلام لم تعد مستعملة، وفي العديد من الحالات ، ظلت منـسية لمـدة طويلة لم تحصل على الفرصة لكي تصبح جزءا من نسيج الحياة اليومية " [xxiii].

فقد أوجدت الانترنت– على سبيل المثال – لغرض ثم امتـدت لأغـراض أخـرى , وهنالك مبتكرات إعلامية بعضها وجد صدى حين خرج لأول مرة , وبعضها فقد بريقـه برغم انه مهد لثـورات أخـرى, مثـل الـساينوتريس The Physiognotrace والزوغراسكوب Zograscope والمـيمكس Memex ومـشروع اكـساندو Xanduaوغيرها قبل أن يستقر الرأي المتخصص على الطباعـة وعلـى الهـاتف والإذاعة والتصوير والتسجيلات ووسائل عرضها ثـم التلفزيـون والأقمـار الـصناعية والانترنت على أنها المفاصل الرئيسية لتكنولوجيا الإعلام .

فالساينوتريس , بحسب بيلون Bellion " هي آلية ابتكرها فرنسي اسمه غيلـي لـوي شيتريا Gilles-Louis Chrétien في 1783 لتكوين الرسومات بطريقة متابعـة وتقليد الملامح Tracing subject's physiognomy , كانت محاولة لتصميم آلة يستخدمها من لا يعرفون الرسم مثل أخريات سبقنها من نوع آليات تجـسيد الـصور Camera Obscura وآلة تجسيد المنظور Perspective Machine وهما يقومان بنفس العمل بمبادئ مختلفة [xxiv] ".

أما الزوغراسكوب Zograscope فقد كان إحدى مقتنيات صالونات دور الأثرياء في القرن الثامن عشر للتمتع بأجواء إيهامية خيالية من صور ورسومات صغيرة يـتم تكبيرها بالآلة الفخمة المصنوعة من خشب المهوقني والعدسات المكبرة مـع مجموعـة مخترعات مثل الزوبراكسيـسكوب Zoopraxiscope أو جهـاز عجلـة الحيـاة Wheel of Life الذي سجله في عام 1867 الامريكي ويليام لينكولن William

Lincoln ليمثل مع آلة الزوتروب Zoetrope وآلة البراكسيكوب Praxinoscope , وفق رؤية بعض مؤرخي الاعلام , البدايات الاولى لتحريك الصور والتصوير الفوتغرافي والسينما فيما بعد . هذه الابتكارات كانت كثيرة وقتها , وهي تمثل في مجموعها ما يطلق عليه الفانوس السحري Magic Lantern .

أما الميمكس كان مشروعا رائدا للمستشار العلمي للرئيس الأمريكي السابق فرانكلين روزفلت ، فانفر بوش Vannevor Bush [xxv] منذ عام 1945م عندما كتب مذكرات بعنوان :كما يجب ان نفكر As we may think , شرح فيها النظام الذي يمثل جهازا قائما علي نظام الميكروفيلم بإمكانه حفظ كمية ضخمة من الوثائق في مكتب واحد قاد في ما بعد إلى ظهور شبكة الوب هو ومشروع اكساندو الذي أطلقه تيد نيلسون في عام 1981م ووصف فيه نظاما جديدا بناء على فكرة الميمكس كان عبارة عن شبكة ونظام عالمي للمعلومات ومن هذين النظامين وغيرهما ولدت شبكة الويب , وخبا نجم المبادئ التي قامت عليها .

ولكننا لم نعد نسمع بمعظم هذه المبتكرات , بعضها انتهى إلى الأبد وبعضها قاد إلى وسيلة جديدة لا تشبه تلك التي أرادها مبتكرها مثلما حدث بالنسبة للفونوغراف , " الذي تم اختراعه لغرض وآل استخدامه لغرض آخر , فقد ظهر الفونوغراف على يد توماس أيدسون في عام 1877 وقام بعد عام بتحسينه لتسويقه تجاريا وكان مقتنعا بأنه أداة للاتصال المرتبط بالإعمال التجارية , أداة تملك خاصية التسجيل والصوت , ولكن بعض المستثمرين المتحمسين وضعوا لها تصورا كآلة ثورية للإملاء Dictation Device - مثل آلة تسجيل الصوت , الديكتافون Dictaphone التي ظهرت لاحقا – لكنهم كانوا مخطئين , ففي تسعينات القرن التاسع عشر حول الطلب الواسع من الجمهور لهذا المستحدث إلى آلة للاستماع فقط , ترتبط بسوق واسعة لأسطوانات الموسيقى المسجلة أصلا, وبعدها أصبحت جزءا أصيلا من محطات الراديو الاذاعي [xxvi]" .

خاتمة

ان الإعلام الجديد بحسب ما ورد من مداخل وتعريفات ونقاش ليس بثاً أحادياً وتلقياً إجبارياً مثل ما كانت تتميز به نظم الاعلام القديم , ولكنه تفاعل يختار فيه الناس احتياجاتهم ويشاركون هم في الوقت ذاته ليس بالرأي فقط ولكن باعلام شخصي خاص بكل فرد على حدة . وبموجب نظام الاعلام الجديد يمكن لوسائل الإعلام أن تقدم لكل

شخص ما يريد في القوت الذي يريد وتزداد أهمية ثقافة المجموعات الصغيرة التي تجـد الفرصـة للتعبير عن نفسها وسماع صوتها بما يمكنها من التفاعل مع الثقافات الأخرى .

الإعلام الجديد إذا هو اعلام تعددي بلا حدود ومتعدد الوسائط ليؤدي ادواراً جديدة كليا لم يكن بوسع الاعلام التقليدي تأديتها فهو على سبيل المثال لا الحصر وسيلة تعليم و منافس تلقائي للمدارس .و هو يعمل في سياق مؤسسات جديدة تختلف كثيراً عما عهـدناه فـي وسائل الإعلام التقليدية، فهو ليس إعلام صحفيين وكتاب وقراء، ولكنه مجتمع متفاعـل يتبادل فيه الأعضاء خدماتهم ويحصلون على احتياجاتهم الأساسية ويمارسـون أعمـالهم اليومية.

وفي الخلاصة يجب علينا ان نقر ان تغييرا كاملا يلمس الوسائل الاعلاميـة القائمـة تكنولوجيا وتطبيقيا , كما أن هنالك مستحدثات اعلامية غير مسبوقة تأخذ مكانها الان وقد جاءت بتطبيقات وخصائص جديدة وان حالة جديدة هي وسائل الاعلام حـسب الطلـب Mass Customization تأخذ مكان وسـائل الاتـصال الجمـاهيري Mass Media وأن عملية تحويل وتغيير جذرية تتم للوسائل القائمة Metamorphosis عندها ستكون جميع اجهزة التلفزيون وجميع اجهزة الراديو خارج نطاق الاستخدام كونها اجهزة تعمل في اتجاه واحد One-Way والتغيير الجاري يتجه نحـو بنـاء وسـائل تفاعلية Interactive Media هنا تعمل جميع الاجهزة التقليديـة وغيرهـا علـى منصة الكومبيوتر وتصنع عالما اتصاليا جديدا ثنائي الاتجاه Tow -Way له مزايا لم تكن تتوفر في الاعلام القديم .

Notes and Bibliography

/ Definition for New Media , High-Tech Dictionary .
<http://www.computeruser.com/resources/dictionary/dictionary.html>
Accessed: Oct. 2006.

/ Dr. Paul Martin Lester , California State University .
<http://commfaculty.fullerton.edu/lester/curriculum/newmedia.html>
Accessed: July. 2006.

/ Definition: New Media . Computing Dictionary .
< http://computing-dictionary.thefreedictionary.com/new+media>
Accessed: Sep. 2006.

/ New Media . Condensed Net Glossary
< http://www.saila.com/usage/glossary/ > Accessed: Sep. 2006.

/ New Media <
http://www.webopedia.com/TERM/N/new_media.html>

[115] / البروفيسور ستيف جونز هو رئيس قسم الاتصال بجامعة ايلنوي في شيكاغو University of Illinois - Chicago ومؤلف موسوعة الاعلام الجديـــد The Encyclopedia of New Media ورئيس تحرير جمعية اللاعلام الجديد New Media & Society.

/Steve Jones , Encyclopedia of New Media : An Essential Reference to Communication and Technology . SAGE Publications. 2002.

/ A Working Definition of New Media 1998
< http://www.sheridanc.on.ca >Accessed frequently.

[116] / نيكولاس نيغروبونتي Nicholas Negroponte مؤسس معمل الاعلام الجديد في ماسوسيتش MIT Media Lab وصاحب مبادرة الكومبيوتر الرخيص التي طرحها في مؤتمر المعلوماتية في تونس.

/ Nicholas Negroponte, Being Digital. Publisher Vintage USA. 1996. p 37

/ Vin Crosbie, 1998 What is New Media?
<http://www.digitaldeliverance.com/philosophy/definition/definition.html>
Accessed July. 2006

[117] / Pavlik. Ibid.

[118] / Jay David Bolter, Richard Grusin , Remediation: Understanding New Media The MIT Press; 1st edition. 2000

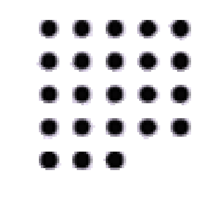
/Roger F. Fidler . Mediamorphosis: Understanding New Media, Sage Publications, Inc.; 1 edition 1997 .

[119] / دكتور سعيد صالح كاتب , الاعلام القديم والاعلام الجديد , هل الصحافة المطبوعة في طريقها الى الانقراض ؟ , المدينة المنورة للطباعة والنشر , جدة 2002 .

[120] / سعيد كاتب , تعريف الاعلام الجديد , نفس المصدر .

[121] / سعيد كاتب نفس المصدر .

.



[122] / Media in Transition Project. 1999/2000 Massachusetts Institute of Technology . <http://web.mit.edu/m-i-t/credits/index.html> Accessed frequently.
[123] / Lisa Gitelman, Geoffrey B. Pingree . New Media, 1740-1915 Media in Transition, The MIT Press ,USA . April 1, 2003

[124] / Wendy Bellion (1999). The Mechanization of Likeness in Jeffersonian America . The Media in Transition Conference , MIT .<http://web.mit.edu/m-i-t/articles/index_bellion.html> Accessed April 2006.

[125] / للاطلاع على المزيد عن تجربة فانفر بوش :

Noah Wardrip-Fruin, Nick Montfort . The New Media Reader .(2003) The MIT Press , Cambridge and London.< http://www.newmediareader.com >

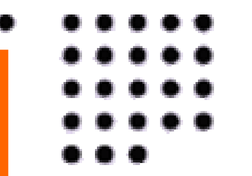
[126] / Lisa Gitelman , 1999)How Users Define New Media: A History of the Amusement Phonograph . The Media in Transition Conference. MIT .<http://web.mit.edu/comm-forum/papers/gitelman.html>.
[127] / Media in Transition Project. 1999/2000 Massachusetts Institute of Technology . <http://web.mit.edu/m-i-t/credits/index.html> Accessed frequently.

[128] / Lisa Gitelman, Geoffrey B. Pingree . New Media, 1740-1915 Media in Transition, The MIT Press ,USA . April 1, 2003

[129] / Wendy Bellion (1999). The Mechanization of Likeness in Jeffersonian America . The Media in Transition Conference , MIT

.<http://web.mit.edu/m-i-t/articles/index_bellion.html> Accessed April 2006.

130 / للاطلاع على المزيد عن تجربة فانفر بوش :



Noah Wardrip-Fruin, Nick Montfort . The New Media Reader .(2003) The MIT Press , Cambridge and London.< http://www.newmediareader.com >

131 / Lisa Gitelman , 1999)How Users Define New Media: A History of the Amusement Phonograph . The Media in Transition Conference. MIT .<http://web.mit.edu/comm-forum/papers/gitelman.html>.

تشكّل الموقف النقدي في ظل الحداثة الشعرية المضادة عند نزار قباني مراجعة لآليات الهدم والتأسيس

د.حبيب بوهرور

لمراجعة معالم تشكّل الموقف النقدي عند نزار قباني، أجد من الضروري أن أقف عند خصائص الحداثة الشعرية النزارية التي أعتقد أنها اختلفت عن الحداثة الشعرية بخلفياتها النظرية ومرجعياتها الغربية عند أدونيس ومن سار في فلكه. فما إن استقرت القصيدة العربية الحديثة على تبني قالب النظام التفعيلي في مرحلة أولى ثم قالب قصيدة النثر في مرحلة ثانية حتى ظهر اتجاهان أساسيان على المشهد الشعري العربي الحديث والمعاصر. تمثل الاتجاه الأول في ما يعرف بقصيدة الرؤيا التي تتحد مع التجربة الشعرية، والتي مثلتها جماعة شعر، أمثال أنسي الحاج، ويوسف الخال، وأدونيس، ثم جاءت تجربة محمد الماغوط في قصيدة النثر حيث أسّس لمعالم كتابة أفقية تنطلق من واقع التجربة الذاتية لتتفرد بالأنموذج الشكلاني لمرحلة طويلة، أما الاتجاه الثاني فيربط بين النص/القصيدة والمرجعيات الاجتماعية والقومية والتيارات الأيديولوجية الفاعلة على الساحة، وهو الاتجاه الذي نادى بكتابة ما سماه بالقصيدة الملتزمة، وقد نشط الشعراء الملتزمون إلى غاية الثمانينات من القرن الماضي خاصة في سوريا ومصر والعراق أمثال، البياتي، وصلاح عبد الصبور، وأحمد عبد المعطي حجازي، وأمل دنقل وغيرهم.

وبين الاتجاه الأول الذي مَثّلَ الحداثة بمفهوماتها الرؤيوية والاتجاه الثاني الذي مثّل الحداثة بآليات ثورية تقدمية، مثّل نزار قباني نوعًا جديدًا من الحداثة الشعرية، يمكن أن يدرج ضمن خانة الحداثة المضادة، فإذا"كانت قصيدة الرؤيا تؤكد التجربة الفردية ذات البعد الإنساني بالمعنى الأنطولوجي للصفة، وإذا كانت قصيدة الرؤية قد ظلت تعتبر النص في خدمة المعركة شعارها المفضل، فإن نزار قباني بات يحمل صفة الشاعر المخملي الذي يُنعت من طرف شعراء قصيدة الرؤيا ونقادها بأنه شاعر الجماهير الغوغاء، وينعته شعراء الالتزام بأنه شاعر البرجوازية المتخنة بالغرائز الشهوانية، والنتيجة أن نزارًا نال عداء الاتجاهين، وبات يمثل بمفرده صوتا شعريا متميزاً"[1]. من هنا أضحت حداثة نزار الشعرية حداثة لا تستمع كثيرا إلى ذلك الصخب النظري والدعوات الحداثية التي سادت في النصف الثاني من القرن الماضي، والتي كانت على علاقة مباشرة بالمنظومة الفكرية التي ظلت تشتغل ضمنها الرؤيا الحداثية من خلال العمل الدائم على تفكيك العلاقات الإنسانية داخل النصوص، وفقا للتجربة الشعرية عند الشاعر الحداثي من جهة وضمن برنامج تحطيم الأنساق السابقة وإعادة بناء أنساق جديدة من دون الخروج عن فضاء المنظومة الفكرية الحداثية ذات الروافد الإليوتية الغربية من جهة أخرى.

وقد عمل نزار خلال مساره الشعري على تجنّب الاشتغال ضمن مسار الأنساق الكبرى للحداثة(نسق الرؤيا/نسق الرؤية) وهو ما جعل النقد الحداثي يصنف الشاعر (نزار) في كثير من المناسبات خارج النسقين معا، ولهذا نقول إن نزار كان ذا أفق حداثي مضادٍ للحداثتين معا، استطاع أن يؤسس مساره الحداثي المضاد وأن يورّط الحداثات الأخرى ويضعها في مأزق وضحّه الدكتور نجيب العوفي*حيث يقول :"... أعتقد أن نزار كشاعر حداثي يورّط الحداثة والحداثات والحداثيين ويضع الجميع في مأزق. فعل كثرة كثيرة من الشعراء العرب على توالي العقود الزمنية الشعرية، تعاملوا مع الشعر والحداثة الشعرية بنوايا مسبقة وبمرجعيات وخلفيات مستحضرة سلفا، فكان هناك مشروع نظري وجملة مبادئ نظرية هي التي تؤهل للدخول في حمّى الحداثة، ثم يجهد الشاعر نفسه من أجل أن يصوغ نصوصا على مقاس تلك المشاريع والمبادئ الأولية الموضوعة سلفا.هذا في تصوري، هو الذي أجهز على كثير من النصوص الشعرية المحسوبة على الحداثة، وخنق فيها بعض مكامن الحيوية والحرارة، وهو ما انتبه إليه نزار قباني بطريقة عفوية وتلقائية، ولكنها طريقة معزّزة كذلك بثقافة أدبية ولغوية وتاريخية رفيعة، فحرّر تجربته الشعرية من كثير من المسوح الثقافية والأقماط المعرفية والطقوس الاستعارية والمجازية، لهذا كانت نصوص نزار الشعرية عارية وتلقائية، وتدخل في إطار ما سماه بعض النقاد بالسهل الممتنع "[2]. لهذا كثيرا ما رفض نزار تحديد مفهوم دقيق للحداثة لأنه يعلم أن التنظير للأفق الشعري سوف يبعد مسار الشعر عن الذوق العربي العام، ويجعل من القصيدة ثرثرة أيديولوجية عقيمة، فهو لا يؤمن بالحداثة ضمن منظومة فكرية معينة وإنما يتطلع دائما نحو الحداثة الشعبية لا الحداثة النخبوية، لأن الحداثة الشعبية "يمكنها أن تخترق وتتواصل مع الناس وتصبح جزءا من الفلكلور الشعبي، مارسيل خليفة وزياد الرحباني يمثلان الحداثة التي وجدت مفتاحها الشعبي، واكتشفت المعادلة التي تجمع الخاص والعام والانتلجنسيا "الدراويش"... هذا على الصعيد الموسيقي، أما على صعيد الشعر، فإن محمود درويش و مظفر النواب يمثلان الحداثة الشعرية التي وجدت مفتاحها الشعبي.محمود درويش استطاع بموهبته الفذة أن يخترق جدار الجماهير، ويزرع الثورة الفلسطينية في كل بيت من الخليج إلى المحيط. ومظفر النواب استطاع هو الآخر أن يكتشف مفتاح الحزن العربي ويقرع أجراس الثورة والغضب في ليل المدن العربية النائمة. إذن الحق ليس على الحداثة وإنما على المحدثين، الحداثة التي تستحق اسمها تستطيع أن تضيء، أن تشعل دم الجماهير ، أنّ تحرّضها..."[3].

وأعتقد أن هذا الموقف عند نزار هو الذي جعل آلة الخطاب النقـدي النخبـوي الحداثي في الستينيات والسبعينيات تعمل جاهدة على إقصاء الدور الريـادي الذي لعبة نزار قباني في الشعرية العربية الحداثية من منظور الانتيليجنسيا، خاصة وأن سلطة النص الشعري المتضمنة للموقف من الواقع الاجتمـاعي والفكري والسياسي كثيرًا ما تستمدُ من جملة علاقاتهـا بالخطـاب النقـدي الموجَّه بجملة من الروافد الفكرية والأيديولوجية المرحلية. ثم إن نزارا لـم يكن يكتب – في تقديري– ضمن فضاءات الحداثـة الخاضـعة للإبـدالات والأنساق المكرّسة لواجهة الحداثة، وهذا ما ذهـب إليـه الـدكتور حـسن مخافي*حين اعتبر أن "النقد الأكاديمي يخضع في العمـوم لمجموعـة مـن المعايير، فهو نقدٌ عالِمٌ لأنه يستجيب للنظرية النقدية أكثـر ممـا يـستجيب لحاجيات النص. ولذلك فإننا بحاجة في العالم العربي إلـى نقـد تحليلـي لا يبحث في تجليات المفاهيم النقدية في النص الشعري، بل عن تجليات هـذا النص في المفاهيم النقدية.فإذا أعطينا الأولوية للنص وحاولنا على الأقل أن نوفق بين ما تعلمناه من مفاهيم ومناهج هي في مجملها غربية، وبين النص الشعري العربي الحديث الذي يتميز بخصوصيته المحمّلة بثقافـة وتـاريخ خاصّين، فإننا لن نقصي أي شاعر عن البحث الأكاديمي، وعن النقد بـصفة عامة، فاعتماد النقد العربي على المناهج والمفاهيم المتصلبة والمتخشبة جعله نقدا معياريا"(4). ويفهم من هذا أن مواقف نزار قباني من أنـساق الحداثـة العربية في الستينيات والسبعينيات هي التي جعلت مثل هذا النقد المعيـاري الموجّه يختار مواضيعه بعناية، ويقصي نزار قباني من مدار الحداثة، وقـد عبّر الشاعر عن هذا الصدام قائلا:"...صدامي مع الـدراويش مـستمر .. دراويش الأمس انقرضوا ..أما دراويش اليوم فهم يلبسون الملابس التقدمية، ويرفعون كذبا لافتات اليسار، ويستعملون تعابير الحداثة والتجاوز والواقعية الاشتراكية...هؤلاء الدراويش سينقرضون أيضا...لأنهم حركة ضد العقـل وضد المدارك وضد طبيعة الأشياء وضد أنفسهم، إنهم منعزلون تماما عن العالم الخارجي، وسابحون في منطقة انعدام التوازن ويتكلمون كأهل الكهف، لغة لا يفهمها أحد، ولأنهم محاصرون وفي حالة استلاب كامل لأن عملـتهم الشعرية غير صالحة للتداول، فإنهم يطلقون النار على الشمس لأن الشمس هي فضيحتهم"(5).

فإذا عدنا إلى مرحلة المد الحداثي في الشعرية العربية في الستينيات والسبعينيات ندرك أن النقد الأكاديمي قد تعامل مع التجربة النزارية الحداثية بكل تحفظ واحتراز لأن أسماء أخرى أمثـال الـسياب وعبـد الـصبور، وأدونيس، و الخال و غيرهم قد طبّقت توصيات النقد المنهجي والأكـاديمي وخضعت لسلطته بامتياز، بالإضافة إلى أن هذا النقد ذاته قد ارتـبط علـى مدى عقود بقناعات خطاب أيديولوجي وفكري موجّه. لهذا يـصرّح نـزار بأن"النقد العربي، أو غالبيته هو إفراز قبلي مرتبط بالغريزة والانفعال، أكثر مما هو مرتبط بالبصر والبصيرة، النقد بصورة عامة في العـالم العربـي مذبحة ككل المذابح الـسياسية والطائفيـة يـستعمل فيهـا أخطـر أنـواع الأسلحة...لا أريد أن يتصور أحد أننا مع الثبات ولكننا لسنا مـع التـسيّب والانفكاك التام عن كل شيء بحجة التخطي والتجاوز. إن الحداثة لا تعنـي أبدًا أن نرمي كل ملابسنا في البحر، ونبقى عراة، إنما الحداثة أن تكتـشف دائما طريقة جديدة للسباحة في بحار جديدة"(6).

وبناءعلى الموقف السابق لنزار يقرّ الدكتور نجيب العوفي الأسبقية الزمنية والإجرائية للكتابة الحداثية المتضمنة الموقف الحداثي من الواقع والمجتمع عند نزار قباني، لأنه "نادرا ما كان يُلتفتُ إلى التجربة الريادية لنزار قباني، وذلك نظرا إلى نمط الاستعمال والتوظيف الشعري اللغوي الذي كان يتّبعه نزار في هذه المرحلة. فمثلا إذا كان شاعر كالسياب قد حاول أن يحقق للقصيدة العربية الحديثة أرضية جديدة يُدخل فيها أغراسا متعدّدة، و يطعّمها بمرجعيات عربية وتُراثية وغربية وأسطورية، فإن مزية نزار قباني في هذا المجال وبادرته الأولى في هذا المشهد التحديثي، تكمنان في محاولته تحرير اللغة الشعرية من طقوسها الكلاسيكية القديمة، وضخ دماء جديدة في المعجم الشعري، وتوظيف هذا الشعر لأجل اختراق بواباتٍ كانت موصدة من قبل"(7)، ويمكن الوقوف على كلام العوفي بمجرد مراجعة أول ديوان شعري لنزار في الأربعينيات والموسوم بـ"قالت لي السمراء، دمشق 1944م"، والذي أثار إشكالات ثقافية واجتماعية داخل الوطن العربي، خاصة عندما تصدى له الشيخ علي الطنطاوي في عدد شهر مارس 1946م من مجلة الرسالة القاهرية، حين كتب قائلا: "طبع في دمشق كتاب صغير زاهي الغلاف ناعمه، ملفوف بالورق الشفاف الذي تلفّ به علب الشكولاته في الأعراس، معقود عليه شريط أحمر كالذي أوجب الفرنسيون أول العهد باحتلالهم الشام، فيه كلام مطبوع على صفة الشعر، فيه أشطار طولها واحد إذا قستها بالسنتمترات...يشتمل على وصف ما يكون بين الفاسق والقارح والبغي المتمرسة الوقحة وصفا واقعيا، لا خيال فيه، لأن صاحبه ليس بالأديب واسع الخيال "(8).

والواضح أن نقد الشيخ الطنطاوي للديوان – بعد قراءته طبعا– كان يرتكز على النقاط الآتية:

- تجاوز نزار السائد المبتذل، وتطلّعه نحو الممكن .
- فرادة الديوان اللغوية والتطلّع نحو الشكل الجديد .
- إعادة قراءة التاريخ، وولوج المحظور فيه .

وقد أقرّ الطنطاوي بهذا حين قال: "في الكتاب مع ذلك تجديد في بحور العروض يختلط فيه البحر البسيط، والبحر الأبيض المتوسط، وتجديد في قواعد النحو لأن الناس قد ملّوا رفع الفاعل ونصب المفعول، ومضى عليهم ثلاثة آلاف سنة وهم يقيمون عليه، فلم يكن بدٌ من هذا التجديد.."(9).

ويؤكد الدكتور نجيب العوفي أن الاشكالات التي خلفها ديوان نزار الأول(قالت لي السمراء)ما هو إلا دليل قاطع على الثورة الشعرية الحداثية التي خلقها في القصيدة العربية في فترة زمنية(1944)لم تكن النصوص الشعرية المحسوبة على الحداثة العربية قد كتبت بعد، وهذا ما يفسر ظهور ملامح المشروع الحداثي النزاري الذي حصره في نقطتين أساسيتين هما: "اقتحام نزار للمحظور أو الممنوع والمسكوت عنه داخل الوجدان العربي؛فقد اتخذ المرأة محورًا وموضوعا لشعره بطريقة حديثة ومغايرة للأساليب والرؤى والأنماط التي تعامل بها الشعراء السابقون قليلا لنزار قباني، والذين كانوا يحيطون به زمنيا، فقد اخترق جسد المرأة اختراقا جريئا، وأدخل شيمة الجنس بطريقة صريحة، لقد حقق أولا هذا الاهتمام الجريء في الأربعينيات، وبداية تململ ونشوء جيل جديد من الشبيبة خاصة في منطقة الشام (لبنان، سوريا) إضافة إلى نشوء وسط جامعي وهو الأمر الذي أدى بالتدرج إلى نوع من القطيعة مع أجيال سابقة.

والعامل الثاني الذي يضع أيدينا على مفاصل الحداثة عند نزار قباني هو خلخلته لبنية النص الشعري التي كانت سائدة في تلك الفترة فقد وظّف لأول مرة لغة شعرية لم تكن

تحتل أدنى مكانة بالنسبة إلى النص الشعري السابق، أعني لغة الشارع، واللافت للنظر أنه في تجديده وتطويره للمعجم الشعري اللغوي، لم يكن يستبقي تلك الكلمات على حالها، بل كان يعيد إنتاجها شعريا بإدخال كلمات ومفردات اجتماعية متداولة عامية ودارجة على النسيج الشعري، ويجعل منها مفردات شعرية، وهنا يكمن الدور الهام الذي قام به نزار قباني على صعيد تجديد اللغة الشعرية."[10]

ويؤكد الدكتور صلاح فضل الفكرة السابقة عند العوفي، حيث اعتبر أن الحسّية التي التمسها عند نزار قباني في كتاباته ومواقفه هي امتداد لتلك اليقظة الرومانسية ودعوة للاعتراف بالجسد الإنساني كآلية من آليات الوعي في القرن العشرين، وقد تمظهر المشروع الحداثي لهذه الكتابة من الناحية الأسلوبية تمظهرا وظيفيا ارتبط "بمدى قدرتها على التعبير عن روح العصر الجديد وتحديث الحساسية الجمالية له، ومواجهة المحرمات المتراكمة فيه. فهي بذلك تجربة ثورية إنسانية إلى حدّ كبير تقاوم الحسّ الخلقي المزدوج بين السّر والعلانية في عالمنا العربي، لتضفي عليه قدرًا من التماسك والانسجام، وتعدّ استجابة متفاعلة لموجة المواجهة الواقعية للمتغيرات الجديدة في الحياة والفنون ..."[11]

لهذا كثيرا ما رفض نزار النخبوية الحداثية التي ظلت تبتعد عن الاختلاط بالمواطن العربي، من خلال كتابات تتعالى فيها عن قصد على الجمهور العربي يقول:

"يصعب أن أتصور شعرًا عربيًا حديثًا لا يخاطب أحدًا ... ولا يقنع أحدًا..ولا يعبر عن أفراح ولا عن أحزان أحد. إن صوت الشاعر لابد أن يصطدم بجدار بشري ما..يثبت أنه حي..أما الصوت الذي لا يصطدم بشيء، فهو ليس سوى حشرجة لغوية لا صدى لها. إن مشكلة الحداثيين أنهم لم يكتبوا رسالة حب واحدة لأي مواطن عربي، فكيف يريدون من الشعب أن يحبهم إذا كانوا يجهلون أدب المراسلة ؟"[12]

وبناء على هذا ذهب نزار قباني إلى درجة تحديد شروط الحداثة في الشعر انطلاقا من ضرورة مراجعة التراث مراجعة واعية ومسؤولة، لنستفيد منه بدل الحكم عليه بالموت والاندثار، يقول: "خطأ كبير أن نتصور أن الحديث لكي يكون حديثا لابد له من ارتكاب جريمة قتل ضد السابق له زمنيا، فمثل هذا التصوّر سيجعل التاريخ مقبرة أو مذبحة لا ينجو منها في النهاية أحد. إن الحداثة طابور طويل جدًا يقف فيه الشعراء في أمكنتهم التي يحدّدها التاريخ، والشاعر العظيم لا يأتي من العدم ولا من المصادفة، فالمصادفات قد تحدث على طاولة القمار، ولكنها لا تحدث في الشعر، وليس الشاعر هو الذي يقرّر أنه عظيم أو حديث أو خطير، فعظمة الشاعر أو حداثته أو خطورته يقرّرها الوجدان العام، وتحكم فيها محكمة شعبية لا تقبل الرشوة، ولا الابتزاز، هذه المحكمة الشعرية الشعبية هي وحدها التي تستطيع أن تأخذ الشاعر إلى المجد أو تأخذه إلى السجن، وعلى هذا الأساس فإن تسعين بالمائة من شعراء الحداثة سيذهبون إلى السجن"[13].

ويؤكد نزار في مناسبات عديدة على ضرورة ربط التجربة الشعرية الحداثية بالتراث ربطا فكريا إجرائيا مباشرا، ينسجم مع روح التراث من خلال إدراك الوعي الجمالي والثقافي والفكري فيه، وليس اجتراره والعمل على تمثله في الشكل والمضمون يقول: "كلّ الولادات الشعرية الحديثة تمت نتيجة عملية قيصرية، ما من شاعر ولد ولادة طبيعية وخرج من بطن التراث، الطفل الشرعي هو الذي يتغذى من أم يعرفها وينتسب إلى أبويين معروفين ويحمل مكونات التراث، ثم يترعرع في بيئته ككل الأطفال الطبيعيين...من قال إنني أكتب القصيدة وحدي؟ أشعر بأن عشرة آلاف شاعر يكتبونها معي، من طرفة إلى الحطيئة إلى أبى تمام إلى المتنبي وشوقي... الشاعر الذي ينسجم مع روح التراث ويتمثله يتجه رأسا إلى وجدان القارئ العربي. أما الشاعر الذي يعتمد على الصراعات والبدع المستوردة فإنه يسمّم الجمهور...هذا الشعر يرفضه القراء"[14].

ويرفض نزار أن تكون التجربة الثقافية وحدها سبيل الشعر وأن قراءة الآثار الغربية واحتواءها ومحاكاتها شعريا يقود الشاعر إلى دخول عالم الحداثة الشعرية، فالتجربة الثقافية العربية تختلف كثيرا عن التجربة الثقافية الغربية، ورغم اطلاعنا عليها(الغربية)نبقى دائما في حاجة إلى احتواء تجاربنا الفكرية والإبداعية المشرقة عبر التاريخ، "إن مجموع التراث من الحلاج والمتنبي والمعري، يشكل نهرًا له ضفاف، الفكر العربي له ملامح، والشعر العربي له ملامح، ما نقرأه مما يسمى بشعر السبعينيات، ماذا يقول؟فهو لا يستقي من مياه التاريخ ولا هو انعكاس لهموم الحاضر.أما المستقبلية التي يدّعيها :فما دام هو فوضى فكيف سينشئ مستقبلا؟".(15)

ويفهم من المواقف السابقة المشكّلة للحداثة النزارية المضادة، أن نزار لا يرفض التراث ولا يدعو إليه في الوقت ذاته، كما أنه لا يرفض التجارب الثقافية الغربية، ولا يدعو إليها أيضا، وإنما يدعو إلى ضرورة ولوج عوالم الكتابة انطلاقا من تحديث الذات المبدعة أولاً، ولا يستقيم هذا في الفكر النزاري إلاّ بتمثل هذه الذات وربطها بالتجربة الثقافية عبر مراجعات واعية للتراث ثم الانطلاق نحو المصاهرة الثقافية الغربية التي لا تعني بالضرورة الانكفاء عن تحقيق الأنا المبدعة، والتماهي أمام الآخر الغربي، وتمثل آلياته الإبداعية في الشكل والمضمون. من هنا رفض نزار نمط الحداثة الاستعراضية التي فرضت على الذوق العام جراء المحاكاة والتنميط واجترار التجارب الفكرية والثقافية لدى الآخر الغربي يقول: "إن الاستعراضية ليست همًا من همومي، وليس يعنيني مطلقا في زحمة من يلهثون للحصول على بركة الحداثة، أن أكون أحد اللاهثين.هناك من يشتغلون على الحداثة ولا يتكلمون وهناك من لا يشتغلون على الحداثة ويعقدون مؤتمرا صحفيا يقولون فيه إنهم كانوا يتعشّون مع نازك الملائكة عندما كانت تكتب قصيدة الكوليرا...كل ذلك أورده لأقول أن مدّعي الحداثة كثيرون، حتى صارت الحداثة كما سبق لي وذكرت، إشاعة نسمع عنها ولا نراها... أريدك أن تقول لي ما هي؟ ما هي مرتكزاتها ؟ ما هي مواصفاتها؟ ما هي خصائصها؟...لا أريد تعريفا لها في المطلق، أريد نموذجا علمانيا. أريد نصا حداثويا يستطيع أن يتفاعل مع الذوق العربي العام، ويثير الدهشة، ويغطي هموم الناس في هذا الوطن على صعيد الثرثرة الأيديولوجية ومزايدات المقاهي الثقافية، هناك كلام كثير عن الحداثة ولكن ميدانيا وعلى الأرض...(ما في حدا.. لا تندهي ما في حدا...)كما تقول مطربتنا فيروز..."(16).

وأصل إلى القول بأن نزار قباني قد استطاع في قراءته لإشكالية الحداثة على الساحة العربية أن يخلق في كتاباته الشعرية على مسار خمسين سنة من العطاء نوعا من التطابق الذكي بين وعي الحداثة الغربية كرؤيا وتشكيل لا يمكن تجنبه في بناء التجربة الشعرية ووعي الموروث العربي، وقراءة الواقع الاجتماعي والسياسي قراءة موضوعية. ومن خلال هذا الوعي المزدوج رسم نزار قباني أسئلة حداثته المضادة التي احتوت مواقفه من الكتابة والتشكيل الشعري، ومن الواقع المعيش بكل تمظهراته وهذا ما يبرّر الوصلة الاجتماعية والسياسية في شعره وفي نثره على السواء. والتي تشكلت في ملمح أساسي من ملامح الحداثة المضادة عند نزار هو ملمح المرأة، وهنا"تكمن شجاعة نزار، إذ لم يكن يحفل بجبروت السلطة النقدية، بل راح يشتغل من خلال ثيمة رهيبة تسكننا جميعا، فالشعراء العرب المحدثون كانوا كلهم يحسون بعمق هذه المأساة، فلم يكن يُسمح لهم بأن يتغزّلوا بالمرأة كامرأة باعتبار أن هناك إرهابا نقديا وفكريا يسكنهم من الخارج. ولذلك كانت المرأة تحضر بتلاوين وأشكال مختلفة فهي تارة رمزٌ للوطن وتارة رمز لقضية قومية. وهذا يمثل نوعا من الكبت الباطني الذي يعانيه الشعراء العرب الحديثون دون استثناء من السياب وصلاح عبد الصبور والبياتي إلى محمود درويش، هنا كان نزار قباني شاعرا حداثيا حتى النخاع، إذ لم يكن يعبأ بهذه الأنساق، واشتغل بوضوح وبعمق

في ثيمة كان يتخوف منها الكثيرون.لهذا نجد في الفترة الأخيرة العديد من شعراء ما بعد الحداثة يشتغلون ضمن الرؤية الإيروتيكية للمرأة، وكأننا بهؤلاء الشعراء قد فطنوا إلى أن الشعر العربي قد ضيّع زمنا تجاهل فيه الأجساد وتلك اللغة الجميلة التي سبق أن ابتدعتها عبقرية نزار قباني الشعرية والفنية "[17].

وفي تقديري أن الثقافة العربية وهي في فوضى الحداثة الشعرية وتعميماتها في مرحلة الستينيات والسبعينيات لم تستطع أن تدرك ملمح الحداثة المضادة عند نزار قباني حين قرّر الكتابة عن المرأة بعيدًا عن هذيان التجريد وفوضى ألغازه، لأنها ظلّت تحت وطأة الأنساق النقدية الأكاديمية التي تعتبر الكتابة عن المرأة كتابة من الدرجة الثانية، يقول نزار: "يسألون لماذا أكتب عن المرأة؟ وأجيب بمنتهى البراءة والبساطة: ولماذا لا أكتب عنها؟ هل هناك خارطة مرسومة تحدّد للشاعر المناطق التي يسمح له بدخولها. والمناطق المحظورة التي لا يستطيع دخولها... وإذا كان هناك خارطة من هذا النوع فمن هو الذي رسمها؟ هل هم ذكور القبيلة الذين يعتبرون الأنثى عارهم في الليل وذلّهم في النهار؟ إذا كان الأمر كذلك.. فأنا مستقيلٌ من قبيلتي ورافض لكل موروثاتها، وأنا حين أرفض فكر قبيلتي ومواقفها الأرثوذكسية من المرأة، فلأني لا أومن أصلا بممـاليك تعتبر الأنوثة عارًا والنساء مواطنات من الدرجة الثانية."[18]

وقد دعا نزار قباني بعد إدراك قضية المرأة كملمح من ملامح الحداثة المضادة، إلى تفعيل آليات الرفض الاجتماعي رغبة في التغيير والتجاوز والخلق، وتجسيد هذا في مواقفه النثرية أو الشعرية على حد سواء، حيث أضحت حداثة نزار المضادة"حداثة مجنونة، حداثة مشردة تبحث عن حب يكشف سرًا من أسرار وجودنا وفكرنا، إنها تاريخنا، إنها روحنا وما يهدد روحنا، إنها المختلف في أوضاع الحداثة المتشابهة، إنها بحث دائم لدفع هذا الضغط الذي يمارس لتقنين سلطانها على أحلامنا، لقد خلق نزار قباني صدعًا على مستوى العلاقة بين الذات والقوانين الاجتماعية والأخلاقية والسياسية، فإن رسمت نماذج أدونيس وأنسي الحاج والسياب وعبد الوهاب البياتي في الخمسينيات قوانين التضاد والاختلاف والصراع والصدمة على المستوى السياسي فإن نزار قباني حقق بشكل عنيف الصدمة الاجتماعية في المجتمع العربي في تلك الحقبة، لقد خلق وظيفة إشكالية مباشرة أمام الثقافة الاجتماعية، وقد زعزع مفهوم التقنين العاطفي الذي مارسه وعي مجتمع بالكامل وذلك من خلال مساءلته"[19]. ويمكن الوقوف على الموقف الإجرائي من هذه الصدمة الاجتماعية في حداثة نزار فيما يأتي:

أ – الثورة على النظام الهرمي والسلطوي داخل بنية المجتمع العربي :حيث لاحظ نزار أن تغيير مسار المجتمع يبدأ من تغيير نظام الأسرة، لأن نظام العائلة في المجتمع العربي هو"نظام هرمي يقوم على السلطة والعنف ويحتل الأب فيه المركز الرئيسي والأول"[2]، وفي ظل هذا التسلط الأبوسي المتوارث نجد أن المرأة هي أكثر أفراد العائلة والمجتمع اضطهادا، "لا أبالغ في قولي أنه من المفجع أن يولد الإنسان أنثى في مجتمعنا، إنني لا أعرف مجتمعا في العالم –حتى المجتمعات البدائية– وضع الأنثى فيه مثل وضعها في المجتمع العربي. ومهما حاولت إخفاء هذا الواقع أو تبريره فالحقيقة بارزة أمامنا وهي تصفعنا كل يوم"[20]. من هنا حرّر نزار موقفا حداثيا مضادا من واقع المرأة، حيث ربط الحركية الإبداعية الحداثية بحرية المرأة وحداثتها أيضا، يقول: "في مجتمع كهذا، يصبح شاعر الحب مواطنا خارجا عن القانون، وتصبح القصائد التي تتناول العلاقات الحميمية بين الرجل والمرأة فضيحة علنية، لقد كنت أعرف سلفا رأي منذ بدأت أشتغل بهذه المادة المتفجرة التي هي شعر الحب، أن أصابعي ستحترق، وأن ثيابي ستحترق وأنني سأطرد خارج المدن التي تمضغ كالجمل الصحراوي العطش والملح وأشواك الصبار... لقد كان الالتحام مع المجتمع يضع الحبَّ في قائمة المحرمات والممنوعات أمرًا حتميا. والذي زاد

من ضراوة الالتحام أنني ظهرت على الورق بوجهي الطبيعي ولم ألجأ إلى الأصباغ والمساحيق ... إن شعراء الغزل الحسّي في أوروبا لا يخوضون حربا صليبية مع مجتمعهم كما يخوضها الكتّاب العرب والسبب هو أن نظرة مجتمعاتهم إلى الحب والجنس أخذت حجمها الطبيعي، ولم تعد ورما سرطانيا كما هي الحال عندنا... إن شاعر الحب في بلادنا يقاتل فوق أرض وعرة وفي مناخ عدائي رديء جدًا، ويغنّي في غابة يسكنها الأشباح والعفاريت"[21]، وقد فصّل نزار قباني في هذا الموقف في الكتاب الواحد والثلاثين ضمن أعماله النثرية الكاملة (ج7) الذي حمل عنوان: "المرأة في شعري وحياتي". ولا يختلف الموقف النثري عند نزار من ملمح المرأة ضمن الحداثة المضادة عن الموقف الشعري فكل كتاباته عن المرأة تعكس بوضوح الخلفية الفكرية والثقافية والحضارية التي تعامل بها نزار مع عالم المرأة، فنقرأ له دعوات للثورة والتحرر والانعتاق من سلطة الآخر ومن هرمية المجتمع يقول:

ثوري ! ...أحبك أن تثوري ..
ثوري على شرق السبايا والتكايا والبخور
ثوري على التاريخ، وانتصري على الوهم الكبير
لا ترهبي أحدًا فإن الشمس مقبرة النسور
ثوري على شرق يراك وليمة فوق السرير [22]

ب – مراجعة الموروث الخامل تفعيله

راجع نزار في الملمح الثاني من ملامح الحداثة المضادة قضية التراث، وبالرغم من أن نزارا لم يرفض التراث ولم يدع إلى هدمه وتجاوزه أو استبداله، فإنه يدعو في الكثير من مواقفه وفي كتبه النثرية إلي ضرورة مراجعة التراث وتفعيله، انطلاقا من إخضاعه لنقد إجرائي بناء وموضوعي. فقد أدرك أن المجتمع العربي هو مجتمع تسيطر عليه ذهنية الماضي وتحبس عنه كل أشكال التلاقي والتطور والانفتاح على أشكال في الحياة والتعبير والكتابة، وتقيده بأنماط فكرية وتشكيلية لم يشارك هو في إبداعها يقول نزار: "أنا شاعر أريد أن أغيّر وحين أواجه عصرًا لا يريد أن يتغيّر أصطدم، لأن الشعر سلوك صدامي، إن القناعات القديمة عبارة عن أوثان وأنا أريد أن أحطم الأوثان"[23]، وقد نعت نزار الأدباء الإرثيين بالأدباء المستريحين، لأنهم لم يستطيعوا أن يفعّلوا الخامل من التراث ويُدمجون في الحركية الإبداعية وفقا لمتطلبات الحداثة المضادة يقول:

"أكتب لكم عن الأدب المستريح في بلادنا.. إنه الأدب الذي نشف الزيت من مفاصله وتصلّبت عضلات الحركة في قدميه، إنه الأدب الذي نسي غريزة المشي. ما هو موقفنا من الأدب الذي لا يمشي؟ إنه موقف الحياة نفسها من كل كائن يتوالد، موقف المجتمع من كل عضو لا ينتج، موقف صاحب الأرض من كل شجرة لا تثمر في حقله...الإهمال ...ثم القطع...ثم أحشاء الموقدة. الحياة لا تهمل إلاّ الذين يهملونها، ولا تكافئ إلاّ الذين يقابلون هداياها الجميلة بهدايا ذهنية أجمل...إن الأدب هو غرم قبل أن يكون غنما، مسؤولية لا نزهة على شاطئ نهر، فعلى الذين يريدون دخول مصنع الأدب الكبير، أن يلبسوا ثياب العمل ويغمّسوا أيديهم حتى المرافق في الصلصال الساخن..أيها المستريحون إن الذوق العام يطلب منكم أن تستريحوا ... وتريحوا."[24]

وفي إطار تفعيل الموروث طالب نزار بضرورة التجديد انطلاقا من القراءة الواقعية للتراث، والاستفادة من خبرات الشعراء الفاعلين وإبداعاتهم في زمـنهم، لأن اللحظة الشعرية ليست بالضرورة لحظة آنية ترفض ما سبقها مـن لحظـات كتابة وإبداع، "ففي كلامنا عن التجديد والمجدّدين يجب أن لا نستعمل المقص، ونقص التاريخ الأدبي على كيفنا، ونقص معه وجوه عشرات مـن الـشعراء الشجعان الذين بدأوا وأعدّوا المخططات للهجوم على قطار الـشعر العربـي المنهوك...إن ساعة التجديد لم تكن واقفة قبلنا، والوقت الشعري لم يبتدئ بنا. لأن كل لحظة شعرية مرتبطة باللحظة التي قبلها، والأصوات الشعرية لا تولد كالطحالب من العدم "(25).

وحين أعود إلى شعر نزار قباني وخاصة في مراحله الأخيرة أقف عنـد مثل هذا الموقف، بل إنني أقرأ في قصيدته الطويلة "الوصـية" موقفـا يتّحـد ضمنيا مع الموقف النثري الذي صرّح به سابقا في كتابه قصتي مع الـشعر، إنه يرفض كل علاقة تربطه بالموروث الخامل في شتى تمظهراته يقول فـي مقاطع من القصيدة:

أفتح صندوق أبي ..
أمزق الوصيه
أبيع في المزاد ما ورثته
مجموعة المسابح العاجيه
طربوشه التركي والجوارب الصوفيه
* * *
أسحب سيفي غاضبا
وأقطع الرؤوس والمفاصل المرخيه
وأهدم الشرق على أصحابه
تكيه ...تكيه ..
* * *
أفتح تاريخ أبي
أفتح أيام أبي
أرى الذي ليس يُرى
أدعية ...مدائح دينية
أوعية ...حشائش طبية
أدوية ...للقدرة الجنسية
أبحث عن معرفة تنفعني
أبحث عن كتابة تخُص هذا العصر وتخصّني
فلا أرى حولي سوى رمل ..وجاهليه (26)

ومجمل القول في قضية الحداثة المضادة عند نزار قباني أنها :

- حداثة متفرّدة اعتمدت على توظيف ملامح جديدة في تحطيم المـشهد الشعري العربي الحديث وبنائه.
- حداثة لم تخضع لسلطة الخطاب النقدي الحديث والمعاصر، بل إنهـا استطاعت أن تسبح ضد التيار، وتعمل على بناء مدرسة متميزة فـي الكتابة .
- حداثة اقتربت أكثر فاكثر من تفعيل واستغلال آليات الحسّ الجمـالي داخل بنية القصيدة سواء من حيث الشكل أو المضمون .

- حداثة لم ترفض التراث وإنما رفضت الجزء الخامل من التراث، إنها تدعو دائما إلى العودة إلى التراث الفكري والأدبي واللغوي العربي.
- حداثة تتطلع نحو الآخر بثبات، لكونها لم تهدم الأنا التاريخي في حركيتها الإبداعية بل وَعَتهُ وتمثّلته وفعّلته عبر العديد من وسائط الكتابة عند نزار.
- حداثة منفتحة على الأنوثة بمعناها الجمالي لا الجسدي شأنها في ذلك شأن شعراء ما بعد الحداثة وأدبائها في أوروبا، الذين عرفوا أهمية إدراك الجانب الإيروسي في الكتابة.

المراجع

1- مخافي ، حسن ." نزار قباني والحداثة الشعرية المضادة" ، ندوة الآداب ، إعداد وتقديم عبد الحق لبيض ، مجلة الآداب ، عدد 11 / 12 ، نوفمبر ، ديسمبر، بيروت ، 1998 ، ص 82 .

* ناقد وأستاذ محاضر بكلية الآداب بالرباط .

2 - العوفي، نجيب ." نزار قباني والحداثة الشعرية المضادة" ، ندوة الآداب، مجلة الآداب ، ص ص 86 ، 87 .

3 - قباني ، نزار. الأعمال النثرية الكاملة ،ط1، منشورات نزار قباني ، الجزء الثامن بيروت 1993 ، ص ص 437 ، 438 .

* حسن مخافي . ناقد وأستاذ جامعي بكلية الآداب مكناس ، المغرب.

4 - مخافي، حسن . " نزار قباني والحداثة الشعرية المضادة "، ندوة الآداب، مجلة الآداب ، ص 88

5 - نزار ، قباني . ضمن كتاب جهاد فاضل ، قضايا الشعر الحديث ، ص 240 .

6 - نزار ، قباني . ضمن كتاب جهاد فاضل ، قضايا الشعر الحديث ، ص 231 .

7- العوفي ، نجيب . ندوة مجلة الآداب ، ص 89 .

8 - الطنطاوي ، علي، نقلا عن: قباني ، نزار . الأعمال النثرية الكاملة ، جزء 7 ، ص 270

9 - الطنطاوي ، علي، نقلا عن: قباني ، نزار. الأعمال النثرية الكاملة ، جزء 7 ، ص 270، 271 .

10 - العوفي ، نجيب . ندوة مجلة الآداب ، ص 90 ، 91 .

11 - فضل ، صالح . أساليب شعرية معاصرة ،ط1، دار الآداب ، بيروت ، 1995 ، ص 39 .

12- قباني ، نزار حوار أجراه معه الصحفي والناقد مفيد فوزي ضمن كتابه: نزار .. وأنا ، أطول قصيدة اعتراف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1999 ، ص ص 128 ، 129 .

13 - نزار، قباني . حوار أجراه معه الناقد جهاد فاضل ضمن كتاب . قضايا الشعر المعاصر ص 242 .

14– قياني ، نزار. حوار أجراه معه الناقد محي الدين صبحي ضمن كتاب . مطارحات فــي فــن القول ، ص 116.

15 – المرجع نفسه ، ص 107 .

16 – قباني ، نزار. الأعمال النثرية الكاملة ، ط1، ج 8 ، منشورات نزار قباني ، بيروت1993 ، ص ص 428 ، 429 .

17 – المومني ، رشيد . ندوة مجلة الآداب ، ص ص 89 ، 90 .

18 – قباني ، نزار. الأعمال النثرية الكاملة ، ج 7 ، ص ص 364 ، 365 .

19 – علي ، بدر." نزار قباني الشاعر المتمرّد ، الشاعر المجنون" ، جريدة الرياض اليوميــة ، العدد 13471 ، ليوم الخميس 4 ربيع الثاني 1426 الموافق لــ 12 ماي 2005 ، نقلا عن موقع الجريـــــــــدة علـــــــــى الـــــــــواب والوصـــــــــلة كاملـــــــــة هـــــــــي: http://www.alriyadh.com/2005/05/12/section.art.thurcul.html

20 – شرابي ، هشام . مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الأهلية للنشر والتوزيع بيــروت 1981، ص 76 .

21 – المرجع نفسه، ص 88 .